سفر الجامعة

مراد أمين

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

أخذت بإذن رسمي من صفحة بيت الله. جميع الحقوق محفوظة لمكتبة الأخوة ولا يجوز إعادة نشر أو طباعة إي من الكتب أو المقالات بأي طريقة طباعية أو إليكترونية أو وضعها على الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من الأخوة وصفحة بيت الله. يمكنك أن تحتفظ بالكتب أو المقالات للاستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الأسباب.

تقديم

سفر الجامعة يتعرّض لأمور عويصة الفهم. فيه سمح الله لصوت الإنسان أن يعبّر عن نفسه ويطرح مشكلاته, فيه نسمع الحكمة الإنسانية تطرح كل تساؤلاتها المحيّرة للعقل البشري خصوصاً السؤال: ماذا بعد الموت؟

والغرض من هذا السفر أن يُرينا أن حكمة أعظم الحكماء (سليمان) تعجز عن معرفة حقيقة غير المنظور ما لم يُعلنه الله. وكان على هذا الرجل الحكيم أن يعترف بقصور الحكمة البشرية وعجزها عن إدراك سرائر الله.

أمور كثيرة ظلت هكذا ظلاماً تنتظر مجيء مخلصنا يسوع المسيح "الذي أبطل الموت وأنار الحياة (أي كشف النقاب عن حقيقة الحياة) والخلود (عدم الفساد) بواسطة الإنجيل" (٢ تي ١: ١٠)

في هذا الشرح نجد حلولاً كثيرة لأشياء وكلمات يُصعب فهمها, والشرح مقتبس من عدة مراجع لرجال الله الموهوبين, وأهم المراجع :

1- Gaebelein

2- Synopsis: by J. N. Darby

3- Bible Concordance

4- Bible Dictionary

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مقدمة

عنوان السفر "الجامعة" يعني من يجمع محفلاً (١مل ٨: ١) ليتحدث إليهم كلام الحكمة التي من الله (جا ١٢: ٩). أيضاً يُشير سليمان إلى نفسه كمن أُعطى أن يجمع في حياته واختباراته دروساً عملية عن بُطل وفراغ العالم, ليقدمها للأجيال القادمة. وخلاصتها أنه ضل عن الطريق الحقيقي للشبع والراحة في الله ذاته, لكن الله في غنى نعمته ردّه إليه, وهكذا في هذا السفر يقدم أثماراً تليق بالتوبة (مت ٣: ٨) وإذ قد رجع إلى الرب يريد أن يعلّم الأثمة طرقه (طرق الرب) (مز ٥١: ١٣), وكما قال الرب لبطرس "وأنت متى رجعت ثبّت إخوتك" (لو ٢٢: ٣٢) .

الكاتب:

1-فاتحة السفر "كلام الجامعة بن داود الملك في أورشليم" فيها التأكيد أن الكاتب هو سليمان .

2-هناك أقوال في السفر لا تنطبق إلا عليه. مثلاً "ها أنا قد عظمت وازددت حكمة أكثر من كل من كان قبلي على أورشليم" (١: ١٦, ٢: ٤, ٧: ٢٣, ١٢: ٩). لكن لا ننسى أن الكاتب الحقيقي لكل أسفار الوحي المقدس, هو الروح القدس الذي أوحى بكل أسفاره المعصومة "تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (٢ بط ١: ٢١).

اتجاه السفر أو الغرض منه:

يسمى سفر الإنسان الطبيعي الذي لا يرى إلا ما تحت الشمس, فهو يناقش مشكلات الحياة بدون واهب الحياة الذي به نحيا ونتحرك ونوجد (أع ١٧) وهو تعليق مطوّل على قول الرب الكريم للمرأة السامرية "كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً" (يو ٤: ١٣).

والمشكلة؛ هل يمكن للعالم بدون الله أن يُشبع القلب ويملأ فراغ النفس؟ وجدير بسليمان أن يعالج هذا الموضوع, فقد هيأت له العناية الإلهية أن يبلغ من عظمة المُلك والجاه ما لم يبلغه ملك سواه, إذ تجمعت له الثروة والشباب والقوة منذ ارتقائه عرش المملكة, وتميّز بقدرات ومواهب فذة. وإذ فشل في مساعيه, تبدو الفلسفة البشرية عاجزة عن أن تعلل أبسط مشكلات الحياة, وهكذا نرتمي في إخلاص على ذاك الذي هو الحكمة الأزلي المجيد أقنوم الكلمة المحبوب مُعلن الله في كل صفاته "ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا من الله حكمة وبراً وقداسة وفداء" (١ كو ١: ٣٠), "أنا الحكمة أنا الفهم من يجدني يجد الحياة وينال رضى من الرب" (أم ٨: ١٢, ٣٥).

طابع السفر:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عبثاً نحاول أن نعثر في هذا السفر على تعبير واحد من تعبيرات البهجة أو نغمة تسبيح وترنم وهتاف تنطلق من خلال تدريباته واختباراته. وهو بذلك يرفع نظرنا إلى ابن الله المبارك الذي وهو مقبل على الصليب استطاع أن يقود أحباءه للتسبيح "قوموا ننطلق من ههنا", "ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون" (يو ١٤: ٣١, مر ١٤: ٢٦).

وهكذا نرى في هذا السفر المفارقة الكبيرة بين أنات إنسان توفرت له كل مباهج الحياة كالملك سليمان, وترنيمات وأفراح أصغر مؤمن في العهد الجديد حتى ولو لم يتوفر له شيء من متاع الدنيا.

تاريخ كتابة السفر:

واضح أنه كُتب في أخريات أيام سليمان, بعد أن أضلته نساؤه الوثنيات, وواضح فيه توبته وندمه وزفرات قلبه المعبرة عن رجوع حقيقي لله, ذلك لأنه أحد أولاد الله فكان لا بد من رجوعه.

تقسيم السفر:

أولاً: موضوع السفر- الكل باطل ص ١:١- ٣

ثانياً: التدليل على هذه الحقيقة:

-1زوال كل الأشياء ص ١: ٤- ١١

-2الآثار المؤلمة رغم الحكمة والقوة والمعرفة ص ١: ١٢- ١٨

-3اللذة والمسرات تنتهي بالفشل والفراغ والألم ص ٢: ١- ٣

-4الثروة والأعمال العظيمة لا تعطى راحة ولا شبعاً ص ٢: ٤- ١١

-5الحكمة خير من الجهالة ولكن لكل منهما نهاية ص ٢: ١٢- ٢٦

-6دورة الحياة المُتعِبة ص ٣

ثالثاً: شرح تفصيلي لبطلان كل شيء تحت الشمس:

-1من ناحية ضيقات الحياة ص ٤

-2من ناحية الغنى والفقر ص ٥

-3من ناحية نهاية الإنسان الحتمية ص ٦

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

-4من ناحية شر الإنسان الذي لا علاج له ص ٧

-5من ناحية استطاعة فهم سر العناية الإلهية ص ٨

-6من ناحية تقدير العالم الخاطئ للأمور ص ٩

-7من ناحية فوضى العالم ص١٠

رابعاً: أفضل شيء ممكن الإنسان الطبيعي ص ١١, ١٢: ١- ١٢

خامساً: أفضل شيء الإنسان تحت الناموس ص ١٢: ١٣, ١٤

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تطبيقات ومقارنات تمهيدية

تحت الشمس

وردت هذه العبارة ثماني وعشرين مرة في هذا السفر, بينما لم ترِد ولا مرة واحدة في بقية أسفار الوحي المقدس. وترِد عبارة "تحت السماء" ثلاث مرات و "على الأرض" سبع مرات. وكلمة "باطل" سبعاً وثلاثين مرة.

ويشير الروح القدس حوالي أربعين مرة إلى الأرض وخوائها وبُطل كل ما عليها. ولا نصل إلى ما هو "فوق الشمس" إلا في ختام السفر حيث يقول الحكيم "فلنسمع ختام الأمر كله. أتق الله وأحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله" (ص ١٢: ١٣).

سليمان الملك وبولس الأسير

ترِد كلمة "منفعة" بضع مرات في سفر الجامعة, ويقرر الحكيم عن مجهوداته "الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس", بينما يقرر الرسول المغبوط بولس عن مجهوداته "جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ.. وَأَخِيراً قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ" (٢ تي ٤).

دروس من الأسفار الشعرية

في سفر أيوب نتعلم أولى الحقائق، كيف يرفض الإنسان نفسه- يرفض فساده كما يرفض ما يتوهمه في نفسه أنه صلاح "أرفض (نفسي وما تفاخرت به عن بري) وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ" (أي ٤٢: ٦)، وهذا هو درس الكتاب المقدس الأول لكل إنسان، فالأبرص في لا ١٣ لا يحكم بطهارته إلا إذا لم يوجد فيه لحم حي هنا فقط يرش عليه دم العصفور المذبوح وهكذا يعطيه الله لحماً جديداً طاهراً كله وهكذا يُقبل أمام محضر الرب. وهذا الأمر يتم في النفس بوصول عطية الإيمان الحقيقي إليها.

وهذا يقودنا إلى السفر التالي أي المزامير حيث نرى حياة الإيمان أي الحياة في قوة الإيمان الذي عاش به ربنا المبارك هنا على الأرض "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي" (غل ٢: ٢٠).

وهكذا نرى في الأسفار الثلاثة التالية، الأمثال، الجامعة، نشيد الأنشاد، الثلاثة أركان الرئيسية لحياة الإيمان الحقيقي المُعطى من رئيس الإيمان ربنا يسوع المسيح.

أولاً في الأمثال نتعلم إخضاع الإرادة للمسيح الذي هو حكمة الله "وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرّاً وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً" (١ كو ١: ٣٠) أي أرفض حكمة ذاتي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وحكمة العالم وفلسفاته الباطلة لأتعلم الحكمة الأزلي نفسه الذي أعلن عن ذاته الكريمة في ص ٨: ١٢ "أنا الحكمة أنا الفهم" لذلك نجد ثلاث مرات التحذير من خداع القلب والاتكال على حكمتي الذاتية لئلا أحرم نفسي من نور الحكمة النازلة من فوق التي لا يمكن أن نفهمها ونتعلمها إلا في المسيح كما سبقت الإشارة.

المرة الأولى: أم ٣: ٥، ٦ "تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ. فِي كُلِّ طُرُقِكَ اعْرِفْهُ وَهُوَ يُقَوِّمُ سُبُلَكَ. لاَ تَكُنْ حَكِيماً فِي عَيْنَيْ نَفْسِكَ."

المرة الثانية: أم ٢٦: ١٢ "أَرَأَيْتَ رَجُلاً حَكِيماً فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ؟ الرَّجَاءُ بِالْجَاهِلِ خيرُ مِنَ الرَّجَاءِ بِهِ."

المرة الثالثة: أم ٢٨: ١١ "اَلرَّجُلُ الْغَنِيُّ حَكِيمٌ فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ وَالْفَقِيرُ الْفَهِيمُ يَفْحَصُهُ". ثانياً في الجامعة أتعلم الركن الثاني في حياة الإيمان وهو استحالة شبع قلبي بأي شيء في العالم ويكون لي التصميم المستمر على الفرح في الرب وحده وأنه هو النصيب الصالح الحقيقي الباقي لي- "لاَ تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ.. لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ" (١ يو ٢: ١٥، ١٦) وهذا يقودني إلى الركن الثالث في حياة الإيمان وهو غرض سفر النشيد "أنا لحبيبي وحبيبي لي" هنا الابتهاج بالفرح الغامر الذي لا يُنطق به ومجيد.

الفرق بين استنتاجات سليمان والإعلان الإلهي

يجب أن يتحقق الدارس لهذا السفر أن يميز بين استنتاجات سليمان الخاطئة المبنية على مشاهدة الأمور الجارية تحت الشمس بدون استحضارها إلى نور محضر الله في كلمته، وهذا درس هام وهو أن مشاهدات أعظم حكيم إذا لم تُستحضر في نور كلمة الله، تقود الإنسان إلى الضِلال. وعلى سبيل المثال- "الأعوج لا يمكن أن يقوم والناقص لا يمكن أن يُجبر" (جا ١: ١٥) قارن ما أعلنه والد سليمان نفسه في الوحي "حينئذ أكون كاملاً وأتبرأ من ذنب عظيم" (مز ١٩: ١٣)، "قلباً نقياً اخلق فيا يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي" (مز ٥١: ١٠) قس على ذلك جا ٢: ٢٤، ٣: ١٩، ٧: ١٦، ٨: ١٥، ٩: ٢. وسيأتي بمعونة الرب التوضيح الكامل لهذه الأقوال في نور الوحي المقدس وهذا لا يمس حقيقة وحي هذا السفر كلمة كلمة لكن كما سبقت الإشارة، أن الروح القدس قد سجل استنتاجات مشاهدات أعظم حكيم للأمور الحادثة تحت الشمس وما هو رأيه الشخصي فإذا به يغرق في الضلال لكي يعلمني استحضار كل شيء في نور الوحي المعصوم وهو المقياس الوحيد لنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأصحاح الأول

"كَلاَمُ الْجَامِعَةِ ابْنِ دَاوُدَ الْمَلِكِ فِي أُورُشَلِيمَ" (ع ١).

في أسفار الوحي المقدس كثيراً ما يكون مفتاح السفر معلقاً فوق الباب, بمعنى أن أول عباراته تتضمن ملخص الكل, وهذا واضح في سفرنا هنا, فالعدد يعرّفنا بالكاتب والعدد الثاني يحدثنا عما انتهى إليه في كل بحثه وفيهما نرى مفتاح السفر كله أو عنوان السفر, وغرض الروح القدس هو إعداد ذهن القارئ لشما هو متضمن في السفر.

فالكاتب هو الجامعة ابن داود الرجل الذي رفعه الرب إلى أسمى مجد أرضى. فمن خلال الرفض والهروب ومن خلال المعارك والصراع سار الرب بداود حتى أوصله إلى هذا السمو من المجد والقوة. ولكن ابنه سليمان وجد نفسه في هذا كله, على أتم وأكمل صورة بدون أدنى تعب أو عناء.

والجامعة بمعنى الكارز أو الواعظ تعبير عن ما أُعطي لسليمان أن يجمع محفلاً (راجع المقدمة) وهو في هذا رمز ضئيل جداً لسليمان الحقيقي ربنا يسوع المسيح الذي حوله وحده تجتمع ألوف وربوات الخطاة ليوصل إلى قلوبهم بشارة نعمته المخلصة وذلك في عمله الكريم وحبه العظيم في الصليب في كل العصور والأجيال. وهو أيضاً مركز ومحور كل اجتماعات القديسين المخلصين، بدمه الكريم ليقدموا له السجود والعبادة وتسكن في قلوبهم كلمته بغنى فينموا في النعمة وفي معرفة شخصه المحبوب المعبود.

والجامعة لا يُرِد إلا في هذا السفر وهو يرِد سبع مرات- ص ١: ١, ٢: ١٢, ٧: ٢٧, ١٢: ٨, ٩, ١٠ وهو بذلك يكون أحد سباعيات كلمة الله. "الملك في أورشليم" المدينة التي وقع عليها اختيار الله "مدينة الملك العظيم فَرَحُ كُلِّ الأَرْضِ" (مز ٤٨: ٢)- المدينة التي لها الاعتبار الأول في كلمة الله بالمقارنة مع كل مدن العالم, وذلك واضح لأن فيها تمم الله مقاصده الأزلية الكريمة في صنع الفداء والكفارة وقد وطأتها قدما السيد العظيم يهوه الأزلي المعبود في مجيئه الأول ليصنع لنا الخلاص. وسوف تكون الموضع الذي فيه يجلس له كل المجد على كرسي مجده في المُلك أللفي السعيد القادم, هذا هو سر العظمة الحقيقية, الارتباط بالمسيا, مسيح الله المعبود الذي إليه وحده تتجه كل مشورات أللله.

"بَاطِلُ الأَبَاطِيلِ قَالَ الْجَامِعَةُ. بَاطِلُ الأَبَاطِيلِ الْكُلُّ بَاطِلٌ" (ع ٢).

باطل الأباطيل تعبير مألوف مثل عبد العبيد (تك ٩: ٢٥) وقدس الأقداس (خر ٢٦: ٣٤) وسماء السماوات (١ مل ٨: ٧) ونشيد الأنشاد (نش ١: ١), ولذلك فهو تعبير عن الإمعان في البُطل أو تمامه. أي أن كل ما في العالم نتصور أن فيه سعادة, ليس إلا سراب خادع وكل كأس يقدمه العالم فيه لذة أو متعة إنما في آخره "يلسع كالحية ويلدغ كالأفعوان" (أم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢٣: ٣٢). واختبار سليمان المرير هنا, هو ذات اختبار لوط الذي جرى وراء مكاسب العالم"إِذْ كَانَ الْبَارُّ بِالنَّظَرِ وَالسَّمْعِ وَهُوَ سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ يُعَذِّبُ يَوْماً فَيَوْماً نَفْسَهُ الْبَارَّةَ (بأفعاله) الأَثِيمَةِ" (٢ بط ٢: ٨).

وقد عبّر أولاد الله في كل العصور عن تقديرهم لحياة الإنسان هنا على الأرض إن لم تكن تُقضى لواهبها فما أتفهها وليس لها أقل اعتبار. فيقول يعقوب أبو السباط "أَيَّامُ سِنِي غُرْبَتِي مِئَةٌ وَثَلاَثُونَ سَنَةً. قَلِيلَةً وَرَدِيَّةً" (تك ٤٧: ٩).

ويقول داود: "إِنَّمَا كَخَيَالٍ يَتَمَشَّى الإِنْسَانُ. إِنَّمَا بَاطِلاً يَضِجُّونَ. يَذْخَرُ ذَخَائِرَ وَلاَ يَدْرِي مَنْ يَضُمُّهَا" (مز ٣٩: ٦). ويقول موسى: "بِالْغَدَاةِ كَعُشْبٍ يَزُولُ. بِالْغَدَاةِ يُزْهِرُ فَيَزُولُ. عِنْدَ الْمَسَاءِ يُجَزُّ فَيَيْبَسُ. أَيَّامُ سِنِينَا هِيَ سَبْعُونَ سَنَةً وَإِنْ كَانَتْ مَعَ الْقُوَّةِ فَثَمَانُونَ سَنَةً وَأَفْخَرُهَا تَعَبٌ وَبَلِيَّةٌ" (مز ٩٠: ٥، ٦، ١٠).

"مَا الْفَائِدَةُ لِلإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ الَّذِي يَتْعَبُهُ تَحْتَ الشَّمس" (ع ٣)

إن الحكيم لا يقلل من قيمة العمل لأنه يقرر بالروح القدس "في كل تعب منفعة" (أم ١٤: ٢٣). فالعمل باجتهاد لابد أن يأتي بنتيجة ويعود على صاحبه بمنفعة في أي من وجوه الحياة, على سبيل المثال"نأكل تعب أيدينا" (مز ١٢٨: ٢). ولكن ما يقصده الحكيم هو أنه ليس تعب في الأرض يستطيع أن يشبع قلب الإنسان ليكون نصيباً أبدياً باقياً له أي لنفسه الخالدة وهنا يأتي سؤال رب سليمان وسيده الفاحص لكل شيء "لأَنَّهُ مَاذَا ينتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ" (مت ١٦: ٢٦).

"دَوْرٌ يَمْضِي وَدَوْرٌ يَجِيءُ وَالأَرْضُ قَائِمَةٌ إِلَى الأَبَدِ. وَالشَّمْسُ تُشْرِقُ وَالشَّمْسُ تَغْرُبُ وَتُسْرِعُ إِلَى مَوْضِعِهَا حَيْثُ تُشْرِقُ. اَلرِّيحُ تَذْهَبُ إِلَى الْجَنُوبِ وَتَدُورُ إِلَى الشِّمَالِ. تَذْهَبُ دَائِرَةً دَوَرَاناً وَإِلَى مَدَارَاتِهَا تَرْجِعُ الرِّيحُ. كُلُّ الأَنْهَارِ تَجْرِي إِلَى الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ لَيْسَ بِمَلآنَ. إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي جَرَتْ مِنْهُ الأَنْهَارُ إِلَى هُنَاكَ تَذْهَبُ رَاجِعَةً. كُلُّ الْكَلاَمِ يَقْصُرُ. لاَ يَسْتَطِيعُ الإِنْسَانُ أَنْ يُخْبِرَ بِالْكُلِّ. الْعَيْنُ لاَ تَشْبَعُ مِنَ النَّظَرِ وَالأُذُنُ لاَ تَمْتَلِئُ مِنَ السَّمْعِ" (ع ٤- ٨).

يقدم الحكيم خلاصة ما هو تحت الشمس. وفي الواقع هو يقدم في هذه الأعداد الخمسة خلاصة السفر كله أي خلاصة بحثه وتعبه في كل ما يمكن أن يخطر على بال إنسان تحت الشمس لكي يوفرّ علينا تعب الفكر والسعي الباطل.

أولاً: لإثبات أن الخليقة كلها تحمل طابع عدم الاستقرار المطلق لكي يرتفع القلب إلى ذاك الذي هو فوق الخليقة كلها وفوق الشمس"الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" يسوع المسيح هو أمساً واليوم وإلى الأبد" وهو ما قصد أن يعلن به عن ذاته في قوله المبارك "أهيه الذي أهيه" و"أنا هو" الكائن بذاته غير المتغير, راجع يع ١: ١٧ عب ١٣:٨, خر ٣:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢٤, إش ٤٣: ١٠, يو ٨: ٢٤ وهو المعبر عن ثباته بأنه هو الصخر الثابت منذ الأزل وإلى الأبد- الثابت في ذاته وفي صفاته وفي تحقيق كل مشاوراته.

ثانياً: يقرر الحكيم هنا ٦ وجوه مختلفة للأمور التي تحت الشمس يمكن أن يخدع بها الإنسان نفسه فيضع رجاءه عليها ليكون فيها شبع القلب.

الأول: دور يمضي ويجيء, بمعنى جيل يمضي وهكذا يفسح المجال لجيل آخر, هل جيلنا الحاضر كان أفضل من الجيل الماضي؟ لا ننكر أن هناك اكتشافات رهيبة فائقة التصور قدمت الكثير جداً من اختصار المجهود والوقت, ووفرت على الإنسان الكثير جداً من العناء. فهناك الاتصال الآلي أي الإنسان في بيته يمكن أن يتصل بأي مكان في العالم تليفونياً وكذلك السفر السريع المريح وقِس على ذلك في كل مجالات الحياة, لكن ما هي الحالة الأدبية والاجتماعية لجيلنا الحاضر بالنسبة للجيل الماضي؟ يقول الباحثون الاجتماعيون على مستوى العالم, أنه لو قُدر لآبائنا الذين سبقونا في الجيل الماضي أن يستفيقوا من قبورهم ساعة, لأسرعوا في الحال وواروا أنفسهم تحت التراب من هول المناظر, حالات الطلاق وتشريد الأطفال أمام المحاكم بلا حصر ولا عدد والاندفاع الإجرامي في أقدس الارتباطات- أمر مذهل: أم تقتل زوجها وابنها, قِس على ذلك الحوادث التي هزت العالم: خطف الطيارات بما فيها من ركاب آمنين وخطف السفن.

وواضح سر الخراب والتدهور المعلن عنه في الإنجيل من ألفي عام أنهم سيتقدمون إلى أردأ (٢ تي ٤) والسر هو رفض راية محبة الله المعلنة في إنجيل نعمته "ها قد رفضوا كلمة الرب فأية حكمة لهم" (إر ٨: ٧) "وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق مملوءين.. مشحونين.." (رو ١: ٢٦), "إن لم تؤمنوا إني أنا هو" هنا سر كل ضياع العالم, يهوه الخالق أتى إلى العلم ورفضه العالم لكن نشكر الله لأجل كل الذين قبلوه.

الثاني: الشمس تشرق والشمس تغرب.. الشمس في إشراقها تعلن عن مولد يوم جديد وهو يشير إلى الغد! الكلمة التي تداعب ذهن الإنسان باستمرار "غداً"- هذه إحدى الرايات التي في يد عدو النفوس التي يستخدمها كمخدر ليبعد النفس عن التفكير في إمكانية نهاية الحياة اليوم حيث تذهب إلى أبدية لا نهاية لها.

وهنا تبدو المباينة الشاسعة بين محطتي الإذاعة اللتين في العالم! هناك المحطة الخادعة العالية الصوت التي تقول للإنسان باق وقت طويل لك هنا, غداً يمكنك أن تعمل المستحيل, ما عجزت عنه أمس واليوم فالحل هو غداً وهكذا يحلق بالذهن في مخططات غداً "ويكون الغد كهذا اليوم عظيماً بل أزيد جداً" (أش ٥٦: ١٢).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهناك المحطة الأخرى الصادقة, كلمة الله الأمينة التي توجه النفوس إلى الأبدية وحسم الموقف هو اليوم, فالأبدية قد تبدأ اليوم بكل رهبتها وخطورتها وهذا هو اتجاه كل رجال الله الأفاضل الذين أُعطوا أن يكونوا معلمين لنا في كلمة الله .

اسمع ما يقوله موسى في صلاته المؤثرة في مز ٩٠: ١٢ "إحصاء أيامنا هكذا علمنا فنؤتى قلب حكمة". وماذا يقول داود أيضاً في صلاته مز ٣٩: ٤ "عرفني يا رب نهايتي ومقدار أيامي كم هي فأعلم كيف أنا زائل هو ذا جعلت أيامي أشباراً وعمري كلا شيء قدامك إنما نفخة كل إنسان قد جُعل إنما كخيال يتمشى الإنسان."

واستمع أيضاً إلى إنذار الرسول يعقوب بخصوص آمال الغد ومشروعاته "هلم الآن أيها القائلون نذهب اليوم أو غداً إلى هذه المدينة أو تلك وهناك نصرف سنة واحدة ونتجر ونربح أنتم الذين لا تعرفون أمر الغد لأنه ما هي حياتكم إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل" (يع ٤: ١٣) وهي ذات تحذير الحكيم نفسه في أم ٢٧: ١ "لا تفتخر بالغد لأنك لا تعلم ماذا يلده اليوم."

إلى أن أتى التعليم الكامل على فم السيد نفسه في قوله الكريم "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لكم فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه" (مت ٦: ٣٣, ١٦: ٢٦).

وقد أوضح له المجد كيف يداعب العدو ذهن البشر بآمال خادعة في ذلك الغني الذي قال "أهدم مخازني وأبني أعظم.. وأقول..... فإذا بالصوت الرهيب: يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك وهذه التي أعددتها لمن تكون"(لو ١٢: ١٨).

الثالث: الريح تذهب إلى الجنوب وتدور إلى الشمال تذهب دائرة دوراناً وإلى مداراتها ترجع الريح.

هنا نرى وجهاً آخر من خداع القلب ألا وهو التجوال لرؤية شعوب العالم ودراسة طباعها وعاداتها. لو أمكن لرحالة له إمكانيات أن يزور كل الشعوب في كل القارات, ما هي الخلاصة التي سيخرج بها؟ الإنسان أناني محب لذاته لذلك هو متصلف وقاسٍ. لن يرى دولة واحدة مهما كان مستواها المادي, إلا وسجونها مملوءة ومصحاتها العقلية والنفسية مكتظة بمن فيها بسبب انعدام الحنان والرفق. وهكذا يعود إلى وطنه بخيبة أمل ويعلم أن العلاج ليس في التجوال بين الشعوب لكن في ذاك الذي هو وحده مخلص العالم "وليس بأحد غيره الخلاص, واسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (أع ٤: ١٢, مت ١: ٢١).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرابع: كل الأنهار تجري إلى البحر والبحر ليس بملآن- النهر في الكتاب يشير إلى ما يمكن أن يروي النفس البشرية المملوءة بالعطش لذلك ليس لشعب الرب في كل العصور إلا نهر واحد فيه الارتواء الكامل الثابت الذي هو المسيا موضوع في نبوات العهد القديم, كما نراه بكل وضوح في العهد الجديد مخلصنا المحبوب المعبود ربنا يسوع المسيح. فنرى في جنة عدن نهراً واحداً يسقي كل الجنة ثم في سفر المزامير نسمع "نهر سواقيه تفرح مدينة الله مقدس مساكن العلى" (مز ٤٦: ٤) لذلك يهتف داود عن ارتواء شعب الرب منه "يروون من دسم بيتك ومن نهر نعمك (مسراتك) تسقيهم" (مز ٣٦: ٨).

وإلى نهاية الوحي حيث المشهد الأبدي ومشهد الملك الألفي ليس إلا نهر واحد ليروي العروس السماوية والعروس الأرضية (رؤ ٢٣), بينما في الوحي نسمع عن نهري دمشق أبانة وفرفر ونهري أور الكلدانيين أنهار مصر, لأن العالم له ينابيع متنوعة متعددة لمحاولة الارتواء الكاذب الخادع وكلها أنهار مسممة, فنسمع عن نهر الملذات والشهوات (يو ٤) "كل من يشرب من هذا الماء يعطش.." ونهر الثروة والمال "من يحب الفضة لا يشبع من الفضة ومن يحب الثروة لا يشبع من دخل" (جاه: ١٠), ونهر العظمة والسلطان كما ظهر في نبوخذ نصر (دا ٤) ونهر الذات وكبريائها كما ظهرت في هامان ونهر التدين الكاذب كما ظهر في الفريسيين.

شكراً للرب لأجل النهر الواحد الذي فيه لذتنا نحن المفيدين وفيه عبادتنا وفيه الارتواء الأمين الكامل الثابت "كَمَا يَشْتَاقُ الأَيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ هَكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا اللهُ" (مز ٤٢: ١).

الخامس: كل الكلام يقصر لا يستطيع الإنسان أن يخبر بالكل.

العين لا تشبع من النظر! هنا نرى محاولة أخرى لإشباع القلب البشري وهي عن طريق ما يمكن أن تراه العين من مناظر جذابة زائفة.

كم من مناظر في الطبيعة بديعة جداً تعبر عن عظمة الخالق نفسه, لكن لن يجد القلب شبعه وارتواءه فيها, بحيث تمتنع العين عن التأمل في مناظر أخرى. وهناك المعارض المتنوعة الأغراض في العالم وروادها بالملايين ولن تجد واحداً منهم وجد كفايته فيها بل هناك السؤال الدائم هل من مزيد؟ لكن شكراً للرب لأجل المنظر الواحد الذي إذ تنفتح البصيرة الداخلية لكي تراه بالإيمان, فهناك الارتواء بفرح غامر لا يُنطق به ومجيد الذي قال عنه الرسول يوحنا في آخر أيامه "اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ" (١ يو ١: ١)- أي الذي أطلنا التأمل والتفرس فيه, وطوال الأبدية لن يكون للمفديين منظر يُشبع ويروي نفوسهم إلا وجهه الكريم "وهم سينظرون وجهه" (رؤ ٢٢: ٤).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كم من الرفعة والسمو الروحي الآن إذ ندرب أنفسنا ليكون لنا العين المركزة عليه بالإيمان "لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرس فيه" (مز ٢٧: ٤), "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب... نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد كما من الرب الروح" (٢ كو ٣:١٨).

كما أننا من الناحية الأخرى ليت لنا الحرص الشديد على نظراتنا حتى لا نلتفت إلى مناظر العالم التي يريد بها العدو إثارة شهواتنا فيعطل أفراحنا وهذا ما عبر عنه السيد بالقول "فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وألقها عنك" (مت ٥: ٩).

والمقصود بالعين اليمنى واليد اليمنى إن أعظم الأشياء التي لها قيمة عظيمة ونافعة لنا لن تعيقنا عن إدانة ذواتنا إدانة كاملة إذا ما وجدنا في قلوبنا تحولاً عن الرب.

السادس: والأذن لا تمتلئ من السمع- كم من محطات إذاعة في العالم لها نشرات إخبارية متعددة طوال اليوم, بخلاف البرامج الأخرى من أحاديث وتمثيليات, وهكذا ينتهي اليوم وأذن المستمع لم تجد ما فيه كفايتها وشبعها بل هي أكثر فراغاً من بداية اليوم. لكن شكراً لذاك الذي في صوته الكريم كل الشبع لآذاننا لأنه لا يصل إلى الأذن الخارجية لكنه يصل إلى الأذن الخارجية لكنه يصل إلى الأذن الداخلية غير المنظورة- إلى القلب والأحشاء. وخزافه لها الحساسية المرهفة أن تميز صوته عن صوت الغريب (يو ١٠) لأن صوته كان هو مصدر الحياة الأبدية لها "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ" (يو ٥: ٢٥), لذلك طول الطريق ليس لها شبع ولا راحة إلا في الجلوس عند قدميه حيث تمتلئ الأذن من أقواله الغالية "تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقي" (نش ٢: ٣) كما كانت مريم تجلس عند قدميه تسمع كلامه (لو ١٠).

ليت كل إنسان يتعقل ويفهم أن الأذن مسئولة أمام خالقها "لأن الأذن تمتحن الأقوال كما أن الحنك يذوق طعاماً. لنمتحن لأنفسنا الحق ونعرف بين أنفسنا ما هو طيب " (أي ٣٤: ٣, ٤).

"ما كان فهو ما يكون والذي صنع فهو الذي يصنع فليس تحت الشمس جديد. إن وجد شيء يُقال عنه أنظر هذا جديد فهو منذ زمان كان في الدهور التي كانت قبلنا" (ع ٩، ١٠).

المقصود بالشيء الجديد الذي يبحث عنه الجامعة, شيء جديد يمكن أن يشبع النفس ويملأها بالسلام والسعادة الحقيقية.

وهذا يحيى فينا الشعور بالحاجة إلى البركات الروحية السماوية الأبدية حيث نجد كل شيء جديداً. فبالإيمان بالفداء الذي بربنا يسوع المسيح, ينشيء الله فينا طبيعة جديدة مقدسة سماوية "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت هو ذا الكل قد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

صار جديداً" (٢ كو ٥: ١٧), وأيضاً يضع في أفواهنا ترنيمة جديدة (مز ٤٠: ٣, رؤ ٥: ٩) وسيعطي في الأبدية كل واحد منا اسماً جديداً (رؤ ٢: ١٧, ٣: ١٢) وسيصير كل شيء جديداً, سماوات جديدة وأرضاً جديدة (رؤ ٢١: ٥) .

"لَيْسَ ذِكْرٌ لِلأَوَّلِينَ. وَالآخِرُونَ أَيْضاً الَّذِينَ سَيَكُونُونَ لاَ يَكُونُ لَهُمْ ذِكْرٌ عِنْدَ الَّذِينَ يَكُونُونَ بَعْدَهُمْ" (ع ١١).

"ليس ذكر" بمعنى ليس اعتبار لتحذيرات وإنذارات ودروس عبر الأجيال السابقة عند الأجيال التي أتت بعدها.

لقد تعثرت قدما رجل الله المبارك داود في خطية تعدد الزوجات لأنه لم يحكم على نفسه ويدرب نفسه على الضبط المقدس والقناعة, إلى أن سقط سقطته الرهيبة المُرة. هل اعتبر سليمان بما حدث لأبيه, هل دموع داود والذل الذي رآه وهو تحت عصا التأديب- هل كل ذلك كان له وزنه في حياة سليمان وتصرفه في هذا الأمر بالذات. كم زاد وزاد انحراف هذا الملك العظيم إلى أن انحنى لبعل زوجاته الوثنيات.

لم يعتبر داود بسقطة شمشون من جهة ضبط شهوة الجسد فكان سقوطه أعظم, ولم يعتبر سليمان بسقطة داود فكان الانحراف المُرّ الرهيب.

ليتنا نعي ونتعقل وقد حرص الروح القدس على تسجيل هذه الأمور في حياة هؤلاء الرجال مع أنها مشينة لهم, لكن لكي نعتبر نحن "وهذه الأمور حدثت لهم مثالاً وكُتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور" (١ كو ١٠)

"أَنَا الْجَامِعَةُ كُنْتُ مَلِكاً عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي أُورُشَلِيمَ. وَوَجَّهْتُ قَلْبِي لِلسُّؤَالِ وَالتَّفْتِيشِ بِالْحِكْمَةِ عَنْ كُلِّ مَا عُمِلَ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ. هُوَ عَنَاءٌ رَدِيءٌ جَعَلَهُ اللَّهُ لِبَنِي الْبَشَرِ لِيَعْنُوا فِيهِ" (ع ١٢, ١٣).

لا يريدنا أن ننسى أن اختباراته هذه التي يسجلها لنا, كان فيها أرفع حاكم على الأرض, وفي متناوله كل المصادر والينابيع التي من مقتضيات مركزه العالي, وهكذا يحملنا أن نصغي بأعمق احترام وانتباه.

أي وهو في كل مجده وحدّ أهدافه واتجه بكلياته "للسؤال والتفتيش" فما من طريق تصور أنها تؤدي إلى السعادة إلا وسلكها, ما من متعة تنكب عنها. ما من جهد رآه ينتهي إلى الشبع والراحة إلا وبذله.

ولم يكن سعيه سعى الإنسان السطحي لكنه دخل إلى أعماق الأمور وبحثها بحثاً دقيقاً شاملاً. ولم يكن سعيه سعى الرجل الجاهل لأنه وجه قلبه للسؤال والتفتيش بالحكمة, وماذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كانت النتيجة؟ وجد أن هذا كله عناء رديء أي عمل مضن مُنهِك للقوى جداً. "وأعطاه الله لبني البشر ليعنوا فيه"!!!! عجباً هل كان هذا قصد الله المحب؟ يقول الفاهمون في العبري "ليعنوا به" أي ليتدربوا به, وهكذا يقودهم إلى الاتضاع أمامه وهنا البركة العظمى, حيث يأتي بهم القدير إلى مصدر الشبح الحقيقي مسيا العهد القديم الذي هو ربنا يسوع المسيح.

"رَأَيْتُ كُلَّ الأَعْمَالِ الَّتِي عُمِلَتْ تَحْتَ الشَّمْسِ فَإِذَا الْكُلُّ بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ" (ع ١٤).

في ع ٢ يصرح الجامعة أن الكل باطل أي بدون قيمة, بلا نفع حقيقي أو فائدة باقية, أما هنا فيضيف كلمة "وقبض الريح" أو انقباض الروح وتأتي ٧ مرات في هذا السفر ص ١: ١٤, ٢: ١١, ١٧, ٢٦, ٤: ٥, ٦: ١٦؛ ٩- هذه هي الخلاصة التي ينبغي أن تستقر في أعماق قلوبنا, لا فائدة حقيقية باقية في كل ما أعمله لنفسي تحت الشمس بل سأخرج بما هو أتعس وهو انقباض الروح. لذلك ليتنا نصغي إلى صيحة الرسول العظيم "إِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ. اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لاَ بِمَا عَلَى الأَرْضِ" (كو ٣: ١,٢) فالتعب الذي له منفعة حقيقية باقية ويملأ القلب بالفرح, هو التعب لأجل ذاك الذي هو فوق الشمس "مكثرين في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب" (١ كو ٥: ٥٧).

"اَلأَعْوَجُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَوَّمَ وَالنَّقْصُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُجْبَرَ" (ع ١٥).

فضلاً عما وجده الجامعة من خيبة أمل وقبض الروح في كل ما يُعمل تحت الشمس, لكنه وجد أيضاً كل شيء خاطئاً وناقصاً وأنه لا قوة له على تصحيح الأمور, لأنه لا توجد قوة تحت الشمس تستطيع أن تغير الطبيعة الساقطة التي في الإنسان التي هي نبع كل اعوجاج ونقص وتشويش "هل يغير الكوشي جلده أو النمر رقطه فأنتم أيضاً تقدرون أن تصنعوا خيراً أيها المتعلمون الشر" (ار ١٣: ٢٣).

لكن شكراً لمن هو فوق الشمس وأتى إلى أرضنا وأعلن أنه هو الذي يعطي الولادة من فوق (يو ١, ٣).

"أَنَا نَاجَيْتُ قَلْبِي قَائِلاً: «هَا أَنَا قَدْ عَظُمْتُ وَازْدَدْتُ حِكْمَةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ مَنْ كَانَ قَبْلِي عَلَى أُورُشَلِيمَ وَقَدْ رَأَى قَلْبِي كَثِيراً مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَعْرِفَةِ» (ع ١٦).

هنا نعثر على سر خيبة سليمان, فقد استصحب في داخله رفيقاً أو مشيراً لا يؤتمن وهو قلبه. أي أنه كان هو وقلبه وحدهما. إنه لمن الخطر والباطل أن يستشير الإنسان أو يناجي قلبه أي ميوله وعواطفه الشخصية بدون الاحتكام إلى نور الكلمة الفاحص الممحص والذي يحكم على كل شيء بحسب الموازين الإلهية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إذا لا تأخذ لكَ يا صديقي مشيراً من قلبك ما دامت المحبة الإلهية قد وضعت الحكمة والمعرفة المطلقة تحت تصرف الإيمان المتواضع وذلك في الرب يسوع المسيح "الذي صار لنا حكمة من الله" (١ كو ١: ٣٠). والذي يقول له المجد "أنا الحكمة.. لي المشورة والرأي أنا الفهم" (أم ٨: ١٢, ١٤). ويقرر سليمان قائلاً "وازددت حكمة أكثر من كل مَنْ كان قبلي على أورشليم"- يقصد هنا إيثان وهيمان وكلكول ودردع (١مل ٤: ٣١).

"وَوَجَّهْتُ قَلْبِي لِمَعْرِفَةِ الْحِكْمَةِ وَلِمَعْرِفَةِ الْحَمَاقَةِ وَالْجَهْلِ. فَعَرَفْتُ أَنَّ هَذَا أَيْضاً قَبْضُ الرِّيحِ" (ع ١٧) .

اتجه الجامعة بكلياته لمعرفة الحكمة ودراسة مبادئها, لعله يجد في ذلك راحة, وما أعجب التقرير! قبض الريح أو جرى وراء الريح! فدراسة الحكمة بدون الشركة وفرح القلب بمن هو في ذاته الحكمة الأزلي, لم يحصل سليمان على ما كان يتوقعه. فتحول عنها إلى الحماقة والجهل أي الجنون والتهور, فلم يكن نصيبه من هذه أفضل من سابقتها.

" لأَنَّ فِي كَثْرَةِ الْحِكْمَةِ كَثْرَةُ الْغَمِّ وَالَّذِي يَزِيدُ عِلْماً يَزِيدُ حُزْناً" (ع ١٨).

كلما تعمق في دراسة مبادئ الحكمة, كلما رأى في نفسه عجزاً عن السلوك في هذه المبادئ, لأن نظره مثبت على ذاته وإمكانياته الشخصية. وهو ذات اختبار رومية ٧ حيث نسمع "ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت" وهنا ذات الاختبار- كثرة الغم, وهو ذات القاعدة في القول التالي "الذي يزيد علماً يزيد حزناً". كلما تعمق الإنسان في العلوم بكل فروعها كلما تكشفت له تفاهة الإنسان أمام الطبيعة وهنا الحزن الزائد, لكن لنسمع هتاف الرسول في رو ٧ إذ يرفع قلب المؤمن من النظر إلى ذاك الذي فيه كل الكفاية وكل النصرة "أشكر الله بيسوع المسيح ربنا" (رو ٧: ٢٤, ٢٥).

وكذلك في العلم الكثير بحسب الطبيعة الحزن الزائد كما قرر الحكيم, لكن هناك علماً آخر وهو علم الكتاب عند قدمي السيد نفسه خالق الكون كله وهو الذي في كلمته أعطى ما هو لازم من جهة أصول الأشياء وكيف تكونت وأخذت كيانها, وما هو غرضه من خلقها ولكن فوق الكل أعلن في كلمته عن قلبه من جهتي وما ذخره وهذا القلب الكريم لي. لذلك يهتف الرسول قائلاً أن سر انتصار سعيه المقدس هو "بل في كل شيء نُظهر أنفسنا كخدام الله في صبر كثير... في طهارة في علم في أناة في لطف في الروح القدس في محبة بلا رياء" (٢ كو ٦: ٤, ٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأصحاح الثاني

"قُلْتُ أَنَا فِي قَلْبِي: هَلُمَّ أَمْتَحِنُكَ بِالْفَرَحِ فَتَرَى خَيْراً. وَإِذَا هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ. لِلضَّحْكِ قُلْتُ: مَجْنُونٌ وَلِلْفَرَحِ: مَاذَا يَفْعَلُ؟ (ع ١، ٢).

انتهى اختبار الحكيم في نهاية الأصحاح الأول بأن الحكمة جلبت عليه غماً عظيماً, لأنه كما توضح رأى عجزه الكامل في السلوك في مبادئها, فبدلاً من الاتجاه السليم المقرر في نهاية رو ٧ إلى القوة في ذاك الذي هو الحكيم الأزلي, نراه هنا يتحول إلى الجانب الآخر, إلى تلك المباهج والملذات التي قد يجد فيها الجسد متعة "قلت أنا في قلبي هلم أمتحنك بالفرح "أي أرى ما إذا كنت أستطيع أن أشبعك بالملذات وإذا هذا أيضاً باطل.

اختبر أيضاً الضحك وهو المرح في أقصى حدوده, فإذا هو جنون لأنه يسلب الحكيم وقاره واتزانه. ثم يقرر ماذا يستطيع أن يفعله المرح بكل ما تحمله الكلمة من معاني الطرب والانغماس في الملذات, إنها لا تستطيع أن تجلب سعادة حقيقية أو شبعاً أو كفاية, بل هي في الحقيقة تقود الناس إلى البعد عن طريق الله "يحملون الدف والعود ويطربون بصوت المزمار.. ويقولون لله أبعد عنا وبمعرفة طرقك لا نُسّر من هو القدير حتى نعبده وماذا ننتفع إن التمسناه" (أى ٢١: ١٢).

"اِفْتَكَرْتُ فِي قَلْبِي أَنْ أُعَلِّلَ جَسَدِي بِالْخَمْرِ وَقَلْبِي يَلْهَجُ بِالْحِكْمَةِ وَأَنْ آخُذَ بِالْحَمَاقَةِ حَتَّى أَرَى مَا هُوَ الْخَيْرُ لِبَنِي الْبَشَرِ حَتَّى يَفْعَلُوهُ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ مُدَّةَ أَيَّامِ حَيَاتِهِمْ" (ع ٣).

إذ لم يجد سليمان سعادته في الطرب, تحول إلى الخمر ليختبر حظه منه, رغم أنه حذر منها بشدة في أمثاله (أم ٢٠: ١, ٢٣: ٢٠). "قلبي يلهج بالحكمة"- هذه جملة معترضة قصد بها الحكيم أنه في حالة شربه الخمر لم يتخل عن حكمته, حتى لا تفقده الخمر اتزانه ووقاره وتقديره, بل كان في تصميمه أن يضبط شهواته. لكن الحقيقة أثبتت خلاف ذلك, ما أبعد الفرق بين تصميم سليمان الفاشل وبين تصميم دانيال "وأما دانيال فجعل في قلبه أن لا يتنجس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه" (دا ١: ٧).

كانت حكمة دانيال أسمى بكثير من حكمة سليمان, لأنها كانت مقترنة بالشركة العميقة مع رب الحكمة, وهكذا أغلق الباب تماماً أمام كل المنافذ التي تعطل شركته لحظة واحدة.

لا فائدة من أي تصميم إن لم يكن مقترناً بالفهم الصحيح لحقيقة عجز المؤمن تماماً وأنه بدون الرب يسوع المسيح لا نستطيع أن نفعل شيئاً (يو ١٥: ٥).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ليتنا نتبع مدرسة وبولس في التصميم النابع من سكب القلب والاتضاع عند قدمي ربنا يسوع المسيح مصدر القوة الوحيد. هنا فقط استطاع بولس أن يقرر عن اختبار مكلل بالنجاح "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" (في ٤: ١٣).

"فَعَظَّمْتُ عَمَلِي بَنَيْتُ لِنَفْسِي بُيُوتاً غَرَسْتُ لِنَفْسِي كُرُوماً. عَمِلْتُ لِنَفْسِي جَنَّاتٍ وَفَرَادِيسَ وَغَرَسْتُ فِيهَا أَشْجَاراً مِنْ كُلِّ نَوْعِ ثَمَرٍ. عَمِلْتُ لِنَفْسِي بِرَكَ مِيَاهٍ لِتُسْقَى بِهَا الْمَغَارِسُ الْمُنْبِتَةُ الشَّجَرَ. قَنِيتُ عَبِيداً وَجَوَارِيَ وَكَانَ لِي وُلْدَانُ الْبَيْتِ وَكَانَتْ لِي أَيْضاً قِنْيَةُ بَقَرٍ وَغَنَمٍ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا فِي أُورُشَلِيمَ قَبْلِي. جَمَعْتُ لِنَفْسِي أَيْضاً فِضَّةً وَذَهَباً وَخُصُوصِيَّاتِ الْمُلُوكِ وَالْبُلْدَانِ. اتَّخَذْتُ لِنَفْسِي مُغَنِّينَ وَمُغَنِّيَاتٍ وَتَنَعُّمَاتِ بَنِي الْبَشَرِ سَيِّدَةً وَسَيِّدَاتٍ. فَعَظُمْتُ وَازْدَدْتُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلِي فِي أُورُشَلِيمَ وَبَقِيَتْ أَيْضاً حِكْمَتِي مَعِي. وَمَهْمَا اشْتَهَتْهُ عَيْنَايَ لَمْ أُمْسِكْهُ عَنْهُمَا لَمْ أَمْنَعْ قَلْبِي مِنْ كُلِّ فَرَحٍ لأَنَّ قَلْبِي فَرِحَ بِكُلِّ تَعَبِي وَهَذَا كَانَ نَصِيبِي مِنْ كُلِّ تَعَبِي. ثُمَّ الْتَفَتُّ أَنَا إِلَى كُلِّ أَعْمَالِي الَّتِي عَمِلَتْهَا يَدَايَ وَإِلَى التَّعَبِ الَّذِي تَعِبْتُهُ فِي عَمَلِهِ فَإِذَا الْكُلُّ بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ وَلاَ مَنْفَعَةَ تَحْتَ الشَّمْسِ" (ع ٤- ١١).

إذ أدرك سليمان أنه من الحماقة أن يُسعد نفسه بالخمر عزم على أن يجرب مسرات الملوك والأمراء والعظماء, فبنى البيوت وغرس الكروم, وعمل الجنات والفراديس, وعمل برك المياه, ويملؤها جميعاً كل ما تستطيع نفس أن تتمتع به وقد كانت الموارد التي تحت إمرته لا تفرغ. وتصور أنه في وقت قريب سيلقي نظره على كل العمل الذي عمله, فيستريح مستمتعاً بجهده الذي بذله. على انه ما إن وصل إلى نهاية المطاف, بعد أن امتحن كل لذة, إذا بفمه يمتلئ شكوى ومرارة وأنات الأسى.

إيه يا ذا الجامعة العظيم, يا من كانت الدنيا بأسرها تحت أمرك يوم ذاك, هل مكنتك تلك المشتهيات المنطلقة التي لا تقف عند حد من الراحة والسعادة المنشودة. بعدما ألقيت بالكل في تلك الهاوية الجائعة إذا بها لا تزال خاوية. ليتنا أمام هذا الاختبار المر نسرع إلى ذاك الذي وحده يستطيع أن يروي النفس ارتواء كاملاً وإلى الأبد.

»إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي كَمَا قَالَ الْكِتَابُ تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ» (يو ٧: ٣٧)- ما أروعك يا راعي نفوسنا وأسقفها! فليس فقط تنكسر حدة العطش, بل فيض من المياه ينساب إلى الآخرين العطش. ليس فقط أن الفراغ يمتلئ بل هناك فيض من البركة يجري سلسبيلاً.

مفارقة عجيبة حقاً, صفحة قاتمة يرسمها أعظم وأغنى ملك, لكن هناك صفحة ناصعة الجمال يرسمها إناء فقير بلا دار تأويه, إذ امتلأ قلبه بالينبوع الحي, استطاع أن يقرر "كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِماً فَرِحُونَ كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ كَأَنْ لاَ شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ"(٢ كو ٦: ١٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إذاً ما هو الاستنتاج الأمين الصادق الذي نستخلصه من هاتين الصورتين؟ هو أن الرب يسوع المسيح الإنسان السماوي الفريد صاحب الكمالات المطلقة, وفيه يحل كل ملئ اللاهوت, يسمو بما لا يقاس على العالم بأسره في إشباع قلب الإنسان الجائع. فالمسيح هو الكل في الكل للنفس التي ترجو السعادة في الحياة سواء في الاختبارات الزمنية كما هو الحال مع سليمان أو في العبادة وإرضاء الله كما هو اختبار رو ٧.

"ثُمَّ الْتَفَتُّ لأَنْظُرَ الْحِكْمَةَ وَالْحَمَاقَةَ وَالْجَهْلَ. فَمَا الإِنْسَانُ الَّذِي يَأْتِي وَرَاءَ الْمَلِكِ الَّذِي قَدْ نَصَبُوهُ مُنْذُ زَمَانٍ" (ع ١٢).

لقد سجل سليمان اختباره المر في نهاية الأصحاح الأول عن تعمقه في دراسة الحكمة في مبادئها وخرج من هذه الدراسة بكثرة الغم, لأنه اكتشف عجزه الكامل في ذاته عن السلوك فيها. ثم تحول إلى الحماقة والجهل فوجد فيهما انقباض روحه.

فهو هنا يقول لنا إن كان هذا هو تقريره كالملك سليمان, فلا داعي إذاً لأي إنسان بعده أن يغرّق نفسه فيما غرق هو أولاً فيه, وذلك بكل إمكانياته الفائقة.

"فَرَأَيْتُ أَنَّ لِلْحِكْمَةِ مَنْفَعَةً أَكْثَرَ مِنَ الْجَهْلِ كَمَا أَنَّ لِلنُّورِ مَنْفَعَةً أَكْثَرَ مِنَ الظُّلْمَةِ" (ع ١٣).

إن الحكمة للنفس, مثل النور للجسد, تكشف الطريق وتُنير السبيل, أما الجهل فهو كالظلام الذي يسدل ستائره على الذهن فيظلمه. ولا ننسى أننا نحن المؤمنين كنا قبلاً في دائرة الجهل والظلمة, ولكن "شَاكِرِينَ الآبَ الَّذِي أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقِدِّيسِينَ فِي النُّورِ الذي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ، الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا" (كو ١: ١٢).

"اَلْحَكِيمُ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ. أَمَّا الْجَاهِلُ فَيَسْلُكُ فِي الظَّلاَمِ. وَعَرَفْتُ أَنَا أَيْضاً أَنَّ حَادِثَةً وَاحِدَةً تَحْدُثُ لِكِلَيْهِمَا" (ع ١٤).

نرى هنا انطباع الحكمة في الحياة العملية للحكيم, كما الجهل أيضاً في حياة الجاهل. والتعبير "عيناه في رأسه" بمعنى التعقل ليرى موضعاً لقدميه قبل كل خطوة ومغبوط هو المؤمن- المُشار إليه بالحكيم هنا- الذي في شركة عميقة مع الرب يتعقل ليرى عواقب الأمور, وهكذا يتجنب مواقف صعبة "من قِبلْ الرب تتثبت خطوات الإنسان وفي طريقه يُسّر" (مز ٣٧: ٢٣), "الحكمة عند الفهيم أما عينا الجاهل في أقصى الأرض" (أم ١٧: ٢٤) فهو يعيش بلا هدف ويهيم ببصره هنا وهناك, لاشيء سوى الفراغ والبُطل في القلب والذهن "إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله بسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم" (أف ٤: ١٧)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"فقُلْتُ فِي قَلْبِي: كَمَا يَحْدُثُ لِلْجَاهِلِ كَذَلِكَ يَحْدُثُ أَيْضاً لِي أَنَا وَإِذْ ذَاكَ فَلِمَاذَا أَنَا أَوْفَرُ حِكْمَةً؟ فقلت في قَلْبي هذَا أَيْضاً بَاطِلٌ" (ع ١٥).

يتساءل الحكيم: إن كنت رغم حكمتي سأصل كغيري إلى الموت فما الفضل في إني صرت أكثر حكمة من غيري؟ وأسفاه! هذا هو أحكم إنسان إذ انحصر نظره وفكره في الأمور التي تحت الشمس, هاهي الموازين ترتبك فيرى الموت كارثة كبرى تنهى كل نشاطه وكل حكمته. ما أبعد الفارق بين هذه النظرة وهذا التقدير, وبين نظرة وتقدير قلب شبع بمن هو فوق الشمس "برأيك تهديني وبعد إلى مجد تأخذني", "لي اشتهاء ان أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً" (مز ٧٣: ٢٤, في ١: ٢١). "لأنهُ لَيْسَ ذِكْرٌ لِلْحَكِيمِ وَلاَ لِلْجَاهِلِ إِلَى الأَبَدِ كَمَا مُنْذُ زَمَانٍ كَذَا الأَيَّامُ الآتِيَةُ الْكُلُّ يُنْسَى وَكَيْفَ يَمُوتُ الْحَكِيمُ كَالْجَاهِلِ؟ فَكَرِهْتُ الْحَيَاةَ لأَنَّهُ رَدِيءٌ عِنْدِي الْعَمَلُ الَّذِي عُمِلَ تَحْتَ الشَّمْسِ لأَنَّ الْكُلَّ بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ" (ع ١٦, ١٧).

إذ ارتسم الموت أمام الحياة التي تحت الشمس وكل التفكير فيما يقال تحت الشمس, ولو كانت حياة أغنى وأعظم واحكم إنسان على الأرض, ها هي النتيجة انه لا يجد لذة في حياته هنا بل يكرهها! لكن ما أروع الحياة التي يملؤها ذاك الذي ليس مثله فوق أو تحت الشمس.

كم كانت الحياة هنا على الأرض متعة رائعة جداً بالنسبة لبولس بالرغم من الضربات والسجون والاضطرابات, في الشدائد والضرورات والضيقات (٢ كو ٦: ٤) وذلك لأن مسيح الله المبارك المحبوب المعبود, كان هو الذي يحيا في بولس "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ إِيمَانِ ابْنِ اللهِ الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي" (غل ٢: ٢٠).

سليمان يرى كل ما عمله "رديء عندي العمل الذي عمل تحت الشمس لأن الكل باطل وقبض الريح" بينما بولس شاكر الله جداً من أجل كل ما عمله هنا على الأرض وفخور به, ويرسمه أمام المؤمنين في كل العصور كقدوة. وذلك لأن عمل سليمان كان لنفسه وكل محوره تحت الشمس, لكن عمل بولس كان لأجل ربنا يسوع المسيح ولمجده فقط وكل محوره أن يتعظم المسيح ويتعالى ويكرم اسمه المجيد المعبود لأنه يستحق.

كان عمل سليمان نابعاً من نفسه لأجل إسعادها, أما عمل بولس كان نابعاً من المسيح ليرجع للمسيح ويسعد الآخرين "وأما أنا فبكل سرور أُنفِق وأُنفَق لأجل أنفسكم" (٢ كو ١٢: ١٥).

وكان بولس إناء للكرامة يستمتع بيد السيد وهي تحركه في مخطط سماوي رائع جميل تظهر فيه كمالات المسيح وأمجاده وفضائله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"فَكَرِهْتُ كُلَّ تَعَبِي الَّذِي تَعِبْتُ فِيهِ تَحْتَ الشَّمْسِ حَيْثُ أَتْرُكُهُ لِلإِنْسَانِ الَّذِي يَكُونُ بَعْدِي. وَمَنْ يَعْلَمُ هَلْ يَكُونُ حَكِيماً أَوْ جَاهِلاً وَيَسْتَوْلِي عَلَى كُلِّ تَعَبِي الَّذِي تَعِبْتُ فِيهِ وَأَظْهَرْتُ فِيهِ حِكْمَتِي تَحْتَ الشَّمْسِ. هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ فَتَحَوَّلْتُ لِكَيْ أَجْعَلَ قَلْبِي يَيْأَسُ مِنْ كُلِّ التَّعَبِ الَّذِي تَعِبْتُ فِيهِ تَحْتَ الشَّمْسِ. لأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ إِنْسَانٌ تَعَبُهُ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَبِالْفَلاَحِ فَيَتْرُكُهُ نَصِيباً لإِنْسَانٍ لَمْ يَتْعَبْ فِيهِ. هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ وَشَرٌّ عَظِيمٌ. لأَنَّهُ مَاذَا لِلإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ وَمِنِ اجْتِهَادِ قَلْبِهِ الَّذِي تَعِبَ فِيهِ تَحْتَ الشَّمْسِ "لأَنَّ كُلَّ أَيَّامِهِ أَحْزَانٌ وَعَمَلَهُ غَمٌّ أَيْضاً بِاللَّيْلِ لاَ يَسْتَرِيحُ قَلْبُهُ هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ هُوَ" (ع ١٨- ٢٣).

في هذه الأعداد ينتقل الحكيم إلى التأمل لا في الأعمال التي عملها كما رأينا في ع ١٨, لكن في التعب والمجهود الذي بذله في إخراج هذه الأعمال:

أولاً: قلبه يمتلئ باليأس والقنوط لأنه بانتهاء حياته, سيضع إنسان آخر يده على كل ما تعب فيه سليمان, وقد استخدم كل حكمته وكل معرفته في هذا التعب, وتأوهات الأسى هي أن الذي يأتي بعده قد يكون إنساناً جاهلاً. وقد حدث فعلاً إذ جاء ابنه رحبعام وأفسد كل شيء, ولم تمضي خمس سنوات من موت سليمان حتى جاء شيشق ملك مصر ووضع يده على كل شيء نتيجة لجهل رحبعام, هكذا امتدت عليه يد الرب بالتأديب هو وكل المملكة.

ثانياً: هو يتذكر أن تعبه في انجاز هذه الأعمال كان مقترناً بالحزن والغم والقلق بالليل والنهار, بسبب انحصار السعي في ما هو تحت الشمس الذي طابعه عدم الاستقرار وعدم الثبات ومعرض للزوال في أية لحظة.

-ما أبعد الفارق بين تعب سليمان وتعب بولس:

أولاً. تعب بولس هو صدى لدين المحبة العظيم- محبة المسيح إذ يقول عنه "الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي "لأن محبة المسيح تحصرنا.. كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لجلهم وقام" (٢ كو ٥: ١٥).

ثانياً. تعب بولس سوف لا يتركه لنفوس تعبث به وتتلفه, ولكن لكي تحيا هذه النفوس وتسعد وتتبارك في المسيح هنا وأبدياً.

ثالثاً. هذه النفوس بدورها تتعب لكي تأتي بنفوس أخرى, وهذا يعني أن تعب بولس ممتد في هذه النفوس الجديدة. وفي الحقيقة تعب بولس و الرسل جميعاً وكل المفيدين في تدبير النعمة ليس إلا امتداد للتاعب الحقيقي, الذي في لاهوته لا يكل ولا يعيا ليس عن فهمه فحص, لكن إذ جاء إلى أرضنا كان هو التاعب الحقيقي لأجل مجد الله ولأجل كنيسة الله. وقد صرح بولس بهذه الحقيقة قائلاً "وأكمل نقائص شدائد المسيح" (كو ١: ٢٤) أي أنه له المجد تعب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التعب المجيد اللامع إلى الأبد,لكنه ترك نصيباً لكل مؤمن لكي يشترك في هذا التعب لأجل مجد الله ولأجل إكمال عدد العروس.

رابعاً. تعب بولس بقوة الروح القدس لذلك ليس في قاموسه إطلاقاً كلمة يأس أو فشل بالرغم من الأهوال التي واجهته في طريق الخدمة لأجل سيده العظيم المحبوب المعبود. وطابعه باستمرار أن الله "لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح" (٢ تي ١: ٧) والراية الكبيرة التي كان يسير تحتها "شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين ويظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان" (٢ كو ٢: ١٤). ما أعجب الختم الذي يضعه سليمان على تعبه وعمله:

-كرهت كل تعبي ع ١٨

-تحولت لكي أجعل قلبي ييئس ع ٢٠, وذلك مصيبة عظيمة.

-ترك تعبه لإنسان يُعّد في موازينه شر عظيم ع ٢١

-عمله مقترن بالحزن والغم والقلق ع ٢٣

وواضح فيما تقدم أن تعب بولس على النقيض من هذه كلها تماماً.

"لَيْسَ لِلإِنْسَانِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ وَيُرِيَ نَفْسَهُ خَيْراً فِي تَعَبِهِ. رَأَيْتُ هَذَا أَيْضاً أَنَّهُ مِنْ يَدِ اللَّهِ" (ع ٢٤).

قصد الحكيم أنه خير للإنسان أن يتمتع بما يعطيه له الله من بركات, وأن يشعر بالرضى عن العمل المعين له من الله ويتذوق لذة التعب فيه. وهكذا يصل إلى هذه النتيجة المذلة للكبرياء البشرية وهي أن الإنسان في ذاته عاجز كل العجز أن يجعل حياته سعيدة, إن لم يقبل الأمور من يد الله المحب.

"لأَنَّهُ مَنْ يَأْكُلُ وَمَنْ يَلْتَذُّ غَيْرِي" (ع ٢٥)

يقرر سليمان هنا بأنه هو القمة في الأطعمة والتلذذ بها لكن لم يكن لها أي طعم أو لذة بدون قبولها من يد الله.

"لأَنَّهُ يُؤْتِي الإِنْسَانَ الصَّالِحَ قُدَّامَهُ حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً وَفَرَحاً أَمَّا الْخَاطِئُ فَيُعْطِيهِ شُغْلَ الْجَمْعِ وَالتَّكْوِيمِ لِيُعْطِيَ لِلصَّالِحِ قُدَّامَ اللَّهِ هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ" (ع ٢٦)

في هذه الأقوال يعود سليمان إلى أيام الشركة السعيدة عندما كان متمتعاً بالحكمة والمعرفة والفرح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعلى عكس ذلك الخاطئ فإنه لا يحصد من وراء كده واجتهاده سوى التعب والعناء والأنين المّر, وما يجمعه ويكومه يرثه الصديق "ثروة الخاطئ تذخر للصديق" (أم ١٣: ٢٢). أيضاً "تُجمع لمن يرحم الفقراء" (أم ٢٨: ٨) وأيضاً "إن كنز فضة كالتراب واعد ملابس كالطين فهو يعد والبار يلبسه والبريء يقسم الفضة" (أي ٢٧: ١٦, ١٧). ليتنا نسمع نصيحة الرسول بالروح القدس:

"إذاً يا إخوتي الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب" (١ كو ١٥: ٥٨) فما من كأس ماء بارد نقدمه في اسم ربنا يسوع المسيح إلا وله أجره ونفوز في الوقت المعين بابتسامة ربنا يسوع المسيح واستحسانه ومديحه عن قريب.

ما أروع المباينة فكل تعب للذات هو باطل وباطل الأباطيل وكل تعب لربنا يسوع المسيح ليس باطلاً على الإطلاق, شكراً لك يا من غيرت الحال معنا تماماً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأصحاح الثالث

في الأعداد ١- ٨ يريد الجامعة أن يبين أن عناية الله ترتب وتدبر حياة الإنسان بكل دقائقها وهو يستعرض في ع ١ هذا الترتيب بصفة إجمالية. ثم يوضحه بالتفصيل في ع ٢- ٨.

"لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتٌ" (ع ١).

زمان هنا بمعنى موسم, وهي فرصة معينة محدودة كما يُقال موسم الحصاد. وفي كلمة الله نرى مواسم معينة هامة لها ارتباطها الخطير بأبدية الإنسان التي ليس فيها سنين وأيام. وأول زمان مُلفت للنظر جداً هو الزمان الذي جاء فيه الخالق إلينا ليصنع بنفسه الفداء والكفارة الإلهية "لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة" (غل ٤: ٤)- هذا هو الأساس والقاعدة الوحيدة لكل الأزمنة التي في فكر الله لأنه زمان افتقاد الله بالنعمة لجنسنا المسكين ولذلك يسمى بتدبير نعمة الله (أف ٣) وهذا الزمان سينتهي قريباً باختطاف الكنيسة الحقيقية إلى السماء. وحينئذ سيبتدئ زمان رهيب لمدة ٧ سنوات يسمى زمان ضيق (دا ١٢) وزمان انتقام (إر ١ ٥) وزمان إثم النهاية (حز ٢١) والزمان الرديء (عا ٥). وبانتهاء السبع سنين هذه يأتي زمان الملك الألفي للمسيح على الأرض وبه ستكمل الأزمنة (أف ١)و وبعد الملك الألفي تبدأ الأبدية التي لا سنين فيها أو أزمنة.

" لِلْوِلاَدَةِ وَقْتٌ وَلِلْمَوْتِ وَقْتٌ لِلْغَرْسِ وَقْتٌ وَلِقَلْعِ الْمَغْرُوسِ وَقْتٌ" (ع ٢).

كلمة وقت تأتي ٢٨ مرة في ١٤ "ثنائي" وهي تشمل كل ظروف الإنسان التي تحت الشمس من مولده إلى موته. وقصد الحكيم أن كل ظرف من ظروف الحياة تحت الشمس له وقته, لكن هناك ظرفاً آخر مضاداً له تماماً. والخلاصة طالما الأمر كذلك فلا منفعة لتعب الإنسان تحت الشمس. ولكن شكراً لله لأجل الحكمة الأزلي عندما اخذ صورة إنسان وجاء تحت الشمس, استخدم الوقت بروعة وجلال لمجد الله ولبركة ملايين النفوس التي اقتربت منه.

ما أروع تقرير إنجيل مرقس- إنجيل الخادم والعبد الكامل, عن كلمة للوقت ٤٢ مرة, ليوضح كم كان وقته ثميناً وغالياً ولم تكن في حياته الغالية الكريمة لحظة واحدة إلا بحسب قصد الآب وفكره تماماً.

الثنائي الأول

للولادة وقت وللموت وقت- هنا نرى بداية إنسان تحت الشمس ككائن عاقل مفكر ناطق, يولد في هذه العائلة البشرية المميزة من الله على كل المخلوقات بل هو تاج الخليقة كلها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك ١: ٢٦) وهكذا تبدأ كتابة قصة حياة الإنسان على الأرض وكل يوم يمر, يكتب فيه الإنسان صفحة من صفحات حياته إلى أن تنتهي القصة, وذلك بالكلمة الخطيرة "وللموت وقت". وما أتعس الإنسان الذي تدور به العجلة ولا يفهم قصد الله الذي كونه وصوره في أحشاء أمه وأنشأه ولاحظه ودبر له كل ظروف حياته. ولذلك أول حديث للرب يسوع المسيح بعد بدء خدمته في إنجيل يوحنا عن هذا الأمر الخطير, لقد وضح له المجد للرئيس الديني للأمة اليهودية- نيقوديموس- كما أنه بالولادة الحرفية الجسدية يبدأ الإنسان كيانه على الأرض طبقاً لرغبات الأرض, هناك ولادة روحية من فوق تعطي الإنسان طبيعة روحية جديدة في داخله, وهذه يسكن فيها الروح القدس ليحرك الإنسان طبقاً لرغبات السماء مع أنه لازال عائشاً على الأرض "لا تتعجب أني قلت لك ينبغي أن تولد من فوق. المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح" (يو ٣: ٦) وهذا يكشف الحقيقة الخطيرة أن الولادة الجديدة التي من فوق, ليست تحسين أو تجديد الطبيعة الساقطة المولود بها الإنسان, التي ليس لها محور تدور حوله إلا ذات الإنسان وتعظيمها في تجاهل كامل لحق الله, وطعامها وشرابها هو رغبات وشهوات الجسد. وكل الفلسفات الدينية التي في العالم تدور حول تحسين هذا الكيان الساقط الرهيب الموروث إما بالتهذيب وإما بالتعذيب والتقشف. وقد أُغلق الباب تماماً في وجه هذه المحاولات الساقطة وذلك بقوله الكريم "الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت السموات" (يو ٣: ٣), كما جاءت إشارات كثيرة في الكتاب المقدس إلى هذه الحقيقة (إر ١٣: ٢٣, اش ٤٨: ٨, أم ٢٦: ٢٥, ٢٧: ٢٢). وهناك أمثلة عملية واضحة في الطبيعة, إذا رأيت إنساناً عبقرياً فذاً في الرياضيات هذا ليس إلا لأنه مولود بذهن رياضي يجري نحو الرياضيات منذ طفولته وحداثة سنه. كذلك أيضاً الموسيقار والرسام, لذلك ينبغي أن يحصل الإنسان من المسيح السماوي على هذه الطبيعة السماوية لتصبح ميوله وأفكاره كلها سماوية وينطبع هذا على كلامه وتصرفاته وكل نواحي حياته بين الناس هنا- راجع قصة خلاص زكا لو ١٩ والعشار لو ١٨ والسجان أع ١٦ والسامرية يو ٤.

أما القول بأن الإنسان يولد في هذا العالم وهو يحمل البذرتين, البذرة السماوية والبذرة الشريرة, وبالتدريب

والتهذيب تنمو الأولى وتذبل الثانية, فقد توضح لنا من كلام الرب السابق مع نيقوديموس بطلان وجهل هذا القول بالإضافة إلى الشواهد التي تؤكد أن الإنسان يولد وبجملته كتلة شريرة مز ١٤, ٥٣, رو ٣, مز ٥١: ٥.

فالولادة من فوق- الولادة الثانية- الولادة الجديدة, عملية إلهية بحتة, وليس على الإنسان إلا الارتماء على مصدرها الوحيد وواهبها الوحيد, المسيح السماوي القدوس المبارك,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والإقرار من القلب بأنه كان لأجلي على الصليب, وأنه سدد كل مطاليب عدالة الله المطلقة "إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (غل ٢" ٢٠) "قد محا عند الصليب دم ربي إثمي وعن القلب الكئيب زال كل الهم."

بقيت نقطة وهي كما أن الولادة الطبيعية الجسدية يتبعها موت جسدي حرفي كذلك أيضاً الولادة الروحية الجديدة السماوية مرتبطة بموت أسمى وأنبل وأشرف وهو موت الذات البشرية الساقطة. ما أروع تقرير الرب له المجد "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني" (مت ١٦: ٢٦, مر ٨, لو ٩).

ما أروع تقرير الرسول "مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ" (غل ٢: ٢٠). لا ننسى أنه بالولادة الجديدة يخرج الإنسان من دائرة الموت الحرفي ملك الأهوال, بل يصبح الموت خادماً للمؤمن "لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح" ٠في ١: ٢١.(

والخلاصة ما أتعس الإنسان الذي تدور به عجلة سليمان- للولادة وقت وللموت وقت, وهكذا يدخل إلى الأبدية بلا نهاية بدون مغفرة خطاياه "وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة" (عب ٩: ٢٧).

الثنائي الثاني

للغرس وقت ولقلع المغروس وقت- الغرس في الكتاب المقدس له ٣ معانٍ

الأول: الغرس الحرفي للنباتات تك ٢

الثاني: وضع الشعب اليهودي قديماً في أرض فلسطين ليسكن فيها "كرمة مصر نقلت وطردت أمماً وغرستها" (مز ٨٠: ٨).

الثالث: غرس الحق الإلهي في القلب كما يقرر المسيح له المجد (مت ١٥: ١٣) "كل غرس لم يغرسه أبي السماوي يُقلع" وهذا للغرس للحق الذي لا يمكن اقتلاعه يأتي كحلقة أخيرة في تعامل الله مع نفس الإنسان-:

الحلقة الأولى: اجتذاب نفس الإنسان إلى المسيح كما يقرر له المجد "لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ" (يو ٦: ٤٤).

الحلقة الثانية: الإعلان الإلهي في القلب- من هو هذا المسيح المبارك كابن الله الحي «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا إِنَّ لَحْماً وَدَماً لَمْ يُعْلِنْ لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ١٦: ١٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الحلقة الثالثة: اجتذاب نفس الإنسان إلى عمل المسيح الكفاري على الصليب "وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ قَالَ هَذَا مُشِيراً إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعاً أَنْ يَمُوتَ" ١يو ١٢: ٣٢.).

الحلقة الرابعة: غرس هذا الحق عميقاً في نفس الإنسان بعمل إلهي لا يمكن اقتلاعه.

الحلقة الخامسة: مقترناً بهذا الغرس إعطاء الطبيعة الجديدة التي سبقت الإشارة إليها في الثنائي الأول. والروح القدس في كل هذه الحلقات لا يستخدم إلا واسطة واحدة التي هي كلمة الله (عب ٤: ١٢, ار ٢٣: ٢٩, اش ٥٥: ٨, يو ٣: ٥, لكن في العالم اخترع العدو في أذهان البشر أنواعاً أخرى من الغرس:

أولاً- غرس ما يسمى المبادئ النبيلة في الإنسان عن طريق الفلسفة, أي التفكير المنطقي العميق, وقد وضح الرسول فساد هذه المدرسة (رو ١: ٢٢) "وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء لذلك أسلمهم الله في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم."

ثانياً- غرس أقوال الآباء أي التقليد, وقد وضح الرب للفريسيين بطلان هذه المدرسة وغباوتها فقال له المجد لهم "فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ, يَا مُرَاؤُونَ حَسَناً تَنَبَّأَ عَنْكُمْ أشعياء قَائِلاً يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هَذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ" (مت ١٥: ٦).

ثالثاً- غرس المبادئ التقشفية وتعذيب الإنسان نفسه, لكي في توهم باطل يقمع الشر الكامن فيه, وذلك بصيامات مفروضة قاسية, وعدم وضع موسى على جسده ليحلق شعره, وقد وضح الكتاب بطلان هذه المدرسة وحماقتها إر ٢: ٢٢.

"فَإِنَّكِ وَإِنِ اغْتَسَلْتِ بِالنَطْرُونِ وَأَكْثَرْتِ لِنَفْسِكِ الأَشْنَانَ فَقَدْ نُقِشَ إِثْمُكِ أَمَامِي يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ."

وكل هذه المدارس تتجاهل خراب الإنسان الكامل وعجزه وفساده والسر هو تجاهل كلمة الله "ها قد رفضوا كلمة الرب فأية حكمة لهم" (إر ٨: ٩).

لذلك كل هذا الغرس لا بد له من النتيجة الحتمية "لقلع المغروس وقت" لأن كل غرس بشري لا يؤثر شعرة واحدة على الشجرة الردية المولود بها الإنسان وتحتوي على كل عناصر طبيعة الشيطان لذلك لا بد من اقتلاع الإنسان بجملته من أمام الله وطرحه في مكان الانفصال الأبدي عن الله "هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" ولكن الغرس الإلهي في ربنا يسوع المسيح هو موضوع سرور الله وله هذه الأوصاف الجميلة-:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

-أولاً "ويدعون أشجار البر غرس الرب للتمجيد" (أش ٦١: ٣)- ذات المعنى في اش ٦٠: ٢١ "وشعبك كلهم أبرار إلى الأبد يرثون الأرض غصن غرسي عمل يديّ لأتمجد" أي أن كل واحد من أولاد الله يُشار إليه بشجرة بر تُظهر كل صلاح الله كما أظهره على الوجه الأكمل ربنا يسوع المسيح في حياته الغالية هنا على الأرض, كيف كان يجول يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس.

لكن الأساس واضح لأنهم غرس الرب أي غرس إلهي للتمجيد, أي أن هذا هو الغرض ليتمجد الله بهذا الغرس الذي تظهر ثماره أمام الناس "بهذا يتمجد أبي أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذي" (يو ١٥: ٨).

-ثانياً : الصديق..... مغروسين في بيت الرب في ديار الهنا يزهرون" (مز ٩٢: ١٢) هنا الوجه الثاني, فهم كجماعة مغروسين في بيت الرب للسجود والعبادة والتسبيح.

الثنائي الثالث

للقتل وقت وللشفاء وقت- مخترع مدرسة القتل في العالم هو قايين أول قاتل, والدافع هو الذات البغيضة التي لم تحتمل أن الله يقبل تقدمة شقيقه هابيل ويرفض تقدمته. وبكل تأكيد كان هابيل رقيقاً وديعاً لأن شهادة المسيح عنه تقرر ذلك (راجع مت ٢٣: ٣٥) وبكل يقين لم تصدر منه أية كلمة أو تصرف مثير, لكن هي الذات التي لا تقبل أي رفعة للآخرين, ومن عب ١١ نفهم أن الإعلان الإلهي كان واضحاً للشقيقين على لسان أبيهما آدم عن كيفية الاقتراب إلى الله عن طريق ذبيحة دموية لتكفر عن خطية الإنسان. وواضح أن هابيل صدق الإعلان وقايين لم يصدق وقدم تقدمات ليست بحسب فكر الله فرُفضت.

وواضح أن غارس مدرسة القتل في القلب البشري هو الشيطان كما قال المسيح له المجد لليهود "أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَذ الْبَدْءِ" (يو ٨: ٤٤) وكل الحروب الدامية في كل التاريخ هو من ورائها. والرسول يوحنا يكشف لنا أمراً رهيباً فيقول "كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس" (١ يو ٣: ١٥)- فهو يتناول الأمور من أصولها ومن جذورها الدفينة لأن روح الإنسان المبغض أخاه هي روح قاتلة من حيث المبدأ شأنه شأن الرجل الذي يصفه المسيح بأنه زان لتركه الشهوة تعمل في قلبه بدلاً من أن يدينها ويتذلل من أجلها, ومن هذا نتعلم أن الله يتعامل مع القلب وليس مع الظواهر.

ثم يضيف الرسول "وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه", أي أنه لم يتعرّف برئيس الحياة ربنا يسوع المسيح, وهكذا يصل الرسول إلى الخلاصة أن مثل هذا هو ابن ابليس الصانع الحقيقي لكل بغضة والمثير الحقيقي لكل قتل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهنا يأتي السؤال هل مِن شفاء من هذه المدرسة الرهيبة مدرسة البغضة والقتل؟ شكراً لله ها هو تقرير الحكيم "وللشفاء وقت" ما أدق الوحي الكريم, فكنا ننتظر القول "للانتقام من القاتل وقت", ما أروع إعلان الله عن طبيعته, ليس الانتقام هو سروره لكن بالعكس هو العمل الغريب على طبيعته (أش ٢٨: ٢١) لكن ما تسر به طبيعته هو انتصار النعمة وتغيير المشهد تماماً من بغضة قاتلة إلى محبة باذلة "كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا" (رو ٥: ٢٠).

وكلمة الله تتكلم باستمرار عن المدرستين, مدرسة العدو وطابعها وصفاتها وكيفية الخلاص منها وشفاء القلب جذرياً من كل أركانها والانتقال إلى مدرسة الله حيث العَلَمُ المرفوع هو المحبة والبذل, وعلى سبيل المثال نتذكر ذلك الاناء المختار- الرسول بولس, ما هو تقرير الروح القدس عنه قبل أن يتقابل مع الرب يسوع؟ نقرأ في أع ٩ "وأما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب", أي قمة الأمة اليهودية في القسوة والقتل وبكل قوته يجري في البحث عن تلاميذ المسيح ليفتك بهم وفجأة سمع ذلك الصوت الوديع "شاول شاول لماذا تضطهدني", ومن تلك اللحظة تغيَّر ذلك اليهودي العنيد وأصبح في المسيح خليقة جديدة أي تم شفاؤه تماماً من مدرسة القتل وأصبحت له أحشاء المسيح الفياضة بالمحبة والعطف والرقة والنبل والتضحية لأجل اسم ربنا يسوع المسيح.

ولا ننسى أن كلفة هذا الشفاء هي آلام حمل الله القدوس المبارك على الصليب ما أروع تقرير أشعياء "كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا.. مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحبُرِهِ شُفِينَا" (أش ٥٣: ٥, ٦) أيضاً ذات تقرير الرسول بطرس "الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة.. الذي بجلدته (آلامه) شفيتم" (١ بط ٢: ٢١) وكما قال هو بفمه الكريم "روح السيد الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب" (لو ٤, اش ٦١).

الثنائي الرابع

للهدم وقت وللبناء وقت- في الكتاب المقدس نرى, للهدم, أولاً المعنى الحرفي هدم البيوت وهدم المدن. لكن أيضاً له المعنى التصويري إذ يصور عمل الشيطان الذي بكل جهده يهدم نفس الإنسان لكي يخور ويستسلم تماماً لأفكاره وهكذا ينتهي به إلى ذات مصيره الذي هو الهلاك الأبدي. كم ظل يحوم حول أفكار يهوذا الخائن ويلمّع له بريق الفضة حتى باع سيده وهكذا استلمه في يأس قاتل حت هدمه إلى الأبد.

كم ظل يحوم حول أفكار هامان ويلمّع له منظر تعظيم ذاته جداً في إبادة الجنس اليهودي انتقاماً لكرامته حتى انتهى به المطاف على رفعه على الخشبة. وهذا يصل بنا إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخلاصة: إن وقت الهدم الذي يقول عنه سليمان هنا هو في الحقيقة وقت البُعد عن الله عندما تكون أفكار الإنسان وميوله وكل كيانه فريسة للشيطان للهدم "وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية" (أف ٢: ١, ٢).

لكن شكراً لله في لحظة التقاء النفس مع محرر النفوس الوحيد ربنا يسوع المسيح يتغير اتجاه القلب فيرجع في ندم وتوبة وإيمان بفدائه العظيم على الصليب. من هذه اللحظة يبدأ البناء للنفس وهو ذات ما يقرره الكتاب "إن رجعت إلى القدير تُبنى" (أي ٢٢: ٢٣) فلا بناء للنفس إلا بالرجوع للقدير, وبعيداً عنه لا يوجد إلا الهدم والتحطيم كما كان المجنون يجرّح نفسه ليلاً ونهاراً بالحجارة (مرقس ٥) وكل نفس رجعت إلى الله محتمية في ذبيحة ربنا يسوع المسيح اختبرت بناء الله لها وكل قدرة القدير وكل وسائط نعمته تعمل لهذا الغرض, وفي كلمة الله نرى هذه الوسائط المباركة لبنيان المؤمن:

أولاً: ذات كلمة الله ودراستها والتأمل فيها (أع ٢٠: ٣٢) لأنها كما وضّحت لي كفاية ذبيحة المسيح وأقنعتني بالاحتماء فيها, هي ذات الكلمة التي تعلمني الكمالات الإلهية كما ظهرت في حياة ربنا يسوع المسيح, وبقوة الروح القدس أتعلم كيف أسير عملياً في سلوكي في ذات خطواته له المجد (١ يو ٢: ٦).

ثانياً: الصلات وسكب القلب طويلاً عند قدمي الرب "وأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ فَابْنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى إِيمَانِكُمُ الأَقْدَسِ مُصَلِّينَ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ" (يه ٢٠), إذ في فرص الصلاة يخرج المؤمن من ذاته ويتجه بكل قلبه إلى عرش نعمة المسيح لكي يطلب للآخرين- يصلي لأجل إخوته في ظروفهم ومشاكلهم لاسيما المتعطلة شركتهم, ويصلي لأجل الخطأة الذين ما زالوا في قبضة الشيطان, ويصلي لأجل كلمة الله لكي تُجرَى لكي يكمل العدد, ويصلي لأجل السلطات الرتبة من الله... إلخ ٥ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مَبْنِيِّينَ كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ، بَيْتاً رُوحِيّاً، كَهَنُوتاً مُقَدَّساً، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.

ثالثاً: الالتفاف حول الرب لتقديم السجود والتسبيح له "كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مَبْنِيِّينَ كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ بَيْتاً رُوحِيّاً كَهَنُوتاً مُقَدَّساً لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ ربنا" (١ بط ٢: ٥)- "فما هو إذاً أيها الإخوة متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور له تعليم..... فليكن كل شيء للبنيان" (١ كو ١٤: ٢٦).

الثنائي الخامس

للبكاء وقت وللضحك وقت- أول مرة يأتي ذكر البكاء في الكتاب في تك ٢٣ عند موت سارة, هناك بكى إبراهيم أبو المؤمنين على شريكته في حياة الإيمان. من هنا يتضح أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

البكاء يرتبط بالموت, وواضح أنه مرتبط بالسقوط "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (رو ٥: ١٢).

وعندما نتقدم في سفر التكوين نجد البكاء في مشهد لقاء يوسف مع اخوته ومعهم شقيقهم الأصغر بنيامين, عندئذ لم يستطع أن يضبط أحشاءه, وطلب مكاناً ليبكي فدخل المخدع وبكى. ثم مرة أخرى في مشهد إعلان نفسه لإخوته (تك ٤٣, ٤٥)- وواضح أننا نرى في المشهد نتيجة أخرى للخطية وهو تمزيق ذات الأسرة الواحدة والقسوة بين أبناء الأب الواحد.

فالخطية بالموت جلبت البكاء المرير وبالتمزيق جلبت أيضاً البكاء, وإذا رجعنا إلى كل ينابيع البكاء المرير الذي يملأ العالم في كل مجالاته, نجدها جميعاً تنبع من هذه الكلمة الخطيرة- الخطية- أي انحراف القلب عن الله, الذي فيه وحده الفرح الأزلي الأبدي الثابت.

وهنا يأتي السؤال الهام: بما أن سقوط الإنسان في الخطية كان بسماح من الله, هل إذاً قصد الله البكاء للجنس البشري هنا على الأرض ثم البكاء الذي لا ينتهي في الأبدية؟ حاشا, لكن قصد اله باستمرار أن يُظهر غنى نعمته وعظمة محبته وأنه في قدرته العجيبة أن يُخرج من الآكل أكلاً ومن الجافي حلاوة. ففي ذات مشهد السقوط وتعدي الإنسان على الله نسمع أول وعد بمجيء ربنا يسوع المسيح متجسداً كنسل المرأة بدون رجل, لكي يسحق الشيطان ويُبطل الخطية بذبيحة نفسه. وهكذا تغيّر المشهد تماماً بالنسبة للإنسان كابن آدم الترابي الذي ليس له إلا الأرض, إلى إنسان مُعّد له مكان في السماء.

وما أروع كلمات الرب يسوع وهو مُقبل إلى الصليب "فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ.. أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً معي (يو ١٤: ١, ٣).

وفي سفر الرؤيا آخر أسفار الوحي, نرى المؤمنين بالمسيح, في منظر شيوخ- أي كمال الأدراك والفهم- ولهم ثياب بيض- أي أنهم في مقام كهنة, ولهم أكاليل من ذهب- أي أنهم ملوك. ولذلك نسمع في أول السفر تلك الترنيمة الحلوة "يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الأَمِينِ الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ وَرَئِيسِ مُلُوكِ الأَرْضِ الَّذِي أَحَبَّنَا وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ وَجَعَلَنَا مُلُوكاً وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ آمِين" (رؤ ١: ٥, ٤: ٢, ٣).

"يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاِسْتِقْصَاءِ لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيراً أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيُكَافَأَ لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ آمِينَ" (رو ١١: ٣٣- ٣٦). ثم, من البكاء المري من لحظة

 All rights reserved © 2008-2018

الولادة في هذا العالم إلى قصد الله العجيب في المسيح الذي هو الضحك الوفير الذي هو من صنع الله القدير, لذلك هو فرح حقيقي وغامر للقلب وهذا هو الطابع المميز لبشارة نعمة الله, فنقرأ في لو ١٥ عن الأقانيم الثلاثة, كل في دوره يبحث عن الإنسان الخاطئ المفقود في الخطية. وإذ يوجد, ما أروع التعبير الذي يملأ كل المشهد, هكذا يكون فرح السماء بخاطئ واحد يتوب لذلك نرى الفرح يغمر كل الفصل, وتتكرر كلمة فرح ٩ مرات, هذا هو قلب الله. الإنسان بالسقوط أدخل البكاء- للبكاء وقت- لكن الله بالفداء أدخل فرحاً من صنع الله يثبت ثبات الله "وللضحك وقت."

سؤال أخير قد يسأله الإنسان غير المولود من الله: كيف أنتقِل من دائرة البكاء إلى دائرة الضحك الحقيقي الذي أعده الله للإنسان في المسيح؟ لا يوجد إلا طريق واحد وهو المجيء بهذا البكاء إلى قدمي المسيح شخصياً وهناك يكون البكاء على شيء واحد وهو خطاياي التي أهانت شخصه المعبود والتي من أجلها علق هو على الصليب, وهذه هي دموع التوبة والندم. كم ظهر هذا في تلك المرأة الخاطئة التي جاءت من وراء الرب وعند قدميه كانت تبلل قدميه بالدموع وتمسحهما بشعر رأسها ولم تكف عن تقبيل قدميه, وما أروع الاستجابة الفورية: إذهبي بسلام إيمانك قد خلصك وهكذا تم فيها القول للبكاء وقت وللضحك وقت.

الثنائي السادس

للنوح وقت وللرقص وقت- ما أروع الترتيب الدقيق الحكيم لكلمة الله في معانيها العميقة وانسجامها الكامل مع الاختبار العملي لأولاد الله في كل العصور والأجيال من بدء التاريخ إلى النهاية, فحصول النفس على الفرح بالخلاص الأبدي على حساب دم المسيح يُدخلها إلى مدرسة الله وتتعلم أحشاء الله وقلبه الرقيق من جهة البشر وهم مطروحون صرعى الخطية طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء" (أم ٧: ٢٦). لذلك تبدأ النفس تتعلم كيف تقف بجانب الله وبهذا يبدأ شيء جديد لم تعرفه من قبل, وهو الخروج من الذات تماماً والمشغولية بالآخرين. وتتقدم أكثر في مدرسة الله فتمتلئ بالحزن العميق على حالة النفوس المحرومة من نعمة المسيح والتي يدوسها ويسحقها الشيطان وهكذا يأتي النبوح المقدس "للنوح وقت."

ما أروع صليب المسيح! ما أعجب دم المسيح, ليس فقط المطهر من كل خطية لكن أيضاً المحرر من الذات والاتجاه بكل الأحشاء إلى الآخرين, والنوح والدموع أمام الله لأجلهم. هنا نعمة الله, هنا قلب الله, هنا مسيح الله الذي جعل قلب الإنسان الذي كان يعبد ذاته هكذا يطرح الذات تماماً, ويمتلئ من قلب الله.

ما أروع ما عمله ربنا يسوع المسيح في ذلك الطرسوسي العنيد, يهودي متعصب ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ المسيح, وإذا به أمام صليب المسيح وقوة قيامة المسيح يلبس ذات

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قلب المسيح فيقرر له الروح القدس في رو "أَقُولُ الصِّدْقَ فِي الْمَسِيحِ لاَ أَكْذِبُ وَضَمِيرِي شَاهِدٌ لِي بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّ لِي حُزْناً عَظِيماً وَوَجَعاً فِي قَلْبِي لاَ يَنْقَطِعُ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ."

وما أروع العينات التي يسجلها الوحي عن الذين امتلأوا بهذا النوح المقدس. اسمع ما يقرره ارميا "يَا لَيْتَ رَأْسِي مَاءٌ وَعَيْنَيَّ يَنْبُوعُ دُمُوعٍ فَأَبْكِيَ نَهَاراً وَلَيْلاً قَتْلَى بِنْتِ شَعْبِي" "أَحْشَائِي أَحْشَائِي تُوجِعُنِي جُدْرَانُ قَلْبِي. يَئِنُّ فِيَّ قَلْبِي لاَ أَسْتَطِيعُ السُّكُوتَ" (ار ٩: ١, ٤: ١٩), وأيضاً دانيال يقول " كُنْتُ نَائِحاً ثَلاَثَةَ أَسَابِيعِ أَيَّام لَمْ آكُلْ طَعَاماً شَهِيّاً وَلَمْ يَدْخُلْ فِي فَمِي لَحْمٌ" (دا ١٠: ٢), وأيضاً عزرا "فَلَمَّا سَمِعْتُ بِهَذَا الأَمْرِ مَزَّقْتُ ثِيَابِي وَرِدَائِي وَنَتَفْتُ شَعْرَ رَأْسِي وَذَقْنِي" (عز ٩: ٣), وكذلك نحميا وكل رجال الله, موسى ويشوع, وعلى رأس الكل النموذج الكامل- الرب يسوع المسيح- لما جاء إلى أرضنا نظر إلى أورشليم الرافضة شخصه الكريم وبكى عليها وقال "يا أورشليم يا أورشليم" (مت ٢٣) هذا هو النوح المقدس لأجل النفوس الشاردة والبيوت الممزقة والأطفال المشردين الذين يتربون في جو خصام وكلمات قاسية, لكن شكراً لله ما من نوح مقدس إلا وله رقص مقدس. ما أجمل التقرير "الَّذِينَ يَزْرَعُونَ بِالدُّمُوعِ يَحْصُدُونَ بِالابْتِهَاجِ الذَّاهِبُ ذِهَاباً بِالْبُكَاءِ حَامِلاً مِبْذَرَ الزَّرْعِ مَجِيئاً يَجِيءُ بِالتَّرَنُّمِ حَامِلاً حُزَمَهُ" (مز ١٢٦: ٥, ٦)- قريباً جداً سوف ينتهي وقت نوح القديسين الذين صارت لهم أحشاء ربنا يسوع المسيح من جهة صرعى الخطية, وهكذا يأتي وقت الرقص وهو تعبير في الكتاب يعبر عن الفرح الغامر الناتج بصفة خاصة عن الانتصار, وهذا نفهمه من مشهد خروج النساء وراء مريم بدفوف ورقص قائلاتِ "الفرس وراكبه طرحهما في البحر" (خر ١٥) وهذا هو أول رقص يُذكر في الكتاب المقدس.

فالمشهد الآن كان الحق مغلوب والجولة للشيطان الذي يهدم كل فضيلة ويحاول بكل جهده أن يُبعد الله والأبدية عن مخيلة الناس ويجعلهم غارقين في ملذات الحياة ومطاليب أمور الزمان الحاضر, لكن سوف تأتي اللحظة المجيدة عندما يُقيّد الشيطان ويطرح في الهاوية ويظهر المسيح بهيئته الإنسانية الممجدة وله كل جلال الله ومجده وكرامته, ويتم القول "ويخرج حجر الزاوية بين الهاتفين كرامة كرامة له" (زك ٤: ٧). كم سيكون الهتاف جليلاً طويلاً بلا نهاية, كم سيكون عالياً, كم سترتفع الهللويا لشخصه الكريم. الآن هو الوقت للنوح ولكن الأبدية بفضل دم المسيح ستكون الأفراح بلا نهاية.

الثنائي السابع

لتفريق الحجارة وقت ولجمع الحجارة وقت.

من الأمور الرائعة في كلمة الله وصف الكتاب لعمل من أعمال الزمان الحاضر وإذا بهذا العمل ينطبق بكيفية مجيدة على أمر روحي من أمور الله الأبدية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من المعروف في بناء المنشآت من الأحجار أن يُقطع الحجر من المحجر وتسوّى كل واجهاته فيُزال كل نتوء أو خشونة أو اعوجاج فيستقيم من كل جهة وتحدد كل زواياه وأطرافه لكي يتوافق تماماً مع باقي الأحجار التي سبقته هذا هو وقت تفريق الحجارة, فكل حجر يكون على حده حتى يُعالج تماماً في كل واجهاته وأحرفه وزواياه ويصبح في مخطط الاستقامة والانسجام وإذ تتم هذه الخطوة يأتي وقت جمع الحجارة في مكان البناء. وقبل هذه العملية كان المحجر كله قطعة واحدة بلا شكل ولا منظر ولا يمكن استخدامه, لكن بقطع الحجر أصبح له كيانه الشخصي لكن مهيأً للانسجام الكامل مع سابقيه.

هذا بالضبط ما يعمله البناء الأعظم المعبود الذي قال "وعلى هذه الخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (مت ١٦: ١٦), وهو يتعامل بالروح القدس وبالكلمة الإلهية مع النفوس الغارقة والتائهة والضائعة والتي بلا كيان في محجر هذا العالم وإذ تقتنع النفس بحتمية التوبة والاحتماء في دم المسيح للحصول على الغفران الإلهي الأبدي لكل الخطايا, توجد في سلام مع الله, في الحال يبدأ الروح القدس بإحياء هذه النفس بخلق طبيعة جديدة مقدسة مستقيمة هي ذات طبيعة الله الأدبية, إذ تحتوي على كل عناصر الاستقامة والكمال الذي في الله "لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية " (٢ بط ٣: ٤), وإذ تصبح هذه النفس خليقة جديدة في المسيح, هكذا يجمعها الرب إلى أحبائه "وكان الرب يضم إلى الكنيسة كل يوم الذين يخلصون" (أع ٢). لكن هناك معنى آخر هاماً وهو بدخول خلاص الله في المسيح إلى فرد في أي عائلة, فهذا الفرد المخلّص يكشف حالة الأسرة كلها كمن هي في قبضة الشيطان. وهنا يحدث الانقسام وتثور العائلة كلها عليه "لتفريق الحجارة وقت", وتفريق الأسرة بسبب خلاص المسيح, أشار هو له المجد إليه في مت ١٠: ٣٤ " لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَماً عَلَى الأَرْضِ مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَماً بَلْ سَيْفاً, فإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ وَ الابنة ضِدَّ أُمِّهَا وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ", لكن كما لم يؤمن أقرباء الرب يسوع به أولاً (مر ٣: ٢١) نعلم أن منهم إن لم يكن جميعهم آمنوا به بعد ذلك, وكما أثار أهل مدينة جدعون عليه لكي يقتلوه, لكن لما ضرب بالبوق كانوا هم أول المجتمعين وراءه للحرب معه ٠قض ٦: ٣٠, ٣٤)- وهكذا لجمع الحجارة وقت.

وتصوير المؤمنين بحجارة جمعها الباني الأعظم, جاء في رسالة الرسول بطرس الأولى ص ٢: ٥ "كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مَبْنِيِّينَ كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ بَيْتاً رُوحِيّاً كَهَنُوتاً مُقَدَّساً لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ."

الثنائي الثامن

للمعانقة وقت وللانفصال عن المعانقة وقت.

المعانقة والتقبيل في كلمة الله لها هذه المعاني:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أولاً : المصالحة وهي دليل وبرهان الصفح الكامل. وفي قصة رجوع الأبن الضال (لوقا ١٥) بمجرد رجوعه ركض أبوه ووقع على عنقه وقبلّه, وفي هذا توضيح مدى استعداد الآب السماوي لقبولنا وترحيب قلبه بنا وغمرنا بمحبته في حالة التوبة. أيضاً في مز ٢ نداء داود إلى ملوك الأرض لكي يتعقلوا ويتصالحوا مع الله فيوجه نظرهم بالذات إلى أقنوم الأبن لأنه في تدبير الله المثلث الأقانيم في الأزل أن يكون أقنوم الأبن هو المختص بهذا الأمر- أي المصالحة, لأنه الأقنوم الذي كان مزمعاً أن ينزل ويتجسد ويصنع بنفسه الفداء والكفارة, لذلك نقرأ في ١ تي ٢: ٥ "لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ", وأيضاً في ٢ كو ٥: ١٩ "أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ", وفي رو ٥: ١١ "وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَخِرُ بِاللَّهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي نِلْنَا بِهِ الآنَ الْمُصَالَحَةَ."

وفي المصالحة نلاحظ باستمرار الكلمة الخطيرة "الآن" في مزمور ٢: ١٠ "فَالآنَ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا.. قَبِّلُوا الابْنَ لِئَلاَّ يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ لأَنَّهُ عَنْ قَلِيلٍ يَتَّقِدُ غَضَبُهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ", وفي أع ١٧: ٣٠ نقرأ "فَاللهُ الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا", وفي ٢ كو ٦: ١ "هوذا الآن وقت مقبول هوذا الآن يوم خلاص"- فلماذا دائماً "الآن" لأن فرصة المصالحة محدودة وقد تنتهي في أية لحظة بانتهاء حياة الإنسان, وهكذا يدخل إلى الدائرة الرهيبة دائرة غضب الله إلى الأبد. فإذا كان الآن هو وقت المعانقة مع الله, فإن الأبدية التي لانهاية لها هي وقت الانفصال عن الله.

وفي قصة رجوع الابن الضال المُشار إليه نجد بعد المعانقة ان الآب يأمر بأن يلبسوه الحلة الأولى وذبح العجل المسمّن لعمل وليمة فرح, وهذا ظل الحقيقة, ففي ذبيحة المسيح وجد الله كل كفايته ومطاليب عدله وقداسته وفيّت, ولذلك أمكنه أن يعانق الإنسان التائب ويُلبسه الحلة الأولى التي هي ربنا يسوع المسيح نفسه.

ثانياً: المعانقة تعني الترحيب وشركة المحبة, لكن على أساس السلوك في النور حسب الحق, وهذا أمر هام في العلاقة بين المؤمنين. فإذا أخطأ أخ فلا بد من علاجه أولاً وتعريفه خطئه بكل وداعة وهذه هي مرحلة الانفصال عن المعانقة وإذ يقبل العلاج ويعترف بخطئه حينئذ يأتي دور المعانقة. لقد أخطأ داود النبي العظيم إذ تسرّع بعاطفته وعانق ابنه أبشالوم قبل أن يتوب ويندم ولذلك فقده إلى الأبد إذ استمر في تخطيطه القاتل حتى قُتل. ليتنا نفهم قصد الكتاب فلا نسكت عن الشر في إخوتنا لكن بكل تواضع نتقدم لعلاجهم حتى يمكن أن نعانقهم بضمير صالح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثالثاً: المعانقة تعني المحبة الفائضة. وهذا ما عبّرت عنه المرأة الخاطئة في لو ٧ إذ لم تكف عن تقبيل قدميه وكانت هذه قبلات الامتنان والحب الخالص, وشهد لها الرب أنها أحبت كثيراً.

الثنائي التاسع

للكسب وقت وللخسارة وقت:

المعنى الحرفي قائم وهو أنه في معاملات الله مع الإنسان هناك وقت للمكاسب والأرباح, والمقصود هنا بلا شك المكاسب التي تأتي من طريق مستقيم وليس فيها خداع أو غش أو اغتصاب, ولكن هناك وقتاً يسمح الرب بالخسارة رغم حرص الإنسان ومهارته وخبرته وذكائه, وفي كلتا الحالتين يتعامل الله مع الإنسان لعله يلتفت ويستفيق ويفهم يد القدير التي أعطت ويد القدير التي أخذت كما قال رجل الله أيوب "الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً". لكن الكسب والخسارة لهما معانٍ أعمق وأجمل في مدرسة ربنا يسوع المسيح: على سبيل المثال, كان في حياة شاول الطرسوسي وقت تحصيل وربح امتيازات عالية في اليهودية كما يقرر في غلاطية ١: ١٤ "كُنْتُ أَتَقَدَّمُ فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْ أَتْرَابِي فِي جِنْسِي إِذْ كُنْتُ أَوْفَرَ غَيْرَةً فِي تَقْلِيدَاتِ آبَائِي"- لكنه إذ تقابل مع المسيح في طريقه إلى دمشق انكشفت الحقيقة وهي أن كل ما حصّله كان خسارة لأن هذه الامتيازات كانت تبعده عن المسيح وتحرمه من خلاصه المجيد وفدائه العظيم وتعطيه دعائم غاشة خادعة يتكل عليها أمام الله في عمى وجهل, لذلك نسمعه في فيلبي ٣: ٧ يقول "لكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحاً فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ"- وهكذا بنعمة الله دخل هذا الإناء إلى مدرسة حساب المسيح الذي أعلن "لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه" (مت ١٦: ٢٦) أي لو ربح العالم بكل مباهجه او تدينه وانتهت حياته بدون الاحتماء في دم المسيح الذي فيه الفداء الحقيقي المعين من الله كما أعلن هو له المجد بعدها مباشرة "أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه."

فكل ربح أو مكسب بدون معرفة المسيح هو في الحقيقة كسب وقتي لن هذا هو وقته المحدود, ولكن بانتهاء الحياة يخسر الإنسان كل ما تعب فيه وهكذا يدخل إلى الأبدية وما أتعسه وقت- "الخسارة الأبدية". ولكن بمعرفة المسيح فقد ربحت نفسي إلى الأبد يلي ذلك السعي لربح نفوس آخرين للمسيح وكذلك السعي لخدمة المؤمنين.

الثنائي العاشر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

للصيانة وقت وللطرح وقت.

الله في نعمته وصلاحه ومحبته الكثيرة جعل الإنسان موضوع عنايته وصيانته "دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ لَقَّبْتُكَ وَأَنْتَ لَسْتَ تَعْرِفُنِي أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ لاَ إِلَهَ سِوَايَ نَطَّقْتُكَ وَأَنْتَ لَمْ تَعْرِفْنِي" (أش ٤٥: ٥) "الْمُحَمَّلِينَ عَلَيَّ مِنَ الْبَطْنِ الْمَحْمُولِينَ مِنَ الرَّحِمِ وَإِلَى الشَّيْخُوخَةِ أَنَا هُوَ وَإِلَى الشَّيْبَةِ أَنَا أَحْمِلُ" (أش ٤٦: ٣), وهذه الصيانة من وجوه متنوعة: أولاً حياته الحرفية هنا على الأرض ولكن لوقت محدود بحسب حكمة الله المنزهة عن الخطأ. وكم من أخطار تكاد تدمر حياة الإنسان سواء حوادث أو أمراض خطيرة والله في نعمته يتدخل ويصون حياة الإنسان " ليمنع نفسه عن الحفرة وحياته من الزوال بحربة الموت" (أي ٣٣) "الله الذي بيده لمستك وله طرقك فلم تمجده" (داه)- "لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد" (أع ١٧)- هذا هو وقت صيانة الإنسان من جهة حياته هنا على الأرض, لكن لا بد أن ينتهي ويأتي وقت طرح الإنسان "هذه الليلة تُطلب نفسك منك" (لو ١٢) كل من يستمر في رفضه لنعمة المسيح.

ثانياً: من جهة أمواله ومقتنياته وحتى عمله الزمني, وكم من لحظات تعرّض فيها الكل للضياع ويفقد الإنسان كل شيء والله يتدخل ويصون ويحفظ.

ثالثاً: من جهة الشرور البشعة, فالإنسان بحسب طبيعته يعيش في الخطية والشر لكن هناك شروراً ومفاسد قاضية على سمعته بل وحتى حياته والله يتدخل ويصون كما قال الله في حلم للملك أبيمالك " وَأَنَا أَيْضاً أَمْسَكْتُكَ عَنْ أَنْ تُخْطِئَ إِلَيَّ لِذَلِكَ لَمْ أَدَعْكَ تَمَسُّهَا" (تك ٢٠). لكن إذ يتهور الإنسان يأتي وقت الطرح وتظهر فيه أنواع المفاسد والشرور كما هو مكتوب في رو ١: ٢٨ "وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ."

ولا ننسى أن الإنسان الطبيعي:

أولاً- مطروح أمام الشيطان والخطية "طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء" (أم ٧).

ثانياً- سوف يُطرح في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت, أما المولودون من الله فلهم هذه المعاني من جهة الصيانة: الحياة الأبدية التي وصلت إليهم بالإيمان بربنا يسوع فهي مضمونة ضماناً إلهياً "وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي" (يو ١٠: ٢٧).

-هو الحافظ لنا من الشرير "لست أسأل ان تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير", وذلك بطريقين رئيسيين, بقوة الروح القدس في قمع رغبات وميول الطبيعة الساقطة أو بتدبير عنايته برفع الظرف نفسه من أمامنا فلا نتعرض للشر (مز ١٢٥: ٣) لكن لا ننسى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الواجب الذي علينا وهو الصلاة باستمرار لئلا نعرّض أنفسنا للتجارب "اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة" (مت ٢٦: ٤١), وقراءة الكلمة باستمرار "لا تتركها فتحفظك أحبها فتصونك" (أم ٤: ٦), "طُوبَى لِلْكَامِلِينَ طَرِيقاً السَّالِكِينَ فِي شَرِيعَةِ الرَّبِّ طُوبَى لِحَافِظِي شَهَادَاتِهِ؛ مِنْ كُلِّ قُلُوبِهِمْ يَطْلُبُونَهُ. أَيْضاً لاَ يَرْتَكِبُونَ إِثْماً, فِي طُرُقِهِ يَسْلُكُونَ" (مز ١١٩: ١, ٢).

-هو الحافظ لأجسادنا وكل مالنا "أما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة" (مت ١٠: ٢٨). وعندما تسمح حكمته السامية لأي أمر يحدث لأجسادنا أو مقتنياتنا فهو بترتيب العناية الإلهية وبحدود مرسومة (أي ١, ٢) ولا بد لها مقاصد مجيدة فينا لمجده. والمؤمن الملتصق بالرب في شركة عميقة يستطيع أن يلاحظ يد الرب الحافظة وعينه الساهرة على كل ما للمؤمن "للصيانة وقت" ولكن عندما يسمح الرب بطرح أي شيء مما يملكه المؤمن "وللطرح وقت" حينئذ تنفتح بصيرته ويفهم قصد الرب.

الثنائي الحادي عشر

للتمزيق وقت وللتخييط وقت.

المعنى الحرفي ينطبق على الملابس لكنه ينطبق أيضاً على العائلة والمملكة والصداقة.

أول مشهد لتمزيق الملابس في تك ٣٧ حيث مزق رأوبين ملابسه عندما علم ببيع يوسف, ويعقوب عندما علم بفقده وواضح أنه صورة خارجية لِما فعلته الخطية إذ مزقت العائلة.

المشهد الثاني في لا ١٣- الأبرص ثيابه مشقوقة- صورة أخرى لِما فعلته الخطية, إذ جعلت الإنسان نجساً ممزق الصورة أمام الله.

المشهد الثالث في سفر العدد ص ١٤ عندما تذمر الشعب وقالوا نقيم لنا رئيساً ونرجع على مصر بسبب أخبار الجواسيس العشرة الذين أرعبوهم. فمزق يشوع وكالب ثيابهما فهو مشهد الحزن بإزاء تمرد القلب على الرب, فالخطية مزقت العائلة ومزقت صورة الإنسان امام الله وجعلت قلبه متمرداً على الله فليس وقت في الخطية إلا وينطبق عليه القول "وللتمزيق وقت", لقد مزقت الخطية العلاقة بين الشعب وإلهه, لكن شكراً لله نرى في مشهد سقوط الإنسان الملامح الجميلة لِما أعدته محبة الله ونعمته من جهة ستر الإنسان أمام الله إذ نسمع القول: وصنع الرب الإله أقمصة من جلد وألبس أبوينا الأولين, هذا هو أول تخييط على الأرض. وما أروعه! إنه من صنع الرب الإله مباشرة فلا نسمع عن تكاليف ملاك ليقوم به, شكراً له من كل القلب لأنه صورة لِما هو في قصده الأزلي أن يكون ابن محبته هو بذاته الحُلة الأولى للخاطئ الراجع إليه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لكن لا ننسى أن قبل تخييط الأقمصة من جلد كان هناك ذبح للحمل, هكذا ربنا يسوع المسيح لكي يكون الحُلة الأولى لنا كان ينبغي أن يُذبح على الصليب لأجلنا, لذلك للتمزيق وقت- هو وقت الخطية- وقت البعد عن الله, وبالنسبة للمؤمن هو وقت انقطاع الشركة. كم تكون الأفكار ممزقة والعواطف ممزقة, كم تكون الكلمات قاسية وممزقة لأقرب وأقدس العلاقات (للتمزيق وقت) لكن إذ توجد النفس عند قدمي راعي الخراف العظيم, راعي نفوسنا وأسقفها, وفي شركة عميقة معه كم تكون القلوب موّحدة والكلمات رقيقة وكل ثغرة حدثت من كلمات ممزقة, هكذا تأتي أحشاء الرأفات. كالبلسان ويتم تخييط كل الثغرات بتفاح من ذهب في مصوغ من فضة- كلمات نابعة من قلب مملوء بالمسيح (وللتخييط وقت).

ليتنا نفهم ونعي جيداً أن كل لحظة فيها الشركة مقطوعة, ليس لدينا إلا للتمزيق وقت, ليتنا نحرص على إدانة الذات تماماً واسترداد شركتنا معه حينئذ تكون حياتنا للتخييط وقت.

ولا ننسى أيضاً أن كل نفس لبست الحُلة الأولى أمام الله تبدأ في الحال تتعلم كيف تخيط أعمال البر العملي أمام الناس لمجد فاديها "بزاً نقياً بهياً لأن البز هو تبررات القديسين" (رؤ ١٩) كما هو مكتوب عن المرأة الفاضلة في أم ٣١ التي هي صورة حلوة للكنيسة أنها "تطلب صوفاً وكتاناً وتشتغل بيدين راضيتين"- الصوف للدفء وقت الشتاء والكتان الناعم وقت الحر. فهناك مَنْ هو محروم من أحشاء الرأفات كمن يعيش بمفرده, هذا يحتاج إلى دفء المحبة. وهناك من يتعرّض للتجارب والضيقات- هذا يحتاج إلى الكتان الناعم- الكلمات المشجعة المعزية.

ولا ننسى أيضاً أن قبل التخييط لا بد من التفصيل وهذا بالضبط ما يعمله الروح القدس, والخادم الأمين المملوء بالروح القدس يعرف جيداً كيف يفصل كلمة الحق بالاستقامة لكي تناسب الخطأة فيقتنعون في الداخل بأنهم لا ملاذ لهم من الأبدية الرهيبة إلا عمل ربنا يسوع المسيح, وتناسب المؤمن المتعثر فيستفيق ويحكم على نفسه وهكذا تُرّد شركته (٢ تي ٢: ١٥, ٢ كو ٥: ٩).

ولا ننسى أن هناك محاولتين من جانب الإنسان لكي يخيّط لنفسه رداء أمام الله الأولى مصّورة بالمآزر من اوراق التين التي لا تثبت لحظة أمام أشعة الشمس, صورة للتدين والتعبد الصوري الأجوف بدون توبة عن الخطية والاحتماء في دم الحمل. هذا التعبد الفارغ لا يثبت لحظة أمام قداسة الله ونور محضره لذلك صرخ آدم " سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت" (تك ٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الثانية في اش ٥٩ نسمع القول "فَقَسُوا بَيْضَ أَفْعَى وَنَسَجُوا خُيُوطَ الْعَنْكَبُوتِ. الآكِلُ مِنْ بَيْضِهِمْ يَمُوتُ وَالَّتِي تُكْسَرُ تُخْرِجُ أَفْعَى خُيُوطُهُمْ لاَ تَصِيرُ ثَوْباً وَلاَ يَكْتَسُونَ بِأَعْمَالِهِمْ" إشارة إلى الحياة الفاسدة في الداخل مع التشدق بأعمال البر.

الثنائي الثاني عشر

للسكوت وقت وللتكلم وقت.

لا نجد كتاباً آخر يوضح اهمية ضبط اللسان سوى كتاب الله, وقد تكلم الحكيم كثيراً في سفر الأمثال عن هذا الموضوع, وفي العهد الجديد رسالة يعقوب بجملتها لا نجد فصلاً منها غلا وينير على ضبط اللسان بل يربط الكمال في حياة الإيمان بهذه الفضيلة الهامة "إن كان أحد لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً" (يع ٣: ٢) وهذا له معناه الخطير وهو التدريب السري على قمع الطبيعة الساقطة في شهواتها واندفاعاتها, له هذه العلامة الخارجية وهي عدم خروج كلمة واحدة غير لائقة. ويصل الرسول في التعبير إلى حد القول بأن التأني والتعقل في الكلام هو علامة الولادة الثانية "شاء فولدنا بكلمة الحق.. إذاً يا إخوتي الأحباء ليكن كل إنسان مسرعاً في الاستماع مبطئاً في الغضب" (يع ١: ١٨, ١٩) لذلك نرى من كلمة الله أن هناك خطورة كبيرة جداً إذا اندفعنا بالكلام في وقت ينبغي أن نصمت فيه وإذا سكتنا بينما ينبغي أن نتكلم.

وقت الإهانة إلى حد الشتائم "غير مجازين عن شر بشر ولا عن شتيمة بشتيمة.. الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً.. ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها" (رو ١٢, بط ٢, اش ٥٣) بل يصل بنا الرسول إلى مستوى الرب فيقول "نُشتم فنبارك" وهذا ما فعله السيد إذ طلب المغفرة والبركة لشاتميه وصالبيه.

-وقت سماع كلمة الله في الاجتماع.

- سكوت النساء طوال فترة الاجتماع.

أما السكوت فهو محزن جداً في حالات:

- الزلل (مز ٣٢) "لما سكت بليت عظامي"
- في دائرة الصلاة الفردية والعائلية والجماعية "يا ذاكري الرب لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت حتى يثبت ويجعل أورشليم تسبحة في الأرض" (أش ٦٢: ٧), "ينبغي أن يُصلي كل حين ولا يُمل" (لو ١٨: ١)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

- محزن جداً في دائرة الكرازة "هذا اليوم يوم بشارة ونحن ساكتون إن انتظرنا إلى ضوء الصباح يصادفنا شر" (٢ مل ٧: ٩).

الثنائي الثالث عشر

للحب وقت وللبغضة وقت

المعنى الحرفي قائم على مشاهدات الحكيم تحت الشمس. هناك وقت تجري فيه المحبة بينهم والطابع والدافع لها هو المنفعة المتبادلة (للحب وقت) ولكن إذ تظهر الذات بأنانيتها ذات الرائحة الكريهة أو تصدر كلمات جارحة, هنا يتغير الموقف وتتولد البغضة القاتلة (وللبغضة وقت).

لكن تعالوا بنا إلى جو أفضل ورائحة عطرة تأتي من فوق الشمس, فالمحبة هي طبيعته تبارك اسمه. وكلمة محبة ومشتقاتها تأتي ٥٠٠ مرة في الكتاب المقدس منها ٣٠٠ مرة جاءت بصيغة الفعل أي الله يحب أو أحب, وكل مشورات الله من جهة الإنسان قائمة على اتجاه هذه المحبة الكائنة بين أقانيم اللاهوت إلى الجنس البشري. وفي المخطط الإلهي الأزلي أن يكون التجسد والفداء هو التعبير العملي المجيد الرائع عن هذه المحبة كما أعلن بفمه الكريم عندما جاء إلى أرضنا "هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو ٣: ١٦) ولهذا يتغنى الرسول يوحنا "بِهَذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا" (١ يو ٤: ٩, ١٠).

ولأن هذا النوع من المحبة الباذلة المضحية المعبّرة عن ذات الله في طبيعته لا توجد إلا في قلب الله, لذلك لكي يراها في أولاده أي المؤمنين بالمسيح لم يكن هناك وسيلة إلا أن يسكبها في قلوبهم بواسطة الأقنوم الإلهي الروح القدس "لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا" (رو ٥: ٥).

لكن من المهم جداً أن نلتفت إلى الإعلان الإلهي التالي المرتبط بهذه المحبة التي في قلب الله لنا كبشر وهي أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة، وعينيه أطهر من تنظرا الشر ويبغض الاثم في كل صوره وشبه الشر لا يُحتمل أمامه (١ تس ٥: ٢١) فكيف إذاً لم يمكن للإنسان الشارب الاثم كالماء، أن يتمتع بهذا الحب الذي في قلب الله؟ ليس إلا أن يرجع إلى الله تائباً ونادماً وباكياً على حياة الشر التي عاشها متجنباً عن خالقه الذي بيده نسمة حياته. وهكذا يُفتح الباب أمامه فيحتمى تحت ستر ذبيحة المسيح التي وجدت فيها قداسة الله على كفايتها لتغطية كل إثم الإنسان وشره. وما أكثر الاعلانات في كلمة الله عن هذه الحماية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

للإنسان أمام عدالة الله وقداسته "ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم" (خر ١٢)، "اجمعوا إليّ أتقيائي القاطعين عهدي على ذبيحة" (مز ٥٠)، وهكذا تبدأ النفس في التمتع بهذه المحبة الإلهية، ولكن لا ننسى الاعلان الخطير "للحب وقت" أي أن وقت بدء تمتع النفس بهذا الحب الإلهي له زمنه اللعين المحدود، الذي هو زمن هذه الحياة المحدودة بحيث إذا انتهت حياة الإنسان وهو مهما دعوة هذا الحب الذي من جانب الله، فلن يتذوق الإنسان هذا الحب إلى الأبد وستظل البغضة مالئة قلبه إلى الأبد- البغضة لأخيه الإنسان والبغضة لله طوال الأبدية بلا نهاية (للبغضة وقت). ونيران الجحيم الأبدي لن تقلل منها ذرة واحدة، وستمتزج تلك البغضة بالحسرة المرّة على تجاهل كل فرص المحبة التي قدمها الله للإنسان في فرصة حياته هنا على الأرض.

ولا ننسى أن القانون الذي رآه سليمان بين البشر للحب وقت وللبغضة وقت, ولكن ما أظهره رب سليمان عندما جاء إلينا من فوق الشمس "للحب كل الوقت وليس للبغضة وقت" ما أروع كلماته الغالية "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَضطْهِدُونَكُمْ" (مت ٥: ٤٤). وواضح انه هو الأول باستمرار وهو الذي سلك هذا الطريق وترك مثال المحبة المطلقة فأحب أعداءه وقدم نفسه فدية لأجلهم وعلى الصليب صلى طالباً المغفرة لهم من الآب المبارك "يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لو ٢٣: ٣٤).

الثنائي الرابع عشر

للحرب وقت وللصلح وقت.

منذ بداءة التاريخ مبكراً جداً أي بعد الطوفان مباشرة نسمع عن نمرود المتمرد, وكان جباراً في الصيد, وكون مملكة من ٤ مدن بالقوة والجبروت أي الحرب ثم في تك ١٤ نسمع عن أول حرب إذ قام كدرلعومر ملك عيلام بالاتفاق مع ٣ ملوك ونظموا حرباً ضد ملكي سدوم وعمورة وانتصر كدرلعومر وسبى سكان سدوم ومنهم لوط فقام رجل الله ابراهيم ومعه ٣١٨ من ولدان بيته وحارب كدرلعومر وكسره واسترد السبي وذلك لأجل لوط ابن أخيه. وهكذا إلى يومنا هذا الحروب قائمة وإن كان يتخللها وقت للصلح. ولا ننسى الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤- ١٩١٨ والثانية ١٩٣٩- ١٩٤٥ وكم من المآسي المرّة نتجت عنهما. والكتاب يكشف الدوافع المحركة لهذه الحروب "من أين الحروب والخصومات أليست من هنا من لذاتكم المحاربة في أعضائكم" (يع ٤: ١) فالحرب بين أفراد العائلة الواحدة وبين العائلات وبين الدول كلها نابعة من اللذات المحاربة داخل نفس الإنسان والرغبة في تعظيم ذاته على الآخرين أو تمتع نفس الإنسان بكل ما هو منظور هذه هي الراية الرهيبة تحت الشمس "للحرب وقت ".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وواضح ان الأمر المّر جداً في هذه الراية أن نفس الإنسان قبل كل شيء في حرب مُرّة مع الخالق القدير المحب "حماقة الرجل تعوّج طريقه وعلى الرب يحنق قلبه" (أم ١٩: ٣) وهذا هو السر الدفين الكامن تحت هذه الراية وداخل هذه الدائرة (للحرب وقت).

ولكن إذ تتجاوب النفس مع عمل الروح القدس وتقتنع بحاجتها إلى مُصالح مع الله, تنفتح البصيرة ليرى في شخص المسيح المعلّق على الصليب, المُصالح الوحيد الذي فيه الكفاءة في ذاته أن يُصالح النسان مع الله لأنه هو الذي اشتهاه أيوب قبل التجسد بألفي عام حين قال "ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا" (أي ٩: ٣٠) وهذا هو تقرير الروح القدس "اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ" (٢ كو ٥: ١٩), "لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ" (١ تي ٢: ٥) وهكذا إذ تقبل النفس ربنا يسوع المسيح مخلصاً شخصياً لها وتحتمي تماماً في عمله الكريم على الصليب, فإن الله في نعمته الغنية ينقلها إلى الراية المجيدة "وللصلح وقت" وتحت هذه الراية العظيمة تتمتع النفس بالسلام من كل وجه:

أولاً- مع الله "فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي بِهِ أَيْضاً قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالإِيمَانِ إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ" (رو ٥: ١)

ثانياً من جهة نفسه إذ تنتهي الصراعات المريرة للإنسان مع نفسه "وَلْيَمْلِكْ فِي قُلُوبِكُمْ سَلاَمُ اللهِ الَّذِي إِلَيْهِ دُعِيتُمْ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ وَكُونُوا شَاكِرِينَ" (كو ٣: ١٥), "سلاماً أترك لكم سلامي أعطيكم" (يو ١٤: ٢٧)

ثالثاً- من جهة الآخرين "حاذرين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام" (أف ٦: ١٥), "ورب السلام نفسه يعطيكم السلام دائماً من كل وجه" (٢ تس ٣: ١٦) ولكي يوضح الروح القدس أن السلام الممنوح للمفديين مرتبط ومؤسس على أقنوم الأبن متجسداً وعلى عمله الكفاري على الصليب وحده, لذلك نجد:

أولاً: في النبوات عن شخصه الكريم أنه هو "رئيس السلام" بمعنى مُبدئ السلام ومنشئه وذلك في اش ٩. وذات السفر يُعلن عن الكلفة والثمن فيقرر في اش ٥٣ "وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا."

ثانياً: عند تجسده نزل فريق عظيم من الملائكة من السماء وهتف "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام بالناس المسرة" (لو ٢: ١٤)

ثالثاً: في حياته الكريمة بين الناس أعطى فعلاً السلام لكل من ارتمى عند قدميه مؤمناً به محتمياً فيه, وكانت تخرج من فمه العبارة الغالية "اذهب بسلام إيمانك قد خلصك" (مر ٥: ٣٤, لو ٧: ٥٠, لو ٨: ٤٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

رابعاً: عطيته أو هديته الشخصية لرسله الأمناء بعد خروج يهوذا في ليلة الصليب "سلاماً أترك لكم سلاماً اعطيكم" (يو ١٤: ٢٧).

خامساً: تقرير الرسل سواء في كرازتهم أو في كل رسائل العهد الجديد إنه لا سلام إلا فيه وفي عمله الغالي على الصليب "لأنه هو سلامنا" (أف ٢: ١٤).

لذلك في لحظة التوبة والحصول على الحياة الجديدة من ربنا يسوع المسيح يبدا في الحال في البحث عن السلام مع كل الأطراف التي كان له معها نزاع أو خصام لأنه بالاتحاد والارتباط بربنا يسوع المسيح أصبح ابن السلام ويتم فيه القول "مجد الرجل أن يبتعد عن الخصام وكل أحمق ينازع" (أم ٢٠: ٣, تك ١٣: ٨).

"فَأَيُّ مَنْفَعَةٍ لِمَنْ يَتْعَبُ مِمَّا يَتْعَبُ بِهِ" (جا ٣: ٩).

هذه هي الخلاصة التي يصل إليها الحكيم بعد البحث الدقيق العميق لكل الظروف والأحوال والعمال التي يجتاز فيها الإنسان مبتدئاً من ولادة الإنسان إلى موته حيث تنتهي كل أفكاره وأنشطته هنا على الأرض. والنتيجة النهائية أنه لا ثبات ولا استقرار, لا شبع اكتفاء, وهنا يفتح الروح القدس بصيرتنا فنرى الثبات في من هو فوق الشمس "كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل ولا دوران" (يع ١: ٧). ونرى الشبع فيه وحده له كل المجد "من يُقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً" (يو ٤: ٣٥, اش ٥٥: ٢) ونرى الاكتفاء والقناعة (مز ٧٣: ٢٥,حب ٣: ١٨, في ٤: ١١)

"قَدْ رَأَيْتُ الشُّغْلَ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ بَنِي الْبَشَرِ لِيَشْتَغِلُوا بِهِ" (ع ١٠)

العمل الزمني الذي به يقوت الإنسان نفسه وعائلته, هو في الحقيقة عطية من الله. وهنا ينبغي أن نتأمل في العطايا التي أعطاها الله للإنسان كابن آدم:

أولاً- الحياة العاقلة المفكرة التي بها يمكن أن يفكر في الخالق ويلمس تماماً وجوده الحي العظيم وكمالاته الفائقة الطاهرة تماماً في كل جوانب الخليقة, وهذا ما يقصده بقوله المبارك "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك ١: ٢٦) وهذا ما أشار إليه الرسول في رو ١: ٢٠, ٢١ " لأن أموره غير النظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولا هوته حتى أنهم بلا عذر لأنهم لمّا عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله" وقد أشار إليه في خطابه إلى أثينا "وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ وَحَتَمَ بِالأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ مَسْاكَنِهِمْ لِكَيْ يَطْلُبُوا اللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ" (أع ١٧: ٢٦- ٢٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثانياً: الخير الذي يلزم هذه الحياة هنا على الأرض "وَهُوَ يَفْعَلُ خَيْراً يُعْطِينَا مِنَ السَّمَاءِ أَمْطَاراً وَأَزْمِنَةً مُثْمِرَةً وَيَمْلأُ قُلُوبَنَا طَعَاماً وَسُرُوراً" (أع ١٤: ١٧)- وهذا ما قرره ربنا يسوع المسيح في قوله المبارك "لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون أو بما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس" (مت ٦: ٢٥).

أي ان الله في محبته أعطانا هذه الحياة العظيمة هنا على الأرض وميزّنا بها عن كل المخلوقات, هل سيبخل علينا بطعام هذه الحياة, والذي أعطانا هذا الجسد بأجهزته الرائعة المذهلة هل سيبخل علينا بلباس هذا الجسد؟

ثالثاً: العمل الذي به يحصل الإنسان على هذا الخير بطريقة كريمة تتوافق مع الإنسان كمخلوق مبارك من الله وهذا ما ينير عليه سليمان هنا.

رابعاً: صوت الضمير الذي يثور عندما يعمل الإنسان أي شيء لا يتوافق مع الاستقامة الموجودة في خالقه وهو ما أشار إليه الرسول في رو ٢: ١٤"لأَنَّهُ الأُمَمُ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمُ النَّامُوسُ مَتَى فَعَلُوا بِالطَّبِيعَةِ مَا هُوَ فِي النَّامُوسِ فَهَؤُلاَءِ إِذْ لَيْسَ لَهُمُ النَّامُوسُ هُمْ نَامُوسٌ لأَنْفُسِهِمِ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ عَمَلَ النَّامُوسِ مَكْتُوباً فِي قُلُوبِهِمْ شَاهِداً أَيْضاً ضَمِيرُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ فِيمَا بَيْنَهَا مُشْتَكِيَةً أَوْ مُحْتَجَّةً فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يَدِينُ اللهُ سَرَائِرَ النَّاسِ حَسَبَ إِنْجِيلِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ". وقد أشار الحكيم إلى هذا الصوت في ع ١١

خامساً: فرصة التوبة في هذه الحياة حتى يمكن أن يرجع الله فيتحقق القصد الذي من أجله أوجده الله على الأرض.

وكل هذه العطايا العجيبة لكي تقود القلب البشري ليطلب الله "لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيداً" (أع ١٧: ٢٦) وفي الحظة التي يشتاق قلبه أن يوجد في سلام مع الله ويعرف الله تنفتح البصيرة إلى العطية العظمى

- العطية الأبدية التي قال عنها بفمه الكريم " لَوْ كُنْتِ تَعْلَمِينَ عَطِيَّةَ اللَّهِ وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَكِ أَعْطِينِي لأَشْرَبَ لَطَلَبْتِ أَنْتِ مِنْهُ فَأَعْطَاكِ مَاءً حَياً" (يو ٤: ١٠). وبها يهتف الرسول المغبوط "شكراً لله على عطيته التي لا يعبّر عنها" (٢ كو ٩: ١٤), وبها يهتف أشعياء النبي (٧٠٠ ق. م)

"يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً إِلَهاً قَدِيراً أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ" (أش ٩: ٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"صَنَعَ الْكُلَّ حَسَناً فِي وَقْتِهِ وَأَيْضاً جَعَلَ الأَبَدِيَّةَ فِي قَلْبِهِمِ الَّتِي بِلاَهَا لاَ يُدْرِكُ الإِنْسَانُ الْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ اللَّهُ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ" (ع ١١)

الأبدية المقصودة هنا هي الخلود للنفس البشرية في وعي كامل وإدراك حقيقي وواضح من أسفار كثيرة في الكتاب أنها إما في المجد والنعيم وإما في العذاب والجحيم. ولكي تصل النفس إلى المصير المبارك الأبدي أي المجد والنعيم لا بد من حصولها هنا في وقت الحياة الحاضرة على طبيعة مقدسة سماوية تعيش بها هنا على الأرض, وهكذا إذ تصل إلى مسكن الله يمكنها أن تسكن معه في فرح وانسجام كامل إلى الأبد. الأبدية في القلب, بدون هذا الحق المجيد:

أولاً: لا يستطيع الإنسان أن يفهم قصد الله من خلقه لكي يكون ممثلاً لله هنا على الأرض, ثم يساكن الله إلى الأبد هذا هو القصد في هذا التعبير الجميل "العمل الذي يعمله الله من البداية إلى النهاية" نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك ١: ٢٦) وظهر هذا عملياً بالعقل المفكر الواعي الذي به يستطيع الإنسان أن يدرك ويفهم أنه مخلوق عاقل أمام خالقٍ عظيم كليّ الحكمة والمحبة. كما أنه يستطيع أن يسْمع صوت الله سواء في عظمة الخليقة الفائقة أو في المعاملات وكلها تقوده لكي يصغي إلى الصوت الكريم في الوحي المقدس أي كلمة الله الحية الباقية إلى الأبد .

وبإطاعة هذا الصوت المحب والاحتماء في دم الحمل الكريم، يحصل الإنسان على طبيعة مقدسة من الله أي يصبح الإنسان "خليقة جديدة" في المسيح (٢ كو ٥: ١٧) و "شريكاً في الطبيعة الإلهية" (٢ بط ١: ٥. وهكذا يصبح مؤهلاً تأهيلاً إلهياً لكي يساكن الله إلى الأبد, وبدون عمل اعتبار لهذا الحق العظيم "الأبدية في القلب" فهذه هي الخسارة الأولى والعظمى.

ثانياً: ينزل بمستوى حياته إلى البهائم التي ليس لها قصد في حياتها إلا إشباع رغباتها "الإِنْسَانُ فِي كَرَامَةٍ لاَ يَبِيتُ يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ" (مز ٤٩: ١٢)

ثالثاً: ينزل بمستوى اعترافه بالفضل والمعروف إلى أقل من البهائم "اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيهِ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ أَمَّا شَعْبِي فَلاَ يَعْرِفُ ولاَ يَفْهَمُ" (أش ١: ٣)

رابعاً: يحرم نفسه من كل البركات التي في قلب الله من نحوه وأهمها الخلاص الأبدي والرعاية الحكيمة والحفظ من كل جهة والفرح الحقيقي والسلام الحقيقي.

"عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ خَيْرٌ إِلاَّ أَنْ يَفْرَحُوا وَيَفْعَلُوا خَيْراً فِي حَيَاتِهِمْ" (ع ١٢)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفرح وفعل الخير توأم جميل لكن بالسقوط أصبح الإنسان كتلة شريرة مضادة لله "ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (مز ١٤, ٥٣, رو٣) وحتى القدرة على فعل الخير معدومة "هَلْ يُغَيِّرُ الْكُوشِيُّ جِلْدَهُ أَوِ النَّمِرُ رُقَطَهُ فَأَنْتُمْ أَيْضاً تَقْدِرُونَ أَنْ تَصْنَعُوا خَيْراً أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُونَ الشَّرَّ" (إر ١٣: ٢٣) فأين نجد المفتاح لأمنية سليمان هذه؟ ليس إلا في خلاص الله "بالنعمة أنتم مخلصون" "لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا" (أف ٢: ٨, ١٠)

"وَأَيْضاً أَنْ يَأْكُلَ كُلُّ إِنْسَانٍ وَيَشْرَبَ وَيَرَى خَيْراً مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ فَهُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ" (ع ١٣)

هذه إحدى عطايا الله أنه في نعمته يبارك في تعب الإنسان فيفرح بثمار تعبه "طُوبَى لِكُلِّ مَنْ يَتَّقِي الرَّبَّ وَيَسْلُكُ فِي طُرُقِهِ لأَنَّكَ تَأْكُلُ تَعَبَ يَدَيْكَ طُوبَاكَ وَخَيْرٌ لَكَ" (مز ١٢٨: ١, ٢) لكن بكل أسف نتيجة تجاهل الرب يتم هذا التوبيخ "اجْعَلُوا قَلْبَكُمْ عَلَى طُرُقِكُمْ زَرَعْتُمْ كَثِيراً وَدَخَّلْتُمْ قَلِيلاً وَالآخِذُ أُجْرَةً يَأْخُذُ أُجْرَةً لِكِيسٍ مَنْقُوبٍ" (حجي ١: ٥, ٦).

"قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ كُلَّ مَا يَعْمَلُهُ اللَّهُ أَنَّهُ يَكُونُ إِلَى الأَبَدِ لاَ شَيْءَ يُزَادُ عَلَيْهِ وَلاَ شَيْءَ يُنْقَصُ مِنْهُ وَأَنَّ اللَّهَ عَمِلَهُ حَتَّى يَخَافُوا أَمَامَهُ. مَا كَانَ فَمِنَ الْقِدَمِ هُوَ, وَمَا يَكُونُ فَمِنَ الْقِدَمِ قَدْ كَانَ وَاللَّهُ يَطْلُبُ مَا قَدْ مَضَى" (ع ١٤, ١٥)

ما هو هذا العمل الكامل الذي يعمله الله, الثابت ثبات الله؟ هناك عمل الله في الخليقة وهو رائع وكتاب جميل وإذاعة قوية "اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" (مز ١٩: ١) ولكن الوحي نفسه يُعلن أن هذا العمل سوف ينتهي "كلها تبيد ولكن أنت تبقى" (مز ١٠٢).

وهناك عمل الله في التاريخ فقد أقام الله دولاً وممالك تحكم العالم كما أوضح دانيال النبي للملك نبوخذنصر رأس الدولة البابلية, وحدث تماماً كما تنبأ إذ قامت بعد ذلك الدولة الفارسية ثم اليونانية ثم الرومانية حتى أن التاريخ يسمّى تاريخ القدير. لكن هذه الممالك كلها قد انتهت كما الممالك القائمة الآن. إذاً ما هو العمل الذي يعمله الله وله هذه الراية المثلثة.

أولاً: الثابت ثبات الله.

ثانياً: الكامل كمال الله لا شيء يُزاد عليه ولا شيء ينقص منه.

ثالثاً: المنشئ الحقيقي لمخافة الله.

الإجابة نراها واضحة تماماً في تجسد أقنوم الكلمة الأزلي ليصنع الفداء :

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أولاً: الفداء ثابت ثبات الله فهو مقرر في الأزل "دَمِ الْمَسِيحِ مَعْرُوفاً سَابِقاً قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ" (١ بط ١: ١٩) "المسيح بروح أزلي قدم نفسه لله" (عب ١- بدرج الكتاب- أي الأزل "مَكْتُوبٌ عَنِّي أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلَهِي سُرِرْتُ" (مز ٤٠) ثم في أول مشهد لرد الإنسان إلى الله "وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلَهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا" (تك ٣) في اقتراب الاباء من هابيل فنازلاً لم يكن إلا ذلك الأساس الواحد وهو الفداء بدم الحمل إلى أن تجسد الأبن فتصاعد الهتاف من أعظم الأنبياء "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يو ١: ٢٩) إلى أن نصل إلى الأبدية التي لا نهاية لها ونترنم الترنيمة الجديدة "لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ" (رؤ ٥: ٩).

ثانياً: الكامل كمال الله لا شيء يُزاد عليه ولا شيء ينقص منه، فمن ذا الذي له الكفاءة أن يقف امام عدل الله بكل مطالبيه، ليس إلا أقنوم الابن متجسداً "فِي طَرِيقِ الْعَدْلِ أَتَمَشَّى فِي وَسَطِ سُبُلِ الْحَقِّ" (أم ٨: ٢٠) لذلك باستمرار التنبير على الكفاية المطلقة لدم الحمل سواء في الرموز في العهد القديم أم في الدم الحقيقي دم المسيح في العهد الجديد.

ما كان اروع المشهد في تلك الليلة، ليلة فداء إسرائيل في أرض مصر "ويكون لكم الدمت دم الحمل- علامة على البيوت فأرى الدم وأعبر عنكم" لا شيء يُزاد عليه ولا شيء ينقص منه. ثم جاء مشهد الفداء من ضربة الوباء القاتل، فكان نصف شاقل الفضة (فضة الفداء) هو الأمر الوحيد المعيَّن من الله للفداء "الغني لا يكثر والفقير لا يقلل" (خر ٣٠: ١٥، عد ٣: ٥١).

وهكذا يأتي العهد الجديد بالفيض الغمر من الاعلان الإلهي عن خطورة إضافة شيء إلى عمل المسيح وفدائه العظيم "لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا" (أف ١: ٧). "سِمْعَانُ بُطْرُسُ عَبْدُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَرَسُولُهُ إِلَى الَّذِينَ نَالُوا مَعَنَا إِيمَاناً ثَمِيناً مُسَاوِياً لَنَا بِبِرِّ إِلَهِنَا وَالْمُخَلِّصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١ بط ١: ١) فالإيمان ثمين لأنه مؤسس على الفداء العظيم ويتساوى فيه الرسل مع كل المفديين. ولهذا السبب ينبّر الرسول بولس في رسالة العبرانيين على قيمة الذبيحة الواحدة وتقديم المسيح جسده الكريم مرة واحدة، فتتكرر في هذه الرسالة كلمة "مرة واحدة" برهان كفاية ذبيحته وإذ هو ابن الله لا يمكن أن يُضاف إلى عمله أي شيء. وقد وردت كلمة "مرة" في هذه الرسالة ٨ مرات (عب ٧: ٢٧، ٩: ١٢، ٢٦، ٢٨، ١٠: ١٠) كما يؤكده الرسول بطرس ١ بط ٣: ١٨.

ثالثاً: المنشئ الحقيقي الوحيد لمخافة الله، وهنا نرى الرسول المغبوط بولي ينبّر على هذه الحقيقة المجيدة في ١ تي ٣: ١٦ وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد.

وهنا يأتي السؤال: لماذا انحصرت التقوى أي مخافة الله في القلب، في ظهور المسيح إلهنا في صورة إنسانية حقيقية؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

-لأنه في حياته أعلن ذات الله في طبيعته المجيدة وصفاته وكمالاته واستقاماته الأزلية، العصمة، الحكمة، الطهارة، القداسة، الصراحة، المحبة، الرحمة والعدل والقوة التي لا يقف أمامها شيء حتى الموت كما وصفه الوحي أنه "صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورَةِ" (كو ١: ١٥)

-أعلن ما هو الإنسان في حقيقته أمام هذا المقياس المطلق وأنه ليس إلا كتلة من الشر والأنانية والقسوة والنجاسة والاعوجاج.

-أعلن في موته الفدائي كيف يمكن أن يغفر الله كل خطايا الإنسان ويضع يده عليه ويخلقه من جديد إنساناً مقدساً يحب الله ويخافه مخافة المحبة.

وما اروع إيضاحه للقاعدة والأساس في أول الرسالة للتقوى الحقيقية التي ميّز الله بها كنيسته الحقيقية التي هي بيته هنا على الأرض والراية العظيمة التي ترفرف على هذا البيت هي مخافة الله في القلب فنقرأ في ١ تي ١: ١٥ " صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلَّ قُبُولٍ أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ الَّذِينَ أَوَّلُهُمْ أنا"- أي أنه لا تقوى بدون هذا المخلص الإلهي العظيم الذي أتى من السماء. ونفرأ في ١ تي ٢: ٥ "لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ"- أي أنه لا توجد تقوى حقيقية بدون مصالحة إلهية بهذا الوسيط والمصالح الإلهي الوحيد الذي بذل حياته لأجل الجميع.

"مَا كَانَ فَمِنَ الْقِدَمِ هُوَ وَمَا يَكُونُ فَمِنَ الْقِدَمِ قَدْ كَانَ وَاللَّهُ يَطْلُبُ مَا قَدْ مَضَى" (ع ١٥)

ما هو كائن الآن وما سوف يكون فمن القدم موجود كما هو, هذا هو تقرير الوح القدس عن الإنسان في ذاته, في الماضي والحاضر والمستقبل- من بدء التاريخ إلى نهاية البشرية, ليس هناك تحسين أقل ذرة في طبيعته الساقطة لا التقدم العلمي ولا الرقي الاجتماعي ولا الفلسفة ولا الاكتشافات المذهلة التي كان لها التأثير الفعال على الحياة العملية للإنسان وحتى ما يمكن أن يستحدثه ذهن الإنسان, لا يغير الحقيقة الراسخة في كل الوحي المقدس, إن الإنسان من جهة مصير نفسه الخالدة ومن جهة موقفه من الإعلانات الإلهية- الآن كما هو في القديم "أَمَّا الرَّجُلُ فَفَارِغٌ عَدِيمُ الْفَهْمِ وَكَجَحْشِ الْفَرَا يُولَدُ الإِنْسَانُ" (أي ١١: ١٢) "مْ تَسْمَعْ وَلَمْ تَعْرِفْ وَمُنْذُ زَمَانٍ لَمْ تَنْفَتِحْ أُذُنُكَ فَإِنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ تَغْدُرُ غَدْراً وَمِنَ الْبَطْنِ سُمِّيتَ عَاصِياً" (أش ٤٨: ٤).

وبدون الاتضاع أمام الفداء الإلهي واستحضار الإنسان نفسه أمام الله المحب في رغبة صادقة للمصالحة معه على حساب الدم الكريم, يظل الإنسان في الجهل والعمى الروحي ويتم فيه قول الرب "وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَائِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ" (رؤ ٣: ١٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والله يطلب ما قد مضى! هنا الخطورة الرهيبة إذ في الذهن البشري محاولة مستمرة لكي يزيح بعيداً الأمور المحزنة التي سقط فيها في الماضي, وبكل الوسائل الخادعة يحاول تبرير نفسه بعلل واهية, وانتقال الإنسان في مراحل حياته من شباب إلى رجولة إلى شيخوخة لا يمحو صفحة واحدة أو سطراً واحداً مما كتبه الإنسان في حياته وتبقى الكلمة الرهيبة: الله يطلب ما قد مضى!!

لكن شكراً لإلهنا المحب الذي على أساس تجسده وعمله الكفاري استطاع أن يقرر "أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا أذكرها" (أش ٤٣: ٢٥, ٤٤: ٢٢, مز ٥١: ١, أع ٣: ١٩).

"وَأَيْضاً رَأَيْتُ تَحْتَ الشَّمْسِ مَوْضِعَ الْحَقِّ هُنَاكَ الظُّلْمُ وَمَوْضِعَ الْعَدْلِ هُنَاكَ الْجَوْرُ" (ع ١٦)

في ع ١٥الإنسان كما هو منذ السقوط يعبد ذاته ويعبد الشيطان لأنه منفصل عن الله, وهنا في ع ١٦ النتيجة الحتمية وهي استبدال حق الله بالكذب وعدل الموازين الإلهية بظلم وجور أنانية نفس الإنسان لذلك في لحظة الاحتماء في دم الفادي الرب يسوع تحدث المعجزة "إن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف" (لو ١٩: ٨). "إِنْ رَجَعْتَ إِلَى الْقَدِيرِ تُبْنَى. إِنْ أَبْعَدْتَ ظُلْماً مِنْ خَيْمَتِكَ وَأَلْقَيْتَ التِّبْرَ عَلَى التُّرَابِ وَذَهَبَ أُوفِيرَ بَيْنَ حَصَا الأَوْدِيَةِ يَكُونُ الْقَدِيرُ تِبْرَكَ وَفِضَّةَ أَتْعَابٍ لَكَ) "٢٢: ٢٣ (

"فَقُلْتُ فِي قَلْبِي اللَّهُ يَدِينُ الصِّدِّيقَ وَالشِّرِّيرَ لأَنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ وَلِكُلِّ عَمَلٍ وَقْتاً هُنَاكَ" (ع ١٧)

الله هو القاضي للصديق والشرير: في مشهد الغش والظلم لا بد أن الله يُظهر ذاته الكريمة ويقضي بالعدل فينصف الأول ويدين الثاني ولكن لكل أمر وقت معين من الله "أَفَلاَ يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَاراً وَلَيْلاً وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ" (لو ١٨: ٧), "تَوَاضَعُوا تَحْتَ يَدِ اللهِ الْقَوِيَّةِ لِكَيْ يَرْفَعَكُمْ فِي حِينِهِ" (١ بط ٥: ٦) "انْتَظِرِ الرَّبَّ وَاصْبِرْ لَهُ مِثْلَ النُّورِ بِرَّكَ وَحَقَّكَ مِثْلَ الظَّهِيرَةِ" (مز ٣٧: ٦).

"قُلْتُ فِي قَلْبِي: «مِنْ جِهَةِ أُمُورِ بَنِي الْبَشَرِ إِنَّ اللَّهَ يَمْتَحِنُهُمْ لِيُرِيَهُمْ أَنَّهُ كَمَا الْبَهِيمَةِ هَكَذَا هُمْ». لأَنَّ مَا يَحْدُثُ لِبَنِي الْبَشَرِ يَحْدُثُ لِلْبَهِيمَةِ وَحَادِثَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُمْ. مَوْتُ هَذَا كَمَوْتِ ذَاكَ وَنَسَمَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْكُلِّ. فَلَيْسَ لِلإِنْسَانِ مَزِيَّةٌ عَلَى الْبَهِيمَةِ لأَنَّ كِلَيْهِمَا بَاطِلٌ. يَذْهَبُ كِلاَهُمَا إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ. كَانَ كِلاَهُمَا مِنَ التُّرَابِ وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ كِلاَهُمَا. مَنْ يَعْلَمُ رُوحَ بَنِي الْبَشَرِ هَلْ هِيَ تَصْعَدُ إِلَى فَوْقٍ وَرُوحَ الْبَهِيمَةِ هَلْ هِيَ تَنْزِلُ إِلَى أَسْفَلَ إِلَى الأَرْضِ؟ فَرَأَيْتُ أَنَّهُ لاَ شَيْءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَفْرَحَ الإِنْسَانُ بِأَعْمَالِهِ لأَنَّ ذَلِكَ نَصِيبَهُ. لأَنَّهُ مَنْ يَأْتِي بِهِ لِيَرَى مَا سَيَكُونُ بَعْدَهُ؟"

 All rights reserved © 2008-2018

طالما كانت هذه الأقوال مثار جدل كثير إذ وجد فيها الفنائيون مجالاً متسعاً لتبرير نظريتهم بفناء الإنسان واتخذها المدعوون شهود يهوه والستيون- حجة لتبرير مبادئهم الخبيثة بأن هذه الأقوال تنطبق على من لا يتبعون تعاليمهم المدمرة للنفوس. لكن مفتاح الفصل كما يخبرنا سليمان نفسه "ما قاله هو في قلبه" فليس إذاً إعلاناً إلهياً لكن تساؤل عقل الإنسان بالاستقلال عن كلمة الله.

فإن كان هذا الحل أحكم إنسان بدون الكلمة, فقصد الروح القدس واضح لكي يوضح أهمية قياس كل شيء على الكلمة وفي نورها. ورجوع مخلص إلى أول صفحة في الوحي يوضح ضلال فكر سليمان في هذه اللحظة, إذ نسمع عن خلق البهائم "لتخرج الأرض ذوات أنفس حية"- هذه هي البهائم وكيف خُلقت. لكن عندما خُلق الإنسان نسمع القول "قَالَ اللهُ نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ" (تك ١: ٢٤, ٢٦, ٢٧). ثم التفصيل والتوضيح المبارك ص ٢: ٧ "وجبل الرب الإله الإنسان ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار الإنسان نفساً حية."

وهنا نفهم قصد الروح القدس من سفر الجامعة ليرينا أن حكمة أعظم الحكماء تعجز عن معرفة حقيقة غير النظور إن لم يحكّمه الله بالكلمة. كما أن الغرض من سفر أيوب ليرينا أن بر أعظم الأبرار يعجز عن تبريره أمام الله ما لم يبرره الله ببر إلهي في الكلمة, وكان على كل منهما أن يعترف في سفره بما يخصه. فأيوب الكامل والمستقيم الذي ليس مثله في الأرض كان عليه أن يرفض نفسه وبره ويندم في التراب والرماد (أي ٩, ٤٢) كما أن أحكم الحكماء سليمان كان عليه أن يعترف بقصور حكمته البشرية وعجزها عن إدراك سرائر الله وهكذا تُرّد نفسه بالإعلان الإلهي الحاسم "فَيَرْجِعُ التُّرَابُ إِلَى الأَرْضِ كَمَا كَانَ وَتَرْجِعُ الرُّوحُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاهَا" (جا ١٢: ٧)

كم نشكر الله لأنه هوذا أعظم من سليمان في كل شيء, ففي هذا الأمر يوضح الرب يسوع "فَمَاتَ لعازر الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ ورَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْعَذَابِ" (لو ١٦). أي أن الموت لن يعطل فرح المفديين بمخلصهم لحظة واحدة ولن يسكت أغانيهم له دقيقة واحدة "مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضَيْقٌ أَمْ سَيْفٌ ؟ لَكِنَّنَا فِي هَذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا" (رو ٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأصحاح الرابع

"ثُمَّ رَجَعْتُ وَرَأَيْتُ كُلَّ الْمَظَالِمِ الَّتِي تُجْرَى تَحْتَ الشَّمْسِ فَهُوَذَا دُمُوعُ الْمَظْلُومِينَ وَلاَ مُعَزِّيَ لَهُمْ وَمِنْ يَدِ ظَالِمِيهِمْ قَهْرٌ أَمَّا هُمْ فَلاَ مُعَزِّيَ لَهُمْ" (ع ١)

العناوين الكبيرة التي تصف الإنسان كابن آدم, بدون نعمة الله, نراها واضحة في نبوة يعقوب في تك ٤٩ فنسمع عن رأوبين أنه مندفع في شهوته كالماء الفائر بلا ضابط وهكذا دنس مضجع ابيه, ثم عن سمعون ولاوي بدورهما اندفعا إلى الظلم والقسوة والقتل, أي أن الإنسان بالطبيعة تحت رايتين كبيرتين: الفساد والظلم, وواضح جداً أن هذه هي مدرسة العدو, كما قال الرب يسوع بفمه الكريم لليهود "أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا" (يو ٨: ٤٤).

ما أبعد الفارق بين المدرستين: مدرسة الله التي أظهرها ابن محبته ربنا يسوع المسيح هنا على الأرض ومدرسة العدو التي تظهر منذ السقوط في حياة البشر في كل مكان, إلى أن يتقابل الإنسان مع الله في صليب ابنه فيُعطى من الله طبيعة جديدة مقدسة طاهرة باذلة مضحية لأنها ذات طبيعة المسيح "إذا إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة" (٢ كو ٥: ١٧). فكل ما رآه سليمان في مشهد ظلم الطبيعة البشرية الأنانية الساقطة هو دموع المظلومين بكاءً على أنفسهم، لكن هلم بنا إلى رب سليمان عندما كان هنا على الأرض فنرى ما هو أعظم وأروع فنرى دموعه هو له المجد بكاءً على الظالمين أنفسهم. كم ظُلم هو له المجد من شعب أورشليم وكان يعلم تماماً ما كُتب عنه "ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه" لكنه ما أعجبه وهو ينظر إلى أورشليم ويبكي عليها ويرثى مصيرها المُحزن (لو ١٩). وشكراً له من كل القلب لأنه استطاع أن يوجد هنا على الأرض دموعاً أخرى مجيدة، وهي دموع الامتنان والشكر القلبي العميق، دموع الولاء والتعبد له في أولئك الذين انفتحت بصيرتهم فرأوا فيه الفادي المحب الغافر الوحيد لكل خطاياهم (لو ٧).

الأمر الثاني أن سليمان لم يرَ المُعزي لدموع المظلومين، لكن والده داود تدرب أكثر عند قدمي الرب، رأى المعزي العظيم لدموع المظلومين. اسمعه وهو يقرر "اِجعل أنت دموعي في زقك. أما هي في سفرك؟" (مز ٥٦: ٨). لكن هناك الرجاء المبارك لأولاد الله إذ لهم هذا الوعد "ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه" (أش ٢٥: ٨، رؤيا ٧: ١٧، ٢١: ٤).

"فَغَبَطْتُ أَنَا الأَمْوَاتَ الَّذِينَ قَدْ مَاتُوا مُنْذُ زَمَانٍ أَكْثَرَ مِنَ الأَحْيَاءِ الَّذِينَ هُمْ عَائِشُونَ بَعْدُ" (ع ٢).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ما أتعس انحصار النظر في الأمور التي تجري تحت الشمس، وهذه النظرة السطحية جعلت سليمان يسقط في أمرين رهيبين:

الأول: نهاية الحياة بالموت خير من الحياة مع الظلم! يا لها من هزيمة وفيها رائحة الذات الكريهة. لكن ما أسمى موازين بولس " لست أحتسب لشيء (ظلم، ضرب، سجن، لكم) ولا نفسي ثمينة عندي حتى أتمم بفرح سعيي والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع" (أع ٢٠: ٢٤).

الثاني: رأى موت البشر كفريق واحد! ما أغبى هذه النظرة! ألا يعلن الكتاب من البداءة أن البشر عائلتان منفصلتان؟ والذي فصل بينهما هو الإيمان بدم الحمل.

"وَخَيْرٌ مِنْ كِلَيْهِمَا الَّذِي لَمْ يُولَدْ بَعْدُ الَّذِي لَمْ يَرَ الْعَمَلَ الرَّدِيءَ الَّذِي عُمِلَ تَحْتَ الشَّمْسِ!" (ع ٣).

أي أن الذي لم يولد بعد خير من الذي ولد ولا زال على قيد الحياة في دائرة ظلم الناس. كما سبقت الإشارة، إن الحياة هنا على الأرض إذا لم يملأها المسيح ليكون هو الغرض الوحيد لها، حينئذ فعلاً الذي لم يولد خير من الذي ولد، ليس فقط لمرارة الحياة نفسها لكن ما هو أتعس- المصير الأبدي الرهيب للإنسان بدون المسيح.

"وَرَأَيْتُ كُلَّ التَّعَبِ وَكُلَّ فَلاَحِ عَمَلٍ أَنَّهُ حَسَدُ الإِنْسَانِ مِنْ قَرِيبِهِ! وَهَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ" (ع ٤).

هذا هو تقرير سليمان بالروح القدس عن أحد عناصر اجتهاد الإنسان العالمي واحتماله كل مشقة وكل تعب، لكي بنجاحه في هذه الحياة يتفوق على الآخرين الذين سبقوه في النجاح والتفوق، وهذا هو الحسد أو الغيرة الرديئة. وهنا نسمع تحذير الكتاب في مز ٣٧: ١- ٥ "لداود لا تغر من الأشرار ولا تحسد عمال الإثم فإنهم مثل الحشيش سريعا يقطعون ومثل العشب الأخضر يذبلون. اتكل على الرب وافعل الخير. اسكن الأرض وارع الأمانة. وتلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك. سلم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجري."

"اَلْكَسْلاَنُ يَأْكُلُ لَحْمَهُ وَهُوَ طَاوٍ يَدَيْهِ" (ع٥).

هنا يتأمل في الجانب العكسي، أي البطالة- هل هي أفضل من العمل المضنى الناجح؟ كلا. لأن الكسلان المتعطل إنسان جاهل يأكل لحمه بمعنى أنه لابد أن يجلب الخراب لنفسه وهكذا تتجه الحكمة البشرية إلى المتوسط المعتدل وذلك في القول:

"حفْنَةُ رَاحَةٍ خَيْرٌ مِنْ حُفْنَتَيْ تَعَبٍ وَقَبْضُ الرِّيحِ" (ع ٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أي حفنة رزق براحة خير من حفنتي رزق بتعب باطل، وهذه قضية لا غبار عليها، أن الجمع والتكويم لا يجلب معه سوى خيبة الأمل والهم الناتج من إنفاق صحة الإنسان التي لا تعوض لكن ما أسمى حكمة الإنسان المتعلم من الكتاب المقدس "التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة" (١ تي ٦: ٦). وأيضاً "القليل الذي للصديق خير من ثروة أشرار كثيرين" (مز ٣٧: ١٦).

"ثُمَّ عُدْتُ وَرَأَيْتُ بَاطِلاً تَحْتَ الشَّمْسِ يُوجَدُ وَاحِدٌ وَلاَ ثَانِيَ لَهُ وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ وَلاَ أَخٌ وَلاَ نِهَايَةَ لِكُلِّ تَعَبِهِ وَلاَ تَشْبَعُ عَيْنُهُ مِنَ الْغِنَى. فَلِمَنْ أَتْعَبُ أَنَا وَأُحَرِّمُ نَفْسِي الْخَيْرَ؟ هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ وَأَمْرٌ رَدِيءٌ هُوَ" (ع ٧، ٨).

في الأعداد السابقة بحث الحكيم ضربة مُرّة ضُرب بها القلب البشري وهي العمل المضني لكي يتفوق على الذين سبقوه وتفوّقوا عليه وهذا هو الحسد. وبحث أيضاً ضربة الكسل التي تجلب الخراب على الإنسان. أما هنا موضوع تأمله ضربة أرهب وأقسى وهي متعة جمع المال في ذاك البخيل الذي ليس له أقارب يعتمدون عليه, أو يطلبون العون منه. ومع ذلك يكافح ويتعب ويحرم نفسه الخير والتمتع بالثروة التي يتوهم أن في جمعها متعة وغبطة لأنه يرى في المال إلهاً محركاً للعالم يفتح الأبواب المغلقة ويعوّج القضاء. لكن ما أرهب تقرير الكتاب "لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ" (١ تي ٦: ١٠).

وواضح أن هذه المتعة لها هذه الجوانب المدمرة. طُوبَى لِكُلِّ مَنْ يَتَّقِي الرَّبَّ وَيَسْلُكُ فِي طُرُقِهِ

أولاً: يعبد هذا الصنم ويصير كل تفكيره عنه (مت ٦: ٢٤)

ثانياً: يحرم نفسه الخير الذي وضعه الله بين يديه! ما أسمى تعليم الكتاب "طُوبَى لِكُلِّ مَنْ يَتَّقِي الرَّبَّ وَيَسْلُكُ فِي طُرُقِهِ لأَنَّكَ تَأْكُلُ تَعَبَ يَدَيْكَ" (مز ١٢٨)

ثالثاً: يتدرب القلب على القسوة أكثر بالنسبة للمحتاجين بسبب البخل.

"اِثْنَانِ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ لأَنَّ لَهُمَا أُجْرَةً لِتَعَبِهِمَا صَالِحَةً. لأَنَّهُ إِنْ وَقَعَ أَحَدُهُمَا يُقِيمُهُ رَفِيقُهُ. وَوَيْلٌ لِمَنْ هُوَ وَحْدَهُ إِنْ وَقَعَ إِذْ لَيْسَ ثَانٍ لِيُقِيمَهُ) "٩, ١٠.(

يتناول الحكيم هنا ضربة أخرى للقلب البشري, وهي متعة الوحدة, أي أن الإنسان يعيش بمفرده ظناً منه إن شاركه أحد في حياته فسوف يكدّر تفكيره وتمتعه بما بين يديه, ونرى الحكيم يوضح غباوة هذا الفكر:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أولاً:- اثنان خير من واحد لأن هذا ما رسمه الرب منذ البداءة للإنسان, لأنه مخلوق ضعيف تحت الآلام, ومحتاج باستمرار إلى معونة, لذلك قال الرب "لَيْسَ جَيِّدًا أَن يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ فَاصْنَعَ لَهُ مُعِيناً نَظِيرَهُ" (تك ٢).

ثانياً- لهما أحرة صالحة لتعبهما أي أن المحصول الناتج من الخدمة يكون أوفر, ولهذا تكون الأجرة مضاعفة. لو كان إكليلاً بمفرده لمّا استطاع أن يستضيف الرسول العظيم بولس ويقدم له خدمة الضيافة الكاملة المريحة المباركة لمدة عام ونصف وهي فترة إقامة الرسول في مدينة كورنثوس حيث تأسست الكنيسة هناك.

ثالثاً- ع ١٠ ينبر الحكيم على أمر آخر وهو المعونة المتبادلة في كل ظروف الحياة ومفاجآتها المتنوعة التي بسبب ضعف الإنسان في ذاته قد يتعرض للسقوط, فيجد في الحال من يمسك بيده ليقيمه. ومغبوط هذا البيت الذي يوقرّ بحق اسم الرب, حتى إذا زلت قدم طرف, يبادر الطرف الآخر لعلاجه بمحبة ووداعة وتواضع.

"أَيْضاً إِنِ اضْطَجَعَ اثْنَانِ يَكُونُ لَهُمَا دِفْءٌ أَمَّا الْوَاحِدُ فَكَيْفَ يَدْفَأُ" (ع ١١)

الدفء في الكتاب المقدس يشير إلى التعزية الناتجة من الأحشاء المملوءة بالرب في حنانه وعطفه. كم كانت سارة تحب تعزية لإبراهيم في تغربه في أرض كنعان وكم كانت رفقة سبب تعزية لإسحق بعد وفاة أمه المحبوبة سارة.

"وَإِنْ غَلَبَ أَحَدٌ عَلَى الْوَاحِدِ يَقِفُ مُقَابِلَهُ الإِثْنَانِ وَالْخَيْطُ الْمَثْلُوثُ لاَ يَنْقَطِعُ سَرِيعاً" (ع ١٢)

ما أجمل المنظر في إتحاد قلبين معاً في المعركة مع العدو, هنا القوة والانتصار. لهذا كانت إرسالية الرب للسبعين في لوقا ١٠: ١ حيث أرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه المبارك إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتي. ولهذا أيضاً لنا منه هذا الوعد "إِنِ اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ عَلَى الأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَطْلُبَانِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ١٨: ١٩) ولهذا نجد تحذير الرسول بطرس للرجال والنساء في كل بيت " لكي لا تُعاق صلواتكم" (١ بط ٣: ٨).

"وَلَدٌ فَقِيرٌ وَحَكِيمٌ خَيْرٌ مِنْ مَلِكٍ شَيْخٍ جَاهِلٍ الَّذِي لاَ يَعْرِفُ أَنْ يُحَذَّرَ بَعْدُ. لأَنَّهُ مِنَ السِّجْنِ خَرَجَ إِلَى الْمُلْكِ وَالْمَوْلُودُ مَلِكاً قَدْ يَفْتَقِرُ" (ع ١٣, ١٤).

في أسى عميق يقرر هذا الحكيم العظيم أنه لم يعرف ولم يتعلم كيف يتحذر بما بين لديه من حكمة. فهو الذي يكتب عن أهمية الاثنين والارتباط القلبي الصادق بينهما وأهمية هذا في المعركة مع العدو, لم يسلك هو فيه فلم يكن له زوجة أمينة واحدة تعرف الرب وتؤازره في سكب القلب أمام الرب ولهذا كانت له الهزيمة المُرّة وها هو يقرر عن نفسه أنه ملك شيخ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

جاهل. أما الولد الفقير الحكيم فهو يربعام الذي في حكمه عرف أنه ليس هو الوقت المناسب ليهز عرش سليمان فهرب إلى مصر, التي كانت له كسجن, وبقلم النبوة يكتب سليمان ما حدث تماماً بعد وفاته إذ خرج يربعام من مصر وأتى ليقود عشرة أسباط في ثورة ضد رحبعام ابن سليمان. وفعلاً تكوّنت المملكة الشمالية وجلس على عرشها يربعام. والمولود ملكاً وهو رحبعام فعلاً افتقر بسبب عدم مخافة الرب إذ فقد العشرة أسباط ولم يبق له إلا سبطا يهوذا وبنيامين, ولم تمض خمس سنوات حتى جاء شيشق ملك مصر وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ أتراس الذهب (٢ أي ١٢: ٩).

"رَأَيْتُ كُلَّ الأَحْيَاءِ السَّائِرِينَ تَحْتَ الشَّمْسِ مَعَ الْوَلَدِ الثَّانِي الَّذِي يَقُومُ عِوَضاً عَنْهُ لاَ نِهَايَةَ لِكُلِّ الشَّعْبِ لِكُلِّ الَّذِينَ كَانَ أَمَامَهُمْ أَيْضاً الْمُتَأَخِّرُونَ لاَ يَفْرَحُونَ بِهِ فَهَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ" (ع ١٥, ١٦) .

بقية القصة حيث كل الأحياء أي العشرة الأسباط جمهور شعب إسرائيل مع الولد يربعام عوضاً عن رحبعام. أيضاً المتأخرون لا يفرحون به, نبوة عن عدم ابتهاج العشرة أسباط بمُلك يربعام بعد أن ملكوه عليهم ملكاً. وسواء مملكة رحبعام أو يربعام فالكل باطل وقبض الريح لأن في كليهما لم توجد مخافة الرب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأصحاح الخامس

"احفظ قَدَمَكَ حِينَ تَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ فَالإِسْتِمَاعُ أَقْرَبُ مِنْ تَقْدِيمِ ذَبِيحَةِ الْجُهَّالِ لأَنَّهُمْ لاَ يُبَالُونَ بِفَعْلِ الشَّرّ" (ع ١).

رأينا في نهاية الفصل السابق المفتاح الجميل للخروج من دوامة النفس وغرقها فيما هو تحت الشمس, وذلك في إقرار ذلك الحكيم العظيم أنه أصبح في مستوى الجهال بسبب جريه وراء نفسه وما تريده تحت الشمس, وما أروع وصفه لنفسه: ملك شيخ جاهل. هنا يبدأ النور يسطع والظلمات والغيوم تنقشع وها هو يتجه إلى فوق إلى الله الذي هو فوق كل شيء. وهي لمحة حلوة تعبّر عن التوبة وهي الإقرار بالوضع المحزن الذي أوجدت نفسي فيه بسبب انحرافي عن الرب ثم أُبغض هذا الوضع وأُبغض نفسي التي هي السبب الأول والأخير وأتجه بكل قلبي إلى فوق "أخطأت إلى السماء وقدامك" (لو ١٥: ١٨).

وسليمان هنا يرسم الطريقة العملية للتقابل مع الله الذي هو فوق الشمس, كيف وأين أتقابل معه وأنا هنا على الأرض؟

كان في العهد القديم مكان واحد فقط ينبغي أن أذهب إليه لكي أقدم ذبيحة عن خطيتي وأقربها أمام الله وذلك عند مذبح النحاس عند باب الهيكل. لكن بظهور الله في الجسد وإكمال الفداء وصعوده إلى السماء وإرسال الروح القدس تغير الموقف تماماً من جهة تقابل النفس فردياً شخصياً مع الرب " أدخل إلى مخدعك وأغلق بابك" (مت ٦: ٦) ومن جهة الاجتماع إلى اسم الرب "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك. أكون في وسطهم" (مت ١٨: ٢٠).

وما ينّبر عليه سليمان هنا هو الاستماع أولاً إلى صوت الرب أي كلمته لئلا أقدم ذبيحة الجهال. ولا نستطيع أن نحصي الشواهد التي تنبّر على خطورة هذا الأمر. على سبيل المثال "هَلْ مَسَرَّةُ الرَّبِّ بِالْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ كَمَا بِاسْتِمَاعِ صَوْتِ الرَّبِّ؟ هُوَذَا الإِسْتِمَاعُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ وَالإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ الْكِبَاشِ. لأَنَّ التَّمَرُّدَ كَخَطِيَّةِ الْعِرَافَةِ, وَالْعِنَادُ كَالْوَثَنِ وَالتَّرَافِيمِ" (١صم ١٥: ٢٢) وأيضاً "مَنْ يُحَوِّلُ أُذْنَهُ عَنْ سَمَاعِ الشَّرِيعَةِ فَصَلاَتُهُ أَيْضاً مَكْرَهَةٌ" (أم ٢٨: ٩).

" -فالاستماع أقرب" قُرئت في أدق المخطوطات "اقترب لتسمع لئلا تقدم ذبيحة الجهال". ما أجمل النتائج التي يرددها الكتاب للاقتراب القلبي الصادق للرب:

أولاً- كما رأينا هنا الانتشال من فريق الجهال عن طريق سماع صوت الرب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثانياً- النجاة من الهلاك الأبدي والزمني "هوذا البعداء عنك يبيدون تهلك كل من يزني عنك أما أنا فالاقتراب على الله حسن لي" (مز ٧٣: ٢٧, ٢٨)

ثالثاً- نقاوة الحياة وطهارة القلب والفكر من العرج بين الفريقين "اقْتَرِبُوا إِلَى اللَّهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ. نَقُّوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخُطَاةُ، وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّأْيَيْنِ" (يع ٤: ٨).

لكن لا ننسى الأساس والقاعدة الوحيدة التي يمكن لله أن يقبلنا عليها وهي دم الحمل- الدم المطهر من كل خطية "إذ الناموس لم يكمل شيئاً. ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله" (عب ٧: ١٩). كم من ملايين يتجاهلون ذبيحة ربنا يسوع المسيح ويقتربون الله في مدرسة قايين- مدرسة الأعمال, لكن "ويل لهم لأنهم سلكوا طريق قايين" (يه ١١)

"لاَ تَسْتَعْجِلْ فَمَكَ وَلاَ يُسْرِعْ قَلْبُكَ إِلَى نُطْقِ كَلاَمٍ قُدَّامَ اللَّهِ لأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاوَاتِ وَأَنْتَ عَلَى الأَرْضِ فَلِذَلِكَ لِتَكُنْ كَلِمَاتُكَ قَلِيلَةً" (ع ٢)

التحريض الجوهري هنا هو الهدوء والتأني في محضر الرب وبكل وقار يليق به, نراجع الإحسانات التي غمرنا بها, فيفيض القلب أولاً بالشكر له ثم بكل إخلاص واتضاع أمامه نراجع أنفسنا أمامه لكي نحكم على كل أمر لا يمجده في سلوكنا. ثم في بساطة الأطفال نسكب قلوبنا من جهة ما نحتاجه وما يزعجنا به العدو "وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا مِنَ الْحَقِّ وَنُسَكِّنُ قُلُوبَنَا قُدَّامَهُ" (١ يو ٣: ٢٠). لأن الله في السماوات من فوق"- تعبير يفيد جلال وعظمة إلهنا كالخالق العظيم القادر على كل شيء "ساكنا في نور لا يدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه" (١ تي ٦: ١٦) وليس من الحق أو بحسب المكتوب أن الفرح في محضر الرب يجعلنا ننسى الوقار الحتمي الملازم لهذه الحضرة, وليس من الحق أن تجسده له المجد يجعلنا ننسى جلال ووقار عظمته فنخاطبه باسمه مجرداً "يا يسوع". وكل قديسيه في كل العصور هذه هي لغتهم "أيها الرب يسوع" (أع ٧: ٥٩) أو "يا ربنا يسوع المسيح" (أف ٥: ٢٠و كو ٣: ١٧). وإن كان هذا الإعلان يفيد ضرورة الخشوع والورع امام جلال وعظمة إلهنا, لكن في ذات الوقت فهم القديسون في كل العصور أنه قريب جداً منهم, لذلك كانت حياتهم حياة التصاق قلبي به كما هتف داود في مز ١٤٥: ١٨ "الرَّبُّ قَرِيبٌ لِكُلِّ الَّذِينَ يَدْعُونَهُ الَّذِينَ يَدْعُونَهُ بِالْحَقِّ. يَعْمَلُ رِضَى خَائِفِيهِ وَيَسْمَعُ تَضَرُّعَهُمْ فَيُخَلِّصُهُمْ.

"لتكن كلماتك قليلة"- المقصود هنا عدم تكرار الكلام باطلاً كما عبّر له المجد عن ذلك في مت ٦: ٧ لأَنَّهُمْ (الأمم الوثنية) يَظُنُّونَ أَنَّهُ بِكَثْرَةِ كَلاَمِهِمْ يُسْتَجَابُ لَهُمْ". فما هو إذاً معنى اللجاجة؟ هي الصراخ من أعماق القلب في إلحاح الإيمان والكلمات خارجة وصاعدة للرب كقرعات شديدة على باب محبة الرب ونعمته في ثقة كاملة أن قلبه المحب يريد أن يعطي. ما أروع تقرير الكتاب عن رئيس الإيمان نفسه وهو "يصلي بأشد لجاجة" في جثسيماني,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وما أجمل تقرير الكتاب "وسُمع له من أجل تقواه" راجع لو ٢٢: ٤٤, عب ٥: ٧ ثم ما جاء عن حنة أم صموئيل "إذ أكثرت الصلات أمام الرب وعالي يلاحظ فاها" (١ صم ١: ١٢).

ليتنا نتعلم درس اللجاجة "أَقُولُ لَكُمْ: وَإِنْ كَانَ لاَ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ لِكَوْنِهِ صَدِيقَهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ لَجَاجَتِهِ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ" (لو ١١: ٨)

"لأَنَّ الْحُلْمَ يَأْتِي مِنْ كَثْرَةِ الشُّغْلِ وَقَوْلَ الْجَهْلِ مِنْ كَثْرَةِ الْكَلاَمِ" (ع ٣)

الحلم يكشف عن حقيقة الحالم أنه كان مرهقاً في ساعات اليقظة, إذ أن ارتباكات الحياة في ساعات النهار تتحول أثناء النوم إلى خيالات وأوهام بلا تفكير أو ترتيب, هكذا أيضاً كثرة الكلام بلا فهم ولا وعي لا بد أن تقود الإنسان إلى كلمات جهل كثيرة. ليتنا نتعلم التأني والتفكير في كل كلمة قبل أن ننطق بها أمام إلهنا وأمام الناس.

"إِذَا نَذَرْتَ نَذْراً لِلَّهِ فَلاَ تَتَأَخَّرْ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ لأَنَّهُ لاَ يُسَرُّ بِالْجُهَّالِ فَأَوْفِ بِمَا نَذَرْتَهُ. أَنْ لاَ تَنْذُرَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْذُرَ وَلاَ تَفِيَ" (ع ٤, ٥).

النذر في تدبير الناموس وهو يتعارض مع روح التدبير المسيحي الذي تملك فيه النعمة.

أولاً: تحت الناموس كان الإنسان مسئولاً أن يعمل جميع ما هو مكتوب في الناموس لئلا يقع تحت لعنة, لكن النعمة كشفت عجز الإنسان المطلق, وهكذا تملك النعمة على القلب بالبر في ربنا يسوع المسيح حينئذ يتم القول "الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة" (في ٢: ١٣), "لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً.. كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته" (يو ١٥: ٤, ٦).

ثانياً: تحت الناموس كان الإنسان مسئولاً أن يقدم ما يُرضي الله من ذبائح وتقدمات لكن النعمة كشفت ما هو القربان الوحيد المقبول أمام الله والمُشبع لقلبه والذي به فقط ينبغي أن نتقدم إلى الله الذي هو ربنا يسوع المسيح في ذبيحته على الصليب. وكل عمل يمجد الله يقودنا فيه الروح القدس, نعمله ونقدمه لله في استحقاقات ربنا يسوع المسيح.

أما النذر الذي كان على أكليلا فقد أُبطل في كنخريا (أع ١٨: ١٨) وهنا نرى كم ينبغي أن يستجيب المولود من الله لإعلان النور الإلهي. فهذا اليهودي المتمسك بالناموس, أُعطيت له الفرصة أن يرافق الرسول بولس, لذلك استنار وأنهى النذر في كنخريا.

"لاَ تَدَعْ فَمَكَ يَجْعَلُ جَسَدَكَ يُخْطِئُ وَلاَ تَقُلْ قُدَّامَ الْمَلاَكِ إِنَّهُ سَهْوٌ لِمَاذَا يَغْضَبُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِكَ وَيُفْسِدُ عَمَلَ يَدَيْكَ لأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَثْرَةِ الأَحْلاَمِ وَالأَبَاطِيلِ وَكَثْرَةِ الْكَلاَمِ. وَلَكِنِ اخش اللَّهَ" (ع ٦, ٧).

 All rights reserved © 2008-2018

المقصود بالخطأ هنا هو تسرع الفم بالنذر والرجوع فيه والقول أنه سهو. وقد توضح موقف المؤمن من النذر في تدبير النعمة الآن لكن ذات المبدأ وهو الحرص على أعضائنا لكي نتحرك في أي اتجاه يجعل كياني كله في وضع المخطئ في حق الله. وأهم عضو هو اللسان, وما أكثر تحذيرات الكتاب عن أهمية ضبط اللسان حتى لا تخرج كلمة واحدة غير مضبوطة (أف ٤: ٣٠). ومن يتدرب على ضبط لسانه فذاك رجل كامل قادر أن يُلجم (يضبط) كل الجسد أيضاً (يع ٣: ٢).

لكن في كلام الرب في مت ٥, ١٨ توضيحاً كاملاً أنه إذا لم نسهر على كل أعضائنا فقد يستخدمها العدو ضد مشيئة الرب وهكذا تأتي العثرات, فيقول له المجد "فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ" (مت ٥: ٢٩, ١٨: ٦) والمقصود هنا بقطع اليد أو قلع العين هو إماتة الشهوة الفاسدة في القلب ونافذتها هي العين, وإماتة التصرفات غير الأمينة للرب ومفتاحها هو اليد- وهذه الإماتة لا تأتي إلا بقوة الروح القدس (رو ٨: ١٣).

"لماذا يغضب الله على قولك ويفسد عمل يديك"

ما أبعد الفارق بين نظرة المؤمن إلى معاملات الله في العهدين القديم والجديد, عموماً كانت النظرة الخاطئة إلى التأديب كغضب من الله القدوس, لكن الآن أُعلن عن الآب المحب العطوف الذي إذ يؤدب فهو برهان محبته لكي نشترك في قداسته (عب ١٢: ١٠) فيعطي الذين يتدربون بالتأديب ثمر بر للسلام كما قال أليهو لأيوب "يَتَرَأَّفُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ أَطْلِقْهُ عَنِ الْهُبُوطِ إِلَى الْحُفْرَةِ قَدْ وَجَدْتُ فِدْيَةً.. يُصَلِّي إِلَى اللهِ فَيَرْضَى عَنْهُ وَيُعَايِنُ وَجْهَهُ بِهُتَافٍ" (أي ٣٣: ٢٤, ٢٦).

ويفسد عمل يديه: هذا ما عمله الرب مع يهوشافاط ملك يهوذا الذي كان يعمل المستقيم في عيني الرب لمنه اتحد مع أخزيا ملك اسرائيل الشرير فأرسل الله إليه نبياً يقول له "لأَنَّكَ اتَّحَدْتَ مَعَ أَخَزْيَا قَدِ اقْتَحَمَ الرَّبُّ أَعْمَالَكَ فَتَكَسَّرَتِ السُّفُنُ وَلَمْ تَسْتَطِعِ السَّيْرَ إِلَى تَرْشِيشَ" (٢ أخ ٢٠: ٣٧).

ليتنا نتأكد من كل عمل أنه فعلاً بحسب فكر الرب ولمجده وإلا ما أكثر المجهود الضائع والوقت المفقود. ما أجمل تقرير المرنم في المزمور "طُوبَى لِكُلِّ مَنْ يَتَّقِي الرَّبَّ وَيَسْلُكُ فِي طُرُقِهِ لأَنَّكَ تَأْكُلُ تَعَبَ يَدَيْكَ. طُوبَاكَ وَخَيْرٌ لك" (مز ١٢٨: ١, ٢)

"إِنْ رَأَيْتَ ظُلْمَ الْفَقِيرِ وَنَزْعَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِي الْبِلاَدِ فَلاَ تَرْتَعْ مِنَ الأَمْرِ لأَنَّ فَوْقَ الْعَالِي عَالِياً يُلاَحِظُ وَالأَعْلَى فَوْقَهُمَا" (ع ٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الظلم هو مدرسة العدو الذي غرس طبيعته الساقطة في أبوينا الأولين في لحظة السقوط, ومنذ بدء التاريخ نرى ظلم قايين لشقيقه هابيل البار, وظلم إخوة يوسف له وظلم آخاب لنابوت اليزرعيلي (تك ٤, ٣٧, ١ مل ٢١) لذلك فإن رفض الظلم عنصر أساسي في التوبة أي بغضة مطلقة للظلم "إِنْ رَجَعْتَ إِلَى الْقَدِيرِ تُبْنَى. إِنْ أَبْعَدْتَ ظُلْماً مِنْ خَيْمَتِكَ" (أي ٢٢: ٢٣). والطبيعة الجديدة التي تُخلق في الإنسان في لحظة التوبة- الولادة من فوق- لا تحتمل ظل الظلم, لذلك نرى زكا إذ تقابل مع الرب يسوع وأصبح في لحظة خليقة جديدة, في الحال لا يطيق الظلم فيصرخ "إِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ" (لو ١٩: ٨).

"ونزع الحق والعدل في البلاد:"

هذا هو طابع العالم كله لأن الموازين كلها يقلبها رئيس هذا العالم ويسمم كل الينابيع, إنه يعمل الآن في أبناء المعصية, لكن شكراً لله سوف ينتهي يوم الإنسان ويأتي يوم يملك فيه الرب يسوع على كل المسكونة بالحق والعدل.

"فلا ترتع من الأمر لأن فوق العالي عالياً يلاحظ والأعلى فوقهما:"

هذه هي سياسة الله جعل رتباً ورياسات حتى في الدائرة غير المنظورة, أي الملائكة القديسين الذين يخدمون العرش (أف ٣: ١٠) والملائكة الذين سقطوا أيضاً لهم رتبهم (أف ٦: ١١).

وكل رتبة في هذا العالم مسئولة أمام الخالق العظيم, لذلك تحريض الرسول "لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ حَتَّى إِنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللهِ" (رو ١٣: ١, ٢) – هذا هو المقصود بفوق العالي عالياً يلاحظ. لكن شكراً لله لأنه هو الأعلى فوقهما أي فوق الجميع, وفي الأصل تأتي بصيغة الجمع "والعالون فوقهما"- وهنا روعة الإعلان عن الله الجمع في مفرد (يو ٣: ١١, دا ٤: ١٣, ١٧).

والعلو الفائق مرتبط بالجلالة الإلهية كما نقرأ في أي ١١: ٧, ٨ "أَإِلَى عُمْقِ اللهِ تَتَّصِلُ أَمْ إِلَى نِهَايَةِ الْقَدِيرِ تَنْتَهِي؟ هُوَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ فَمَاذَا عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ" وذات التعبير نراه في وصف الرب يسوع بعد أن تجسد وصنع الفداء وصعد "لأَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هَذَا، قُدُّوسٌ بِلاَ شَرٍّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ" (عب ٧: ٢٦).

"وَمَنْفَعَةُ الأَرْضِ لِلْكُلِّ. الْمَلِكُ مَخْدُومٌ مِنَ الْحَقْلِ" (أو يعتمد على الحقل) (ع ٩).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن كان الإنسان قد أفسد ترتيب الله في وضعه رياسات ورتب بين الناس لكي تتعاون في أعمال الحياة, وكل رتبة نافعة للأعلى منها والأقل منها. وإن كان المشهد قد تشوه لكن لا زالت ملامح القصد الإلهي ظاهرة وتوضح صلاح الله, وها هو أعلى رتبة في البلاد أي الملك يعتمد تماماً على خدمة الفلاح في الحقل. وهذه هي التعزية أن ننظر إلى صلاح الله في ترتيبه الأمور حتى وإن كان الإنسان قد أفسد المنظر تماماً بالظلم واستخدام الرتب استخداماً سيئاً. لكن نحن المفديين لنا تعزية أعظم إذ نتأمل في أبشع مشهد ظلم تم في تاريخ المسكونة في ذاك الذي "ظُلم فتذلل ولم يفتح فاه" (أش ٥٣) لكن وراء هذا الظلم, العمل العظيم الذي عليه تقوم كل حياتنا أمام البشر وتستقر عليه كل أيدينا. وهنا نرى أمرين:

الأول- الله وحده الذي يستطيع ان يُخرج من الآكل أكلاً فمن مشهد ظلم ربنا يسوع المسيح كإنسان في يد البشر أخرج لنا الفداء من يد العادل الإلهي.

الثاني- الله وحده الذي يستطيع أن يكافئ كل احتمال للظلم من أجل اسمه "لِذَلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ- كإنسان- أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ" (في ٢: ٩) وفي التعبير "الملك مخدوم من الحفل" لنا نحن المفديين تحريض جميل, إذ أن الملك الحقيقي يعتمد علينا في خدمة اسمه الكريم في فترة تغربنا وما أمجد الخدمة في هذا الحقل المبارك.

مَنْ يُحِبُّ الْفِضَّةَ لاَ يَشْبَعُ مِنَ الْفِضَّةِ وَمَنْ يُحِبُّ الثَّرْوَةَ لاَ يَشْبَعُ مِنْ دَخْلٍ. هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ" (ع ١٠).

المعنى المقصود واضح من اول السفر, لا يوجد شيء تحت الشمس يستطيع أن يشبع النفس لأنه من الله, لذلك الشبع الحقيقي لها كامن في ذاك الذي قال "أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فلاَ يَجُوعُ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فلاَ يَعْطَشُ أَبَداً" (يو ٦: ٣٥). طوبى للنفس التي تستفيق وتُنتشل من الغرق في الفضة الفانية لكي تقتنى الفضة الحقيقية الباقية التي هي الفداء.

"من يحب الثروة لا يشبع من دخل": "اجْعَلُوا قَلْبَكُمْ عَلَى طُرُقِكُمْ. زَرَعْتُمْ كَثِيراً وَدَخَّلْتُمْ قَلِيلاً. تَأْكُلُونَ وَلَيْسَ إِلَى الشَّبَعِ. تَشْرَبُونَ وَلاَ تَرْوُونَ. تَكْتَسُونَ وَلاَ تَدْفَأُونَ. وَالآخِذُ أُجْرَةً يَأْخُذُ أُجْرَةً لِكِيسٍ مَثْقُوبٍ" (حجي ١: ٥, ٦).

ليتنا نصحو ونتعلم أولاً أن "القليل الذي للصديق خيرٌ من ثروة أشرار كثيرين" (مز ٣٧: ١٦) وذلك "لأن بركة الرب هي تُغني ولا يزيد معها تعباً" (أم ١٠: ٢٢)

ثانياً- "القليل مع مخافة الرب خيرٌ من كنز عظيم مع هم" (أم ١٥: ١٦) وذلك "لأن التقوى مع القناعة تجارة عظيمة" (١ تي ٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثالثاً- "القليل مع العدل خير من دخل جزيل بغير حق" (أم ١٦: ٨) لأن سياسة الله لا بد أن تتدخل فينهار جزء كبير من هذا الدخل بغير الحق.

رابعاً- "الذين يريدون أن يكونوا أغنياء يسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة وغبية تغرّق الناس في العطب والهلاك" (١ تي ٦).

ليتنا نستفيق إلى صوت ذاك الذي قال "عندي الغنى والكرامة قنية فاخرة وحظ" (أم ٨).

"إِذَا كَثُرَتِ الْخَيْرَاتُ كَثُرَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَهَا وَأَيُّ مَنْفَعَةٍ لِصَاحِبِهَا إِلاَّ رُؤْيَتَهَا بِعَيْنَيْهِ" (ع ١١).

في ع ١٠ التقرير الذي يملأ كل الكتاب أن الفضة الكثيرة والثروة العظيمة والدخل الهائل, لا يمكن أن يشبع النفس, ويكتشف الإنسان أخيراً أن كل تعبه كان في الباطل.

لكن هنا ع ١١ يتحدث عن نتيجة وخيمة أخرى, قد ينجح الإنسان في جريه وراء الفضة وتتكون يه ثروة ضخمة, هناك ما هو أكثر مرارة, سيكتشف ازدياد عدد الآكلين لهذه الثروة التي تعب فيها وما هو إلا متفرج عليها. والمقصود بالآكلين لهذه الثروة- المنافذ التي يفاجأ بها الإنسان فتفسدها.

وهنا يأتي السؤال: هل من حماية لكل مقتنى الإنسان؟ الإجابة الصحيحة هي أن يدخل الإنسان بجملته تحت جناحي القدير "مَا أَكْرَمَ رَحْمَتَكَ يَا اللهُ فَبَنُو الْبَشَرِ فِي ظِلِّ جَنَاحَيْكَ يَحْتَمُونَ" (مز ٣٦: ٨), "اَلسَّاكِنُ فِي سِتْرِ الْعَلِيِّ فِي ظِلِّ الْقَدِيرِ يَبِيتُ" (مز ٩١: ١) حينئذ تستقيم حياة الإنسان ويحترم أقداس الرب وهكذا يتم القول "هَاتُوا جَمِيعَ الْعُشُورِ إِلَى الْخَزْنَةِ لِيَكُونَ فِي بَيْتِي طَعَامٌ وَجَرِّبُونِي بِهَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِنْ كُنْتُ لاَ أَفْتَحُ لَكُمْ كُوى السَّمَاوَاتِ وَأُفِيضُ عَلَيْكُمْ بَرَكَةً حَتَّى لاَ تُوسَعَ. وَأَنْتَهِرُ مِنْ أَجْلِكُمْ الآكِلَ فَلاَ يُفْسِدُ لَكُمْ ثَمَرَ الأَرْضِ" (ملا ٣: ١٠)

"نَوْمُ الْمُشْتَغِلِ حُلْوٌ إِنْ أَكَلَ قَلِيلاً أَوْ كَثِيراً وَوَفْرُ الْغَنِيِّ لاَ يُرِيحُهُ حَتَّى يَنَامَ" (ع ١٢).

المجهود البدني من أعظم العوامل على جلب النوم الحلو المريح, والعجيب أن الأطعمة الكثيرة الثروة العظيمة كلها تفشل فيما يحققه نوم المشتغل. إن كان هذا ثمر التّعب في العمل الزمني, فكم هو أعظم ما نحصل عليه إن كنا نتعب أكثر لأجل اسم ربنا يسوع المسيح ولمجد الله. تأمَّله له المجد إذ لم يكن له فرصة لأكل خبز من كثرة الجماهير والخدمة الباذلة لأجل النفوس التي بلا عدد التي كانت ترتمي عليه بكل أسقامها لذلك عندما دخل السفينة كانت هناك وسادة فأعطاه الآب نوماً هادئاً جميلاً ليتنا نتعلمه ونختبر مكافآت الآب لنا طول الطريق "وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضاً يَكُونُ خَادِمِي. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي يُكْرِمُهُ الآب" (يو ١٢: ٢٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"يُوجَدُ شَرٌّ خَبِيثٌ رَأَيْتُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ ثَرْوَةٌ مَصُونَةٌ لِصَاحِبِهَا لِضَرَرِهِ فَهَلَكَتْ تِلْكَ الثَّرْوَةُ بِأَمْرٍ سَيِّئٍ ثُمَّ وَلَدَ ابْناً وَمَا بِيَدِهِ شَيْءٌ كَمَا خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ عُرْيَاناً يَرْجِعُ ذَاهِباً كَمَا جَاءَ وَلاَ يَأْخُذُ شَيْئاً مِنْ تَعَبِهِ فَيَذْهَبُ بِهِ فِي يَدِهِ. وَهَذَا أَيْضاً مَصِيبَةٌ رَدِيئَةٌ. فِي كُلِّ شَيْءٍ كَمَا جَاءَ هَكَذَا يَذْهَبُ فَأَيَّةُ مَنْفَعَةٍ لَهُ لِلَّذِي تَعِبَ لِلرِّيحِ أَيْضاً يَأْكُلُ كُلَّ أَيَّامِهِ فِي الظَّلاَمِ وَيَغْتَمُّ كَثِيراً مَعَ حُزْنٍ وَغَيْظٍ" (ع ١٣- ١٧).

ع ١٣ في الأصل في صيغة الجمع "ثروات مصونة لأصحابها لضررهم"- ثروة ضارة! عجباً! هذا هو تقرير الحكيم:

أولاً: المال إذا كثر بين يدي الإنسان يصبح موضوع الاتكال, لذلك يقول الرب "دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من دخول غني إلى ملكوت الله" (مت ١٩: ٢٢) فكم هو ضرر رهيب للنفس البشرية الخالدة أن تنتهي بها الحياة بدون عطية الإيمان. ما أروع كلمة السيد له المجد "لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ" (مت ١٦: ٢٦).

ثانياً: في كثرة تحول القلب إليها كسيد مخدوم ومعبود "لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ" (مت ٦: ٢٤).

ثالثاً: أما الضرر الثالث فهو أن طريق المال محفوف بالفخاخ "وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِبَةٍ وَفَخٍّ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَبِيَّةٍ وَمُضِرَّةٍ تُغَرِّقُ النَّاسَ فِي الْعَطَبِ وَالْهَلاَكِ، أَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ" (١ تي ٦: ٩) وهناك الأمثلة الرهيبة: بلعام- من قمة روئ القدير إلى مُفسد لشعب الله توقع عليه القضاء. عخان بن كرمي من وارث مع شعب الله إلى مرجوم بالحجارة مع كل بيته. جيحزى.. يهوذا.. طابع الناس في الأيام الأخيرة (٢ تي ٣: ٢).

ع ١٤ في الأصل "...وإذا كان له ابن ليس له شيء بيده" عجباً! بغتة تهلك تلك الثروة التي أنفق فيها صاحبها كل عمره, حتى إذا كان له ابن أو بنين يتركهم بلا شيء في يدهم. ربما كان الجهد كله لكي يوفر لهم ثروة فإذا بهذا الجهد ضاع مع الريح ولكن ما هو مؤلم أنه لم يترك لأولاده الطريق السليم- طريق الإيمان والاتكال على الرب. ما أروع إعلان الكتاب "فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ ثِقَةٌ شَدِيدَةٌ وَيَكُونُ لِبَنِيهِ مَلْجَأٌ" (أم ١٤: ٢٦)- راجع مز ٣٧: ٢٥, ٢ من ٤ بخصوص عناية الرب بأولاد المؤمنين.

ع ١٥, ١٦ الدرس الرهيب وهو دخول الإنسان إلى العالم عرياناً وخروجه عرياناً. في الدقيقة الواحدة ٥٠٠ وفي الساعة ٣٠٠٠٠ وفي اليوم الواحد ٧٢٠٠٠٠ يرحلون إلى الأبدية ويرن الصوت المحب في أعماق القلب "ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه" (مت ١٦: ٢٦). لكن إذا تقابل الإنسان مع الفادي المخلص وارتمى عند قدميه ففي الحال تُغفر كل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خطاياه ويلبس الحُلة الأولى التي هي الرب يسوع "وإن كنا لابسين- المسيح- لا نوجد عراة" (٢ كو ٥: ٣).

ع ١٧ بعدما هلكت الثروة التي كانت متكله ومعبوده يقضي الإنسان باقي أيام حياته في حزن وغيظ لدرجة أن طعامه يأكله في ظلام الحزن على الثروة الضائعة حتى تنتهي حياته. بينما المؤمنون "يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب" (أع ٢: ٤٦) لأنهم يقدمون الشكر للآب المحب المنعم الجواد قبل تناولهم الطعام. وما أروع المثال الذي تركه لنا الرب, يتسلم الخبز فيشكر الآب ثم يكسر ويوزع بالبركة, فإن الطعام "يقدس بكلمة الله والصلاة" (١ تي ٤).

"هُوَذَا الَّذِي رَأَيْتُهُ أَنَا خَيْراً الَّذِي هُوَ حَسَنٌ أَنْ يَأْكُلَ الإِنْسَانُ وَيَشْرَبَ وَيَرَى خَيْراً مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ الَّذِي يَتْعَبُ فِيهِ تَحْتَ الشَّمْسِ مُدَّةَ أَيَّامِ حَيَاتِهِ الَّتِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا لأَنَّهُ نَصِيبُهُ. أَيْضاً كُلُّ إِنْسَانٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ غِنًى وَمَالاً وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ وَيَأْخُذَ نَصِيبَهُ وَيَفْرَحَ بِتَعَبِهِ فَهَذَا هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ. لأَنَّهُ لاَ يَذْكُرُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ كَثِيراً لأَنَّ اللَّهَ مُلْهِيهِ بِفَرَحِ قَلْبِهِ" (ع ١٨- ٢٠).

سليمان يقرر اختباراته من جهة المال والطعام الذي بين يدي الإنسان: أولاً هو عطية من الله وهذا حق جميل ينبغي أن يتقرر في القلب عن صلاح الله "وَهُوَ يَفْعَلُ خَيْراً يُعْطِينَا مِنَ السَّمَاءِ أَمْطَاراً وَأَزْمِنَةً مُثْمِرَةً وَيَمْلأُ قُلُوبَنَا طَعَاماً وَسُرُوراً" (أع ١٤: ١٧).

ثانياً- إذا تأمل الإنسان بتعقل وإخلاص أن كل ما بين يديه هو فعلاً عطية من الله له مجاناً فالنتيجة الحتمية أنه لن يذكر كثيراً أيام حياته أو تعبه الذي تعبه, وسيحسب الحساب الحقيقي أن التعب أمر حقيقي للإنسان هنا على الأرض "بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك" (تك ٣: ١٧). إذا وصل الإنسان إلى هذه النتيجة في ع ٢٠ God answers الله يجيبه بفرح في قلبه. وكم هو أعلى وأثبت, الفرح الناتج من امتلاك الخبز الحقيقي "الخبز النازل من السماء الواهب الحياة الأبدية للإنسان" (يو ٦: ٥١).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأصحاح السادس

"يُوجَدُ شَرٌّ قَدْ رَأَيْتُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ وَهُوَ كَثِيرٌ بَيْنَ النَّاسِ رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ غِنًى وَمَالاً وَكَرَامَةً وَلَيْسَ لِنَفْسِهِ عَوَزٌ مِنْ كُلِّ مَا يَشْتَهِيهِ وَلَمْ يُعْطِهِ اللَّهُ اسْتِطَاعَةً عَلَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ بَلْ يَأْكُلُهُ إِنْسَانٌ غَرِيبٌ هَذَا بَاطِلٌ وَمُصِيبَةٌ رَدِيئَةٌ" (ع ١, ٢)

المعنى الحرفي قائم وكما يقول الحكيم أنه كثير بين الناس وخاصة في هذه الأيام, فهناك من يكنزون الثروات الضخمة ويعيشون كفقراء يحرمون أنفسهم من التمتع بهذا الخير.

سبب آخر هو الإفراط في الأكل ينتج عنه أمراض في الجسم تحرم الإنسان من التمتع بهذه الخيرات, فهو يرى كل الخير بعينيه وملكه ولكنه لا يستطيع أن يتذوقه أو يتمتع به.

المعنى النبوي: نراه داخل دائرة المسيحية وقد تم في اليهودية قبلها- الشعب الذي يُدعى عليه اسم الرب والمفروض أن يحمل لواء الشهادة للرب, أودعه الله كل الغنى كما يقرر الرسول "إِذاً مَا هُوَ فَضْلُ الْيَهُودِيِّ أَوْ مَا هُوَ نَفْعُ الْخِتَانِ؟ كَثِيرٌ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ! أَمَّا أَوَّلاً فَلأَنَّهُمُ اسْتُؤْمِنُوا عَلَى أَقْوَالِ اللهِ" (رو ٣: ١, ٢), وهو ذات تقرير موسى في تث ٤: ٦ "لأَنَّ ذَلِكَ- أي كلمة الله- حِكْمَتُكُمْ وَفِطْنَتُكُمْ أَمَامَ أَعْيُنِ الشُّعُوبِ الذِينَ يَسْمَعُونَ كُل هَذِهِ الفَرَائِضِ فَيَقُولُونَ: هَذَا الشَّعْبُ العَظِيمُ إِنَّمَا هُوَ شَعْبٌ حَكِيمٌ وَفَطِنٌ. لأَنَّهُ أَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لهُ آلِهَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْهُ كَالرَّبِّ إِلهِنَا فِي كُلِّ أَدْعِيَتِنَا إِلَيْهِ؟ وَأَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لهُ فَرَائِضُ وَأَحْكَامٌ عَادِلَةٌ مِثْلُ كُلِّ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ التِي أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ اليَوْمَ."

لكن بكل أسف غالبية الأمة في كل أجيالها لم تقدّر هذا الغنى العجيب وهذه الجواهر المجيدة, فاحتقروا مكلمة الله وتم فيهم القول "هلك شعبي من عدم المعرفة" (هو ٣: ٦). لكن ما أروع النبوة, كان هناك في كل الأجيال أناس من خارج الأمة انكسرت قلوبهم أمام هذه الكلمة وهكذا قبلهم الله في نعمته وتمتعوا بهذا الغنى الحقيقي. وهو ذات تقرير أشعياء عن "أبناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه ويحبوا اسم الرب" (أش ٥٦: ٦) وقد تم هذا القول في العهد القديم في نعمان السرياني (٢ مل ٥), وأرملة صرفة صيداء (١ مل ١٧). كما قرر الرب أمام اليهود في مجمع الناصرة (لو ٤). لكنه سيتم مستقبلاً في أسبوع الضيقة في الشعوب الوثنية التي ستؤمن بالرب يسوع المسيح وترتبط به مع البقية التائبة من الأمة اليهودية.

وهذا بالضبط ما يحدث في داخل دائرة المسيحية حتى من الرياسات الدينية التي تحتقر كلمة الله, في الوقت الذي فيه يأتي الغريب من خارج دائرة المسيحية ويرتبطون بالرب ويحتملون الأهوال من أجل اسم المسيح الغالي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بقيت كلمة "ولم يعطه الله استطاعة أن يأكل منه"- لماذا لم يعطي الله الكثيرين من شعبه القديم وفي المسيحية الاسمية الآن, استطاعة على أن يأكلوا من ثروته الغنية في كلمته؟ السبب واحد هو عدم الانكسار أمام الرب والاتكال على طريق الأعمال الذي هو طريق قايين المرفوض والملعون.

ما أروع قائد المئة الأممي في اتضاعه أمام الرب "يا سَيِّدُ لَسْتُ مُسْتَحِقّاً أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي لَكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَقَطْ فَيَبْرَأَ غُلاَمِي" (مت ٨: ٨), وما أروع تلك المرأة الكنعانية الغريبة "نَعَمْ يَا سَيِّدُ. وَالْكِلاَبُ أَيْضاً تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا" وما أمجد الإجابة من فم الرب نفسه "يا امرأة عظيم إيمانك" (مت ١٥: ٢٧,٢٨).

"إِنْ وَلَدَ إِنْسَانٌ مِئَةً وَعَاشَ سِنِينَ كَثِيرَةً حَتَّى تَصِيرَ أَيَّامُ سِنِيهِ كَثِيرَةً وَلَمْ تَشْبَعْ نَفْسُهُ مِنَ الْخَيْرِ وَلَيْسَ لَهُ أَيْضاً دَفْنٌ فَأَقُولُ «إِنَّ السِّقْطَ خَيْرٌ مِنْهُ». لأَنَّهُ فِي الْبَاطِلِ يَجِيءُ وَفِي الظَّلاَمِ يَذْهَبُ وَاسْمُهُ يُغَطَّى بِالظَّلاَمِ. وَأَيْضاً لَمْ يَرَ الشَّمْسَ وَلَمْ يَعْلَمْ. فَهَذَا لَهُ رَاحَةٌ أَكْثَرُ مِنْ ذَاكَ وَإِنْ عَاشَ أَلْفَ سَنَةٍ مُضَاعَفَةً وَلَمْ يَرَ خَيْراً أَلَيْسَ إِلَى مَوْضِعٍ وَاحِدٍ يَذْهَبُ الْجَمِيعُ" (ع ٣- ٦).

يفترض الحكيم كل ينابيع القوة البشرية تحت الشمس.

أولاً- عدداً خيالياً من البنين وهؤلاء كما قرر هو في مزموره ١٢٧: ٤ "كَسِهَامٍ بِيَدِ جَبَّارٍ هَكَذَا أَبْنَاءُ الشَّبِيبَةِ. طُوبَى لِلَّذِي مَلأَ جُعْبَتَهُ مِنْهُمْ. لاَ يَخْزُونَ بَلْ يُكَلِّمُونَ الأَعْدَاءَ فِي الْبَابِ."

ثانياً- صحة وقوة جسدية تنتصر على الأمراض وهكذا يعيش سنين كثيرة حتى أنه ينسى أنه له يوم يُدفن فيه. مع توفر كل ذلك ولم تشبع نفسه من الخير فالسقط خير منه.

ما هو المقصود بالقول "لم تشبع نفسه من الخير فالسقط خير منه"؟ المقصود أن كل ينابيع الخير الزمني مهما تهاطلت فهناك الصرخة: هل من مزيد لأن العين لا تشبع من النظر ومن يحب الثروة لا يشبع من دخل. فأين إذاً الشبع الحقيقي والارتواء الحقيقي؟

"كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضاً. وَلَكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (يو ٤: ١٣). إذاً الخلاصة أن السقط الذي لم يرَ الشمس.. وليس له اسم هو خير من ذلك الجبار! عجباً, لأن السقط لم يُعطَ روحاً ونفساً خالدة فانتهى كيانه تماماً أما الذي اختبر كل مراحم القدير في حياته ولم يتعرف به كالفادي والمخلص ما أتعس أبديته بلا رجاء.

ع ٦ له الوجه النبوي العجيب "وإن عاش إنسان ألف سنة مضاعفة"- أصل الأمة اليهودية هو إبراهيم وقد بقيت هذه الأمة في ارتباط اسمي بالرب ٢٠٠٠ عام أي ألف سنة مضاعفة لأن من إبراهيم إلى تجسد الرب ٢٠٠٠ عام. والملحوظة المذهلة التي يختم بها هذا العدد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"أليس إلى موضع واحد يذهب الجميع" عجباً! مَنْ هم الذين سينضمون إلى الأمة اليهودية ليشتركوا معها في مصيرها التعس الأبدي؟ إنها المسيحية الأسمية. وهذا ما نراه واضحاً في نبوة زكريا ص ٥ حيث نجد امرأتين جالستين في وسط الأيفة أي غارقتين في المكاسب الزمنية والتجارة, وأخيراً رفعتا الأيفة وطارتا إلى أرض شنعار مقر الوثنية لأن المسيحيين بالاسم واليهود الرافضين التوبة جميعاً سيغرقون في عبادة الوحش ويسجدون لسمته.

" كُلُّ تَعَبِ الإِنْسَانِ لِفَمِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَالنَّفْسُ لاَ تَمْتَلِئُ. لأَنَّهُ مَاذَا يَبْقَى لِلْحَكِيمِ أَكْثَرَ مِنَ الْجَاهِلِ. مَاذَا لِلْفَقِيرِ الْعَارِفِ السُّلُوكَ أَمَامَ الأَحْيَاءِ" (ع ٧, ٨).

بسقوط الإنسان أصبحت الرغبات الجسدية هي المحرك لكل تعبه، وشهوة الأكل هي واحدة منها. لكن التقرير الذي يملأ الكتاب كله، أن نفس الإنسان لا شبع لها.

لقد وصف الرسول غير التائبين في (في ٣) أن "إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم" والمعلمين الكذبة في رو ١٦: ١٧ "لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم". لذلك تحذير الرب لأحبائه "لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ" (مت ٦: ٢٥). ماذا يبقى للحكيم أكثر من الجاهل ماذا للفقير (المصاب بصدمات) العارف السلوك أمام الأحياء (الذي يستخدم حكمته البشرية وكأنه صامد أمام الصدمات ويعرف كيف يشق طريقه أمام الناس الأحياء غير المصابين نظيره.

الكتاب المقدس لا ينكر أن هناك في العالم حكماء لهم حكمتهم البشرية التي لها وزنها في نظر البشر بل وحتى أمام ملوك العالم ولكن أمام أمور الله ظهرت غباوتهم "حكماء مشيري فرعون مشورتهم بهيمية" (أش ١٩: ١٢) وهنا سليمان يقرر أنه أمام هذا الأمر المحزن "كل تعب الإنسان لفمه" ليس هناك فضل للحكيم على الجاهل إطلاقاً وحتى الظاهر أمام الناس أنه صامد أمام التجارب وكأنه عارف السلوك أي مملوء حكمة, لكنه أيضاً غارق في هذا الأمر المحزن- كل تعب الإنسان لفمه.

"رُؤْيَةُ الْعُيُونِ خَيْرٌ مِنْ شَهْوَةِ النَّفْسِ هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ" (ع ٩).

رؤية العيون أي استمرار الإنسان هنا في الحياة أفضل من رحيل النفس (حسب أدق المخطوطات)- أي أن مغادرة هذه الحياة هو خسارة مرعبة جداً لا تدانيها أية خسارة, والموت يسمى ملك الأهوال (أي ١٨) لأن الإنسان يفقد كل ما يمتع به نفسه هنا ويذهب إلى الحرمان والعذاب الرهيب كما صرخ ذلك الغني "لأني معذب في هذا اللهيب". وكما قرر الرب في ٧ مناسبات "هناك يكون البكاء وصرير الأسنان"- ما أبعد الفرق بين الإنسان كابن آدم تحت الشمس وبين الغسول بدم الحمل الذي حصل على الولادة من فوق, فرحيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نفسه من هذا العالم خسارة لمن حوله لكن بالنسبة له فهو ربح عظيم "لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ.

لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. ذَاكَ أَفْضَلُ جِدّاً" (في ١: ٢١, ٢٣)

"الذِي كَانَ فَقَدْ دُعِيَ بِاسْمٍ مُنْذُ زَمَانٍ وَهُوَ مَعْرُوفٌ أَنَّهُ إِنْسَانٌ (آدم) وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَاصِمَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ" (ع ١٠).

أمام القصة المحزنة التي تدمي القلب وهي رحيل نفس من هذا العالم بلا رجاء يعود الحكيم إلى الأصل لتلك القصة المؤسفة وهو آدم وكيف سقط في الخصام مع خالقه وكانت النتيجة حكم الموت (رو ٥: ١٢) ومن تلك اللحظة بدأت معاملات النعمة من جديد لرد آدم وكل نسله, كل من يقبل المصالحة مع الأقوى منه الذي هو الخالق المبارك- "الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم" (٢ كو ٥: ١٩).

"لأَنَّهُ تُوجَدُ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ تَزِيدُ الْبَاطِلَ. فَأَيُّ فَضْلٍ لِلإِنْسَانِ" (ع ١١).

إذ تأمل الحكيم في الموقف المحزن أن آدم ومن ورائه كل نسله سقطوا في الوضع المحزن وهو مخاصمة من هو أقوى منه أي القدير, وإذ تنتهي الحياة على هذا الوضع ما أرهب الكارثة أبدياً. فهل اتضع الإنسان أمام الله وارتمى عليه في انسحاق قلبي صادق؟ بكل أسف زاد الباطل بسبب اختراع القلب البشري لأمور كثيرة يقصد بها أن يرضي الله وكلها تدور حول مدرسة قايين- مدرسة الأعمال.

الله يقدم (الروشتة) الإلهية الوحيدة المجيدة لشفاء الإنسان في الحال وإلى الأبد, وهي دم حمل الله المطهر من كل خطية والذي فيه لنا الفداء وغفران خطايانا على الأبد فإذا بالمعلمين الكذبة يرفضونها ويقدمون أموراً كثيرة تزيد الباطل "فَكَمْ عِقَاباً أَشَرَّ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقّاً مَنْ دَاسَ ابْنَ اللهِ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِساً، وَازْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ" (عب ١٠: ٢٨)

"لأَنَّهُ مَنْ يَعْرِفُ مَا هُوَ خَيْرٌ لِلإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ مُدَّةَ أَيَّامِ حَيَاةِ بَاطِلِهِ الَّتِي يَقْضِيهَا كَالظِّلِّ لأَنَّهُ مَنْ يُخْبِرُ الإِنْسَانَ بِمَا يَكُونُ بَعْدَهُ تَحْتَ الشَّمْسِ" (ع ١٢).

يختم الحكيم بحثه بهذين السؤالين:

-مَنْ يعرّفنا الخير للإنسان في أيام حياته؟

-مَنْ يخبرنا بمستقبل الأرض بهد انتهاء يوم الإنسان؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولا يوجد مرجع أمين صادق إلا مستودع الحق الوحيد في العالم الذي هو كلمة الله "إلى الأبد يا رب كلمتك مثبتة في السموات" (مز ١١٩: ٨٩). أين الخير للإنسان في الحياة مدة أيام باطله؟ اسمع ما يقوله الكتاب "تعرّف به- صالح نفسك معه الآن- واسلم (وكن في سلام) بذلك يأتيك خير" (أي ٢٢: ٢٢)

وهتاف المؤمن في مزمور راعي الخراف العظيم (مز ٢٣) "اَلرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ... إِنَّمَا خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ يَتْبَعَانِنِي كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي". وذلك بعد مزمور الراعي الصالح الذي بذل نفسه لأجل الخراف, فيقول في مز ٢٢: ١٦ "ثقبوا يديّ ورجليّ."

ما أبعد الفارق بين حياة فيها دم الحمل وتحت راية مخافة اسمه وتوقيره قبل كل كلمة وكل تصرف. هنا وهنا فقط الخير وكل الخير, وهنا فقط الخروج من تحت الراية الرهيبة "أيام حياة باطلة". ما أروع التقرير المقدم من ابن الله عن إرساليته المجيدة "وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ" (يو ١٠: ١٠)- أفضل أي حياة متزايدة نامية في كل كمالات الله ومثمرة لمجد الله, ولا ننسى الوصف الآخر لحياة الإنسان الباطلة في كلام سليمان "كالظل" فما أقصرها, وتوصف بالظل وبالبخار (يع ٤) وبالغبار (مز ٩٠) وبأنها أشبار (مز ٣٩).

ليت كل نفس تتعقل وتصرخ من الأعماق "عَرِّفْنِي يَا رَبُّ نِهَايَتِي وَمِقْدَارَ أَيَّامِي كَمْ هِيَ فَأَعْلَمَ كَيْفَ أَنَا زَائِلٌ" (مز ٣٩: ٤).

-نأتي إلى السؤال الثاني: لأنه من يخبر الإنسان بما يكون بعده تحت الشمس- فعلاً هو أمر يستحق التأمل والتفكير العميق لأن يوم الإنسان لا بد أن ينتهي وتاريخ الكرة الأرضية المملوء بالظلام والقسوة والأنانية سوف ينتهي, لكن حاشا للقدير أن ينهي تاريخ كوكبنا هذا بهذا المشهد الرديء, لأنه لا يمكن أن يخيب قصد واحد من مقاصده الكريمة, فقد كان في قصده أنه بإنسان يملك هو على الخليقة وتظهر كل كمالاته واستقاماته الأزلية فهل فشل آدم الأول يُرجع الله عن قصده؟ حاشا. هوذا آدم الأخير, الإنسان الثاني, الرب من السماء يحقق ذلك القصد وقد تيقنت قلوب المفديين من بدء التاريخ أن ذاك الأزلي القدير سيأتي كنسل المرأة ويسحق الشيطان تماماً ويملك على الأرض.

ما أروع تقرير أيوب منذ ...٤ سنة "أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّي حَيٌّ وَالآخِرَ عَلَى الأَرْضِ يَقُومُ" (أي ١٩: ٢٥) أي هو الحي الأزلي الأبدي هو فاديّ وهو بذاته سوف يقوم على الأرض أي يملك عليها. "وَيَكُونُ الرَّبُّ مَلِكاً عَلَى كُلِّ الأَرْضِ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ الرَّبُّ وَحْدَهُ وَاسْمُهُ وَحْدَهُ" (زك ١٤: ٩)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأصحاح السابع

"اَلصِّيتُ خَيْرٌ مِنَ الدُّهْنِ الطَّيِّبِ وَيَوْمُ الْمَمَاتِ خَيْرٌ مِنْ يَوْمِ الْوِلاَدَةِ" (ع ١)

بين هذا الفصل والفصول السابقة مسافة كبيرة وكأنها وقفة طويلة هادئة في تفكير الحكيم. في هذه المرة يبحث عن الخير في الحياة عن طريق السلوك بحسب الحكمة, متحولاً عن الولائم وحياة التنعم إلى ما هو عكس ذلك, ومع أنه لم يكن لسليمان نور العهد الجديد المبارك غير أن هناك في ذهنه كانت سبع مفارقات, استطاع بنور إلهي سطع في ذهنه أن يميز الأفضل بينها:

1- الصيت خير من الدهن الطيب (ع ١)

2- يوم الممات خيرٌ من يوم الولادة (ع ١)

3- الذهاب إلى بيت النوح خيرٌ من الذهاب إلى بيت الوليمة (ع ٢)

4- الحزن خيرٌ من الضحك (ع ٣)

5- سماع الانتهار من الحكيم خيرٌ من سماع غناء الجهال (ع ٥)

6- نهاية أمر خيرٌ من بدايته (ع ٨)

7- طول الروح خيرٌ من تكبر الروح (ع ٨)

"الصيت الطيب خير من الدهن الطيّب": الدهن الطيّب نوع من التنعمات عند الأغنياء كما نسمع في تقرير عاموس "الشَّارِبُونَ مِنْ كُؤُوسِ الْخَمْرِ وَالَّذِينَ يَدَّهِنُونَ بِأَفْضَلِ الأطياب" (عا ٦: ٦). والجامعة يقرر هنا أن الصيت أو الاسم الحسن أو الذكرى العطرة في حياة الإنسان أفضل من أعلى تنعمات الغنى, كما يقرر أيضاً في أمثاله "الصيت أفضل من الغنى العظيم" (أم ٢٢: ١).

وعندما نرجع للكتاب نجد أن واحداً فقط هو الذي يقف فريداً في كل الوحي هو الذي كل حياته في كل تفصيلاتها تم فيه القول "لِرَائِحَةِ أَدْهَانِكَ الطَّيِّبَةِ. اسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ لِذَلِكَ أَحَبَّتْكَ الْعَذَارَى" (نش ١: ٣) لذلك لا توجد حياة حقيقية عطرة إلا بالارتباط العميق به.

إن كان التعلق بداود والتكريس له كمسيح الرب هو الذي جعل لأبطاله أمثال أبيشاي وبناياهو اسماً عظيماً, فبالأولى كثيراً التكريس للمسيح الحقيقي ابن داود ورب داود. ما الذي جعل صيتاً حسناً وذكراً أبدياً للكثيرين, ممن كان يمكن أن يطويهم النسيان إلى الأبد؟.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فهل كنا نسمع شيئاً عن الإثني عشر رسولاً لولا أنهم تركوا كل شيء وتبعوا يسوع؟ وأي فخر أو مجد كان يمكن أن يتصل باسم شاول المضطهد اليهودي الطرسوسي بالقياس إلى اسم بولس رسول ربنا يسوع المسيح إلى الأمم. والمؤمن حصل في شخص المسيح على كتابة اسمه في سفر حياة الخروف قبل تأسيس العالم, لكنه أيضاً قد وجد في المسيح, الحياة الجديدة العطرة, الصيت الحقيقي الحسن. وعلى قدر ما تزداد شركتنا معه يزداد تمتعنا بهذه الحياة العطرة عملياً "نحْنُ جَمِيعاً نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ" (٢ كو ٣: ١٨). وواضح المباينة بين المدرستين, الصيت الحسن حياة المسيح في البذل والتضحية في تواضع ووداعة وإنكار ذات لإسعاد الآخرين, ومدرسة الدهن الطيّب- مدرسة التنعم والتمتع وتعظيم الذات.

"يوم الممات خير من يوم الولادة"

ما أروع كتاب الله. لو جاء هذا التقرير بمفرده كأنه عام لكل البشر لكان لغزاً غامضاً, لكن شكراً لله لأجل دقة الوحي وكماله المطلق وروعة ترتيب أفكاره وإذ قبل هذا النص الخاص بيوم الممات, يأتي الإعلان عن المدرستين, مدرسة البذل والتضحية بكل شيء لأجل إسعاد الآخرين. ومدرسة الأنانية والتمتع بكل شيء ولا حساب للآخرين. طوبى للنفس التي انتقلت بالإيمان بدم المسيح إلى مدرسة الصيت الحسن- مدرسة حياة المسيح بالحصول على فداء المسيح وطبيعته أي الخليقة الجديدة وهكذا يأتي يوم الممات يكون التقرير الصادق "لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. ذَاكَ أَفْضَلُ جِدّاً" (في ١: ٢٣)

"اَلذِّهَابُ إِلَى بَيْتِ النَّوْحِ خَيْرٌ مِنَ الذِّهَابِ إِلَى بَيْتِ الْوَلِيمَةِ لأَنَّ ذَاكَ نِهَايَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ وَالْحَيُّ يَضَعُهُ فِي قَلْبِهِ" (ع ٢).

المعنى الحرفي قائم إذ أن الولائم والأفراح التي من إنشاء العالم وبحسب مبادئه, تعمل في القلب البشري عمل الخمر- حتى وإن كانت خالية من الخمر , فيزداد غرور الإنسان بمباهج العالم ويتعمق أكثر في حلم هذا الزمان القصير, وينسى ويتجاهل أكثر نهايته وأنه ضيف على الأرض. وحياته على الأرض ظل وبخار يظهر قليلاً ثم يضمحل. وهذا هو قصد العدو وقد فطن رجل الله المبارك أيوب إلى هذه الحقيقة وأدرك أن ولائم أولاده السبعة ربما تكون فعلت فعلها الشرير في إبعاد قلوبهم عن الله وعن الأبدية لذلك كان يبكر في الصباح ويقدم محرقة لأجل كل واحد منهم لتقديسهم لذلك يقرر سليمان هنا أن الذهاب إلى بيت النوح خير من الذهاب إلى بيت الوليمة لأن بيت النوح سيذكّر الإنسان بنهايته المباغتة والحي هو الذي يستفيق ويضع هذه الحقيقة في قلبه لذلك ما أروع طلبة موسى "إحصاء أيامنا هكذا علمنا فنؤتي قلب حكمة" (مز ٩٠: ١٢) وما أروع طلبة داود "عَرِّفْنِي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يَا رَبُّ نِهَايَتِي وَمِقْدَارَ أَيَّامِي كَمْ هِيَ فَأَعْلَمَ كَيْفَ أَنَا زَائِلٌ. هُوَذَا جَعَلْتَ أَيَّامِي أَشْبَاراً وَعُمْرِي كَلاَ شَيْءَ قُدَّامَكَ. إِنَّمَا نَفْخَةً كُلُّ إِنْسَانٍ قَدْ جُعِلَ" (مز ٣٩: ٤). لكن هناك المعنى الروحي العميق.

بيت الوليمة هو العالم في أغانيه وطربه وملذاته وتمتعاته كما ابتدأه قايين, أما بيت النوح هو ما يبدو ظاهرياً في حياة أولاد الله "كحزانى ونحن دائماً فرحون" (٢ كو ٦: ١٠) ففي انفصال القديسين عن ملاهي هذا العالم من سينما وأغانٍ..... الخ، كأن بيتهم بيت النوح لكن في الحقيقة لهم في القلب الفرح الذي لا يُنطق به ومجيد (١ بط ١: ٨)

"اَلْحُزْنُ خَيْرٌ مِنَ الضَّحِكِ لأَنَّهُ بِكَآبَةِ الْوَجْهِ يُصْلَحُ الْقَلْبُ" (ع ٣)

أي أنه لا علاج للقلب إن لم يكن هناك حزن حقيقي على حالتي كإنسان تجاهلت خالقي واحتقرت محبته, إذ أتذكر ذلك وأندم عليه من القلب, حينئذ تبدأ التوبة تدخل إلى قلبي وهذه هو معنى تطويب الرب للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات, وتطويبه للحزانى لأنهم يتعزون, وفي كل مشهد توبة نجد حزناً عميقاً (راجع مشهد الابن الضال- لو ١٥, والمرأة الخاطئة- لو ٧, وإخوة يوسف- تك ٤٢- ٤٤).

وما أجمل التعبير "يُصلح القلب" أي يطيب القلب ويذهب عنه الهم. قد محا عند الصليب دم ربي إثمي وعن القلب الكئيب زال كل الهم إذ تتبدد الشكوك والمخاوف من المستقبل القريب والمستقبل الأبدي, إذ تتيقن النفس أنها بالتصاقها بيسوع الرب المخلص تصبح في صحبة يسوع عمانوئيل- الله معنا. فهو معي كل الطريق نعم وأعطاني سلام ينقذني من كل ضيق مخلصاً إلى التمام.

"قَلْبُ الْحُكَمَاءِ فِي بَيْتِ النَّوْحِ وَقَلْبُ الْجُهَّالِ فِي بَيْتِ الْفَرَحِ" (ع ٤)

هنا نرى نتيجة مباركة أخرى للتوبة إذ بها ينتقل الإنسان إلى فريق الحكماء "وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرّاً وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً" (١ كو ١: ٣٠) ولهذا نرى خمس عذارى حكيمات يمثلن دائرة التائبين المؤمنين الحقيقيين, وخمس عذارى جاهلات يمثلن الارتباط الأسمى بالمسيح بدون توبة. أما التعبير بأن قلب الحكماء أي المؤمنين في بيت النوح أي في دائرة البكاء المقدس على حالة غير التائبين المحيطين بهم الذين في جهل يندفعون إلى ملذات العالم (بيت الفرح)

"سَمْعُ الاِنْتِهَارِ مِنَ الْحَكِيمِ خَيْرٌ لِلإِنْسَانِ مِنْ سَمْعِ غِنَاءِ الْجُهَّالِ" (ع ٥)

وهذه نتيجة مباركة ثالثة, إذ أن النفس التي حصلت على التوبة تُسرع على ما ينقي القلب والفكر لكي تستقيم الخطوات وتسير في ذات خطوات الرب المجيدة (١ بط ٢: ٢١). ولن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تجد النفس من ينتهر الاعوجاج فيها بإخلاص واستقامة إلا الكتاب المقدس هذا هو الحكيم الحقيقي لأنه كتاب الله- الحكمة الأزلي. صحيح أنه كتاب مكتوب على ورق لمن ما أبعد الفارق بينه وبين كل كتب العالم. ما أروع تسجيل الروح القدس عن الكتاب كما لو كان شخصاً يقول ويرى ويغلق. أولاً: الكتاب يقول أو "ماذا يقول الكتاب" فهو كتاب يُقرأ لكن ما أروع صوته (عب ٤: ١٢, ارميا ٢٣: ٢٣, أش ٥٥: ٨) هل يوجد كتاب له هذا الصوت عبر آلاف السنين والآن مترجم إلى ١٨٠٠ لغة.

وهذا التعبير يأتي ١٤ مرة في العهد الجديد وبهذا الخصوص ما أعجب القول "يَقُولُ الْكِتَابُ لِفِرْعَوْنَ: «إِنِّي لِهَذَا بِعَيْنِهِ أَقَمْتُكَ لِكَيْ أُظْهِرَ فِيكَ قُوَّتِي" (رو ٩: ١٧, خر ٩: ١٦). هذا قبل كتابة الكتاب المقدس وقد دين لأنه لم ينتبه, فكم بالحري بعد كتابة الكتاب, هل يوجد كتاب يتكلم قبل أن يُكتب؟ نعم لأن الروح القدس أي الله الأزلي هو الكاتب الحقيقي للكتاب وهو الذي أوحى بكل كلمة لكتبة الوحي.

ثانياً: الكتاب يرى عجباً! "وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ «فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ" (غلا ٣: ٨).

ثالثاً: الكتاب يغلق "لَكِنَّ الْكِتَابَ أَغْلَقَ عَلَى الْكُلِّ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ" ٠غلا ٣: ٢٢) ليعطي الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون, كذلك لا ننسى المعنى الحرفي وهو بركة قبول التوبيخ من شخص حكيم "لِيَضْرِبْنِي الصِّدِّيقُ فَرَحْمَةٌ وَلْيُوَبِّخْنِي فَزَيْتٌ لِلرَّأْسِ. لاَ يَأْبَى رَأْسِي" (مزمور ١٤١: ٥.)

-خير للإنسان من سمع غناء الجهال:

أولاً. من هو نبع هذه الأغاني؟ أليس هو عدو الله وعدو النفوس.

ثانياً. ما هو غرضه إلا أن يثير الشهوات الكامنة في الطبيعة الساقطة المولود بها الإنسان.

ثالثاً. ما هي النتيجة.. أليس لكي يخدع النفوس بأن يقدم لها فرحاً زائفاً وهكذا تتجاهل وتَعمى تماماً عن الأبدية التعيسة المؤكدة.

"لأَنَّهُ كَصَوْتِ الشَّوْكِ تَحْتَ الْقِدْرِ هَكَذَا ضِحْكُ الْجُهَّالِ. هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ" (ع ٦).

الشوك تحت القدر يُحدث أولاً ناراً سريعاً ما تخمد ولا تنجح في مهمتها. أي أن هذه الأغاني لن تنجح في إشباع النفوس وتظل الشهوات كامنة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثانياً, يُحدث صوت قرقعة عالية ويتحول في النهاية إلى رماد- وهذا ما يحدث في ضحك وليمة الأشرار وأغانيهم (راجع وليمة بيلشاصر في سفر دانيال ص ٥, ووليمة هيرودس في أع ١٢).

" لأَنَّ الظُّلْمَ يُحَمِّقُ الْحَكِيمَ وَالْعَطِيَّةَ تُفْسِدُ الْقَلْبَ" (ع ٧).

تحذير لأولاد الله من عناوين كبيرين موجودين في العالم: الظلم هو ناتج من أنانية الإنسان ومحبته لذاته لذلك ينبغي أن تخلو حياة القديس من الظلم للآخرين في أية صورة.

وإذ يقع عليه ظلم ينبغي أن يتشبه بسيده الذي إذ ظُلم لم فتح فاه وكان يسلم لمن يقضى بعدل, لذلك إذا خرج المؤمن عن هذا المثال الكامل- ربنا يسوع المسيح- الموضوع أمام كل المفديين, وهو احتمال الظلم بشكر وصبر, فحينئذ لا بد أن تظهر حماقة في رد المؤمن على أي ظلم يقع عليه.

أما الأمر الثاني وهو العطية أي الرشوة التي تفسد القلب, فينبغي أن يمتلئ قلب المؤمن بالتعفف الذي عاش فيه السيد المعبود كل لحظة من حياته الكريمة, وهكذا يتحاشى المؤمن الرشوة المقدمة له, ولا يقدم رشوة, فلا ينزل مستوى سلوك المؤمن إلى مستوى أهل العالم المملوء بالفساد.

"نِهَايَةُ أَمْرٍ خَيْرٌ مِنْ بَدَايَتِهِ. طُولُ الرُّوحِ خَيْرٌ مِنْ تَكَبُّرِ الرُّوحِ" (ع ٨).

هنا درس بالغ الأهمية للقديسين, درس في الاحتمال والانتظار والصبر, فقد يبدو أمر في بدايته مؤلماً موجعاً ولكن في النهاية تظهر نتائجه المباركة المفرحة والحكمة الإلهية التي قصدها الله منه. وواضح أن هذا دائماً صحيح لأولاد الله لأنهم من لحظة التوبة أُخرجوا كم تحت سلطان الشيطان والعالم والخطية. وعلى صفحات الوحي الدروس الجميلة التي توضح هذه الحقيقة بالنسبة لأولاد الله, ففي قصة يوسف أو استير أو الثلاثة فتية أو دانيال, كل منهم يهتف "نهاية أمر خير من بدايته" وهكذا يهتف الرسول "ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله" (رو ٨: ٢٨) لكن فوق الكل ذاك الذي أتى إلى المذود ثم عاش حياة الاحتقار والمقاومة ثم تقدم إلى الصليب, لكن في النهاية قمة المجد عن يمين العظمة في الأعالي.

" -طول الروح خير من تكبر الروح"

طول الروح هو بطء الغضب أي الروح الوديع وهو أحد الكمالات الإلهية, لذلك يقرر الروح القدس عنه أنه كثير الثمن (١ بط ٣: ٤) وله بركات كثيرة:

أولاً- "بطئ الغضب كثير الفهم وقصير الروح معلّى الحمق" (أم ١٤: ٢٩).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثانياً- صانع سلام إذ له نعمة خاصة وحكمة وترو وبذلك يستطيع أن يضع بلساناً على الجروح وهكذا يقود كل الأطراف إلى السلام "الرجل الغضوب يهيج الخصومة وبطئ الغضب يسكن الخصام" (أم ١٥: ١٨).

ثالثاً- الهدوء والثبات في العواصف "البطيء الغضب خير من الجبار ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة" (أم ١٦: ٣٣).

"لاَ تُسْرِعْ بِرُوحِكَ إِلَى الْغَضَبِ لأَنَّ الْغَضَبَ يَسْتَقِرُّ فِي حِضْنِ الْجُهَّالِ." (ع ٩).

أي أن نتائج الغضب من خصام وأمور مُرّة وكلمات جارحة تستقر في حضن السريع الغضب. ولا ننسى أن الوداعة وبطء الغضب مرتبطان تماماً بالتواضع بل هما توأم ولا نجده إلا في ذاك الذي قال تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب.

"لاَ تَقُلْ لِمَاذَا كَانَتِ الأَيَّامُ الأُولَى خَيْراً مِنْ هَذِهِ لأَنَّهُ لَيْسَ عَنْ حِكْمَةٍ تَسْأَلُ عَنْ هَذَا" (ع ١٠)

هذا اعتراض في شكل تساؤل مبعثه التذمر على أعمال العناية الإلهية التي ترتب وتدبر كل شيء بحكمة فائقة, ومعنى هذا التساؤل أن هناك ظلماً في التوزيع الإلهي إذ أوجدنا في أيام أقسى وأشد من أيام أجدادنا, وهذا لا يدل إلا على الجهل لأن العالم منذ القديم له هذه الصفة "العالم الحاضر الشرير" (غلا ١: ٥) وأنه "موضوع في الشرير" (١ يو ٥: ٢٠).

بكل تأكيد العالم ينحدر اقتصادياً واجتماعياً وأدبياً. وقد أُعلن في الصحف العالمية أن عام ١٩٨٥ هو أردأ عام بالنسبة لكل التاريخ الحديث فيما سبقه من أعوام من جهة حوادث خطف الطائرات والسفن وحوادث السطو والقتل المرعبة, لكن لا ننسى أبداً الوجه المنير الذي لا يراه إلا أول الله في اجتماعاتهم باسم الرب والنهضات الانتعاشية في كثير من بلاد العالم.

"اَلْحِكْمَةُ صَالِحَةٌ مِثْلُ الْمِيرَاثِ بَلْ أَفْضَلُ لِنَاظِرِي الشَّمْسِ. لأَنَّ الَّذِي فِي ظِلِّ الْحِكْمَةِ هُوَ فِي ظِلِّ الْفِضَّةِ وَفَضْلُ الْمَعْرِفَةِ هُوَ أَنَّ الْحِكْمَةَ تُحْيِي أَصْحَابَهَا" (ع ١١, ١٢)

مباينة بين الحكمة والثروة كظل للأحياء الذين يعيشون تحت الشمس, فكما أن الميراث أو الفضة ظل وقاء تحمي أصحابها من الفقر المادي والاحتياج إلى ضرورات الزمن, هكذا الحكمة والمعرفة لكنهما ظل ووقاء أسمى وأعظم, والمفتاح لهذه الأفضلية في كلمة حلوة وهي "تحيي أصحابها". فالفضة قد تحمي أصحابها من الفقر المادي لكنها تترك من تحت ظلها فقراء روحياً بل أمواتاً منفصلين عن الله أدبياً وينتظرهم الموت الثاني في النار الأبدية بلا رجاء. ما أروعها مباينة وما أروعه تحليلاً لأفضلية الحكمة كظل مجيد محيٍ, لذلك نسمع الحكمة الأزلي له المجد يقول "أَنَا الْحِكْمَةُ أَنَا الْفَهْمُ... مَنْ يَجِدُنِي يَجِدُ الْحَيَاةَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وَيَنَالُ رِضًى مِنَ الرَّبِّ وَمَنْ يُخْطِئُ عَنِّي يَضُرُّ نَفْسَهُ. كُلُّ مُبْغِضِيَّ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ" (أم ٨: ١٢- ٣٦)

"اُنْظُرْ عَمَلَ اللَّهِ لأَنَّهُ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى تَقْوِيمِ مَا قَدْ عَوَّجَهُ فِي يَوْمِ الْخَيْرِ كُنْ بِخَيْرٍ وَفِي يَوْمِ الشَّرِّ اعْتَبِرْ. إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ هَذَا مَعَ ذَاكَ لِكَيْلاَ يَجِدَ الإِنْسَانُ شَيْئاً بَعْدَهُ" (ع ١٣, ١٤)

تأمل بفكر متواضع وتسليم كامل لحكمة الله المنزهة. هناك أمور كثيرة في الطبيعة لا نستطيع كشف غوامضها. قد نرى ربوعاً جميلة تحدثنا محاسنها ومنافعها عن محبة الله, وإذا بعاصفة من عنده تهب على تلك الربوع فتكتسحها, ولا تخلف وراءها سوى الخراب. وهنا يحار العقل ويتوقف, لمن اليقين الكامل في محبة الله وحكمته يُسرع إلى التسليم والانتظار لفهم حكمته السامية ولا يمر وقت طويل حتى نشاهد هذه البقعة التي صارت خراباً, يتسلمها أحد رجال الأعمال ويقيم عليها مبنى عظيماً يشمل مدرسة وملجأ للأطفال.!

يا لعمق غنى الله وعلمه. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء.

ويصل الحكيم إلى الخلاصة في ع ١٤, في يوم الخير اشكر الرب بالتسبيح له وفي يوم الشر اعتبر أي استحضر نفسك أمام الرب لكي يعطيك حكمة لتفهم قصده المبارك وهو ذات ما يقصده يعقوب "أعلى أحد بينكم مشقات فليصل. أمسرور أحد فليرتل" (يع ٥: ١٣). ويختم تأمله بالحكمة: إن جعل الله هذه مع ذاك, أي أنه في حكمته العالية جعل حياة الإنسان مزيجاً من الأمور الحلوة والمُرّة, والقصد من ذلك لكي لا يجد الإنسان شيئاً بعده, بمعنى أنه لا يضع رجاءه في الأيام القادمة وما تحتويه من خير ونجاح. فطالما الأمور تحت الشمس لا بد أن الأيام تحتوي الأثنين معاً- الحلو والمُرّ, ما يفرح وما يجعل الدموع تسيل ولهذا نسمع التحذير "الرجاء المماطل يمرض القلب" (أم ١٣: ١٢). لكن هناك رجاء أفضل بما لا يقاس, جعل بولس وهو يجتاز أقسى الأيام يهتف "في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا" (رو٨: ٣٧) ويقرر الرسول يوحنا "وكل من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه كما هو طاهر" (١ يو ٣: ٣).

"قَدْ رَأَيْتُ الْكُلَّ فِي أَيَّامِ بُطْلِي. قَدْ يَكُونُ بَارٌّ يَبِيدُ فِي بِرِّهِ وَقَدْ يَكُونُ شِرِّيرٌ يَطُولُ فِي شَرِّهِ ")١٥(

طالما هناك التأمل فيما تحت الشمس فهي أيام باطلة, وقد توضح في فصول سابقة المباينة الشاسعة بين أيام سليمان وبين أيام الرسول بولس العظيمة الثمر لمجد سيده, والسبب أن نظر بولس وقلبه وحواسه, الكل يهتف لذاك الذي فوق الشمس.

في هذه الأعداد من ع ١٠ يتعرض الحكيم للأمور العويصة التي واجهها تحت الشمس. ففي ع ١٠ تعرّض لتدهور حالة العالم وموقف أول الله وهو التسليم لحكمة ومحبة السيد والتأمل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في الوجه المنير, ثم في ١٣, ١٤ تعرّض لمشكلة أصعب وهي سياسة الله العميقة التي تبدو للجاهل كأنها معوجة. أما هنا في ع ١٥ يتعرّض لمشكلة صعب تفسيرها بحسب الذهن الطبيعي. فالبار الذي له الوعد بطول الأيام على الأرض والغنى والراحة (راجع مز ١٢٨) قد يسمح الرب بإنهاء حياته في ريعان شبابه. كما حدث لهابيل ونابوت وأوريا ويوشيا, وكانت لإلهنا حكمة سامية في كل واحد منهم في أخذه مبكراً. ففي هابيل ليظهر من بداءة التاريخ البشري على الأرض ما هو الطابع للمدرستين والعائلتين الموجودتين على الأرض بعد السقوط. ففي هابيل مدرسة الإيمان والاحتماء في دم الحمل وتظهر في من احتموا في دم الحمل استعدادهم لاحتمال الألم حتى الموت لأن لهم إكليل الحياة. أما المدرسة الأخرى- مدرسة قايين, وهي مدرسة الأعمال واحتقار الذبيحة كالطريق الوحيد للاقتراب إلى الله وفيهم تظهر شراسة الشيطان وقسوته لدرجة سفك دم البريء.

أما في نابوت فهناك درس آخر وهو أن مدرسة الإيمان والاحتماء في دم الحمل ليس فقط طابعها الوداعة واحتمال الألم حتى الموت كما ظهر في هابيل, لكن في نابوت يظهر عنصر آخر مجيد, وهو التمسك بالحق وعدم التفريط فيه ولو أدى هذا إلى إنهاء الحياة لأجل الحق. وقد كان أمام نابوت إغراء بثمن غال لقطعة الحقل وكان أمامه التهديد بوحشية إيزابيل الشريرة المفترسة لكنه وضع نفسه في كفة لأجل حق كتابي خاص بميراث آبائه المعين له من الله.

أما في أوريا الحثي فهناك الدرس الثالث وهو أن مدرسة الإيمان والاحتماء في الدم تدوس الرغبات الجسدية وترى أن نجد الله في المعركة مع العدو ينبغي أن يكون له الاعتبار الأول. وسر قتل أوريا أنه رفض أن يدخل إلى بيته لأن قلبه مرتبط بالمعركة القائمة بين الرايتين, راية مجد الله وراية العدو, ولم يحتمل أن يكون لجسده أي تمتع طالما هذه المعركة لم تنته بعد.

كلمة عن هذا القديس العظيم الذي من أصل أممي (بنى حث) لكنه ارتبط بشعب الرب وأصبح ضابطاً من القواد الثلاثين في جيش داود, وواضح من رده على داود أنه يقدّر جلال تابوت الرب واسم الرب العظيم ورأى في موازين تكريسه للرب أنه لا يليق به أن يتمتع بلذاته الجسدية العادية طالما لم يتحقق الانتصار بعد في المعركة. هل نقدّر نحن التابوت الحقيقي وهل نقدّر المعركة الحقيقية بين الاسم الكريم وبين رئيس هذا العالم.

أما في يوشيا فهناك الدرس الرابع وهو أن الرب سمح بإنهاء حياة هذا القديس العظيم لأن وقت القضاء على الأمة كان قد جاء وبعد وفاته بثلاثة أشهر بدأ القضاء بصعود ملك مصر ثم بعد ذلك وقع القضاء الكامل بواسطة نبوخذنصر البابلي أي أن الرب ضم حبيبه يوشيا من وجه الشر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"لاَ تَكُنْ بَارّاً كَثِيراً وَلاَ تَكُنْ حَكِيماً بِزِيَادَةٍ. لِمَاذَا تَخْرِبُ نَفْسَكَ. لاَ تَكُنْ شِرِّيراً كَثِيراً وَلاَ تَكُنْ جَاهِلاً لِمَاذَا تَمُوتُ فِي غَيْرِ وَقْتِكَ؟. حَسَنٌ أَنْ تَتَمَسَّكَ بِهَذَا وَأَيْضاً أَنْ لاَ تَرْخِيَ يَدَكَ عَنْ ذَاكَ لأَنَّ مُتَّقِيَ اللَّهِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا كِلَيْهِمَا" (ع ١٦- ١٨)

واضح من أسفار كثيرة من الكتاب أن هناك براً عملياً في العهد القديم بحسب النور المعطى لهم من الله وكثيرون ساروا فيه باستقامة قلب لإرضاء الله إلههم ومحبوبهم أمثال نوح وإبراهيم وأيوب, ولكن الحقيقة تنكشف في العهد الجديد أن هناك براً إلهياً مُعطى من الله على أساس دم المسيح "وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ مَشْهُوداً لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ بِرُّ اللهِ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ" (رو ٣: ٢١- ٢٣).

أي أن الأتقياء في العهد القديم, أعطاهم الله في نعمته الولادة من فوق أي أصبحوا أولاد الله, وهكذا أعطاهم بره أي أصبحوا أبراراً أمام الله, وكل هذا على حساب دم المسيح الذي كان في حكم المستقبل بالنسبة لهم, لكن أمام الله من الأزل وإلى الأبد, وهذا واضح في رو ٣: ٢٥, ٢٦ حيث تتكرر كلمة "لإظهار بره" أي أن ذبيحة المسيح هي التي تُظهر استقامة الله, وحساب الله لهم أنهم أبرار هو ذات حسابه لنا, فهم ونحن على ذات القاعدة التي هي ذبيحة ربنا يسوع المسيح, وهذا يوضح لنا أن البر الإلهي لا يمكن التلاعب فيه لا زيادة ولا نقصاناً "الغني لا يكثر والفقير لا يقلل" (خر ٣٠: ١٥)- "إيماناً مساوياً لنا" (٢ بط ١: ١) لأن أساسه موت وقيامة ربنا يسوع المسيح, وذبيحته لها كمالها المطلق أمام الله.

وهنا يتضح قصد سليمان عن البر الكثير- أي مظاهر البر الذاتي الكاذب مثل التظاهر بالصوم أمام الناس دون ولادة من الله وشركة حقيقية مع الله في الصلاة مع الصوم ودراسة كلمة الله والشركة مع القديسين في السجود والعبادة, وهذا كله يؤدي إلى حياة القداسة والبر العملي.

أما المظاهر فتخرب نفس الإنسان ويظن أنه "أقدس من الآخرين" وأنه "حكيم بزيادة" في عيني نفسه, وهذا ما غرق فيه الفريسيون إذ حسبوا أنفسهم أصحاب الحكمة وحدهم عن طريق الصيامات والتدقيق في العشور (لو ١٨).

" -لا تكن شريراً كثيراً ولا تكن جاهلاً لماذا تموت في غير وقتك؟"

لا يقصد الاعتدال في الشر والجهل, لكن إلى أن يتجاوب قلبك مع نعمة الله التي تنتشلك من سلطان الظلمة, احذر من التوّرط في الحماقات التي تقضي على حياتك فتموت في غير وقتك. وهذا طبعاً كلام يوجه إلى الإنسان الخاطئ قبل الإيمان.

" -حسن أن تتمسك بهذا وأيضاً أن لا ترخي يدك لأن متقي الله يخرج منهما كليهما"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لنتذكر أن هذا ما رآه سليمان في أيام بطله (ع ١٥) ألاّ تكون باراً كثيراً ولا شريراً كثيراً.

لكن ما أروع مقياس العهد الجديد للمولودين من الله "امتنعوا عن كل شبه شر" (١ تس ٥: ٢٢), "من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية" (يع ٤: ١٧), "كل ما ليس من الإيمان فهو خطية" (رو ١٤: ٢٣)

"اَلْحِكْمَةُ تُقَوِّي الْحَكِيمَ أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ مُسَلَّطِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَدِينَةِ" (ع ١٩)

في ع ١١, ١٢ ذكر فصل الحكمة على الفضة, وهنا يذكر فضلاً آخر ونعمة أخرى للحكمة وهي القوة التي لا يعرف سرها العالم وينحني أمامها متعجباً. وفي التاريخ المقدس عينات لا تحصى, وعلى سبيل المثال في أيام مظلمة جداً كانت تتسلط في إسرائيل قوة غاشمة وهي آخاب ومعه كل الجبابرة أعوان ايزابل, وفي هذا المشهد الغاشم "قَالَ إِيلِيَّا التِّشْبِيُّ.. لأَخْآبَ حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ إِنَّهُ لاَ يَكُونُ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ فِي هَذِهِ السِّنِينَ إِلاَّ عِنْدَ قَوْلِي" (١ مل ١٧: ١, ٢).

كان من الممكن لايليا أن يوّصل هذه الرسالة لأي واحد من وكلاء آخاب, لكن يُظهر الرب مدى القوة التي يمنحها لمن يقف أمامه, وأيضاً لكي يصل الصوت إلى قلب آخاب شخصياً, لأن الله قبل أن يكون دياناً, هو الله المحب الذي يريد أن ترجع النفس إليه. وهناك الثلاث فتيان أمام نبوخذنصر, ومردخاي أمام هامان. ولكن فوق الكل باستمرار, الإنسان الثاني الرب من السماء. ما أروع القوة, ما أروع الهدوء, ما أروع الاتزان والوقار أمام الفريسيين المناقضين, ما أروع شهادة المعمدان عنه "يأتي بعدي من هو أقوى مني" (مت ٣: ١١), وشهادة بطرس أمام كرنيليوس قائلاً: "يَسُوعُ المسيح هذا هو رب الكلِ. كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ" (أع ١٠). وكم كانت قوته مذهلة أمام حنان وقيافا وبيلاطس, لذلك شبع به رسله. ما أروع موقفهم "وَبِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ كَانَ الرُّسُلُ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ بِقِيَامَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ كَانَتْ عَلَى جَمِيعِهِمِ" (أع ٤: ٣٣).

ما أروع الترتيب, فالحكمة اولاً تعطي حياة لمن هو تحتها, وإذ تصل الحياة إلى النفس, تحتاج طول الطريق إلى القوة من ذات الحكمة التي أوجدت فيها ينبوع الحياة وواضح أن الحكمة هو أقنوم الآب الأزلي له المجد الذي قال "أنا الحكمة لِي الْمَشُورَةُ وَالرَّأْيُ أَنَا الْفَهْمُ لِي الْقُدْرَةُ.. مَنْ يَجِدُنِي يَجِدُ الْحَيَاةَ وَيَنَالُ رِضًى مِنَ الرَّبِّ وَمَنْ يُخْطِئُ عَنِّي يَضُرُّ نَفْسَهُ" (أم ٨: ١٢- ٣٦) وهذه هي مدرسة المسيح, الحياة أولاً لمن هم أموات, ثم يأتي دور القوة "وَعْدِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ.. فَتَقَوَّ أَنْتَ يَا ابْنِي بِالنِّعْمَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (٢ تي ١: ١, ٢: ١), " أحيانا مع المسيح وأقامنا... أخيرا يا إخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته" (أف ٢: ٥, ٦: ١٠)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"لأَنَّهُ لاَ إِنْسَانٌ صِدِّيقٌ فِي الأَرْضِ يَعْمَلُ صَلاَحاً وَلاَ يُخْطِئُ" (ع ٢٠).

ما أروع دقة الكتاب المقدس:

أولاً- لم يقُل لا إنسان صدّيق في الأرض فقط, لأن الله أمين لذاته واستحالة أن يترك نفسه بلا شاهد, بل له شهود كثيرون هنا على الأرض ليشهد من خلال ضعفهم عن ذاته المجيدة. ظن ايليا في غفلة أن الجميع تركوا عبادة الرب وأنه هو وحده الأمين للرب "وبقيت أنا وحدي" فجاءته الكلمة "قد أبقيت لنفسي سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل" (١ مل ١٩, رو ١١: ٤). ما أروع الاجابة "أبقيت لنفسي) كما يقول أيضاً "أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي" (أش ٤٣: ٢٥) أي ان الغفران والفداء الإلهي وإن كانا بركة عظيمة لنا لكن هما أولاً لأجل ذات الله ليشهدا لكمال صفات الله.

ثانياً- لم يقُل "لا إنسان في الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطئ" لأن عمل الصلاح استحالة مطلقة بالنسبة للإنسان ابن آدم, وتقرير الكتاب "ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (مز ١٤, ٥٣؛ رو ٣: ٢٣) وهذا التقرير يبدأ بهذا الوصف "الرب من السماء أشرف لينظر بني البشر هل من فاهم طالب الله" فهو إذاً خاص ببني البشر أولاد آدم أما أولاد الله فهم خليقة جديدة, ومن هنا تأتي الإمكانية لعمل الصلاح "بالنعمة أنتم مخلصون، بالإيمان.. لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها" (أف ٢: ٨, ١٠)

ثالثاً- ما يقرره الروح القدس إن هذا الصدّيق الذي صارت له النعمة أن يعمل الصلاح, هو غير معصوم, وإن لم يكن في حالة اليقظة فلا بد من الزلل. لكن من الجهة الأخرى مع وجود هذه الزلات في حياة المولود لكن استحالة أن يعيش في الخطية "نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها" (رو ٦)

"أَيْضاً لاَ تَضَعْ قَلْبَكَ عَلَى كُلِّ الْكَلاَمِ الَّذِي يُقَالُ لِئَلاَّ تَسْمَعَ عَبْدَكَ يَسُبُّكَ. لأَنَّ قَلْبَكَ أَيْضاً يَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ كَذَلِكَ مِرَاراً كَثِيرَةً سَبَبْتَ آخَرِينَ." (ع ٢١, ٢٢).

هنا وجه آخر من وجوه القوة التي تمنحها الحكمة لمن تحتها, وهي الرفعة فوق كلام الناس وحكمهم حتى إن وصل إلى السبب, لكن النظر مثبّت على حكم الرب وإرضاء الرب "الآب لم يتركني وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه" (يو ٨: ٢٩) قال هذا له المجد في وسط الكلمات القاسية الموجهة إليه.

ع ٢٢ وجه آخر لهذه القوة التي تمنحها الحكمة, وهو الاحتمال والصفح وإن كان عن طريق درس مُذِل لكنه لأزم فهو يذكرني بزلات لساني في حق الآخرين فأتضع ولكن لنا في نور العهد الجديد درس أسمى من هذا, وهو حتمية الصفح: أولاً لأن هذه طبيعة إلهي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الذي صيّرني ابناً له (مت ٥: ٤٥), ثانياً لقد سومحت بالكثير جداً أفلا أصفح عن القليل؟ "مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً انْ كَانَ لأَحَدٍ عَلَى احَدٍ شَكْوَى كَمَا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِيحُ هَكَذَا انْتُمْ ايْضاً" (كو ٣: ١٣)

"كُلُّ هَذَا امْتَحَنْتُهُ بِالْحِكْمَةِ قُلْتُ أَكُونُ حَكِيماً أَمَّا هِيَ فَبَعِيدَةٌ عَنِّي. بَعِيدٌ مَا كَانَ بَعِيداً وَالْعَمِيقُ الْعَمِيقُ مَنْ يَجِدُهُ. دُرْتُ أَنَا وَقَلْبِي لأَعْلَمَ وَلأَبْحَثَ وَلأَطْلُبَ حِكْمَةً وَعَقْلاً وَلأَعْرِفَ الشَّرَّ أَنَّهُ جَهَالَةٌ وَالْحَمَاقَةَ أَنَّهَا جُنُونٌ" (ع ٢٣- ٢٥).

أولاً: لقد حصل سليمان على الكثير من الحكمة حتى أنه كتب ٣٠٠٠ مثل وكانت نشائده ألفاً وخمساً, وتكلم عن الأشجار من الأرز الذي في لبنان إلى الزوفا النابت في الحائط, وتكلم عن البهائم والدبيب والسمك, وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا كلام حكمته لأنه كان أحكم من جميع حكماء عصره- إيثان الأزراحي وهيمان وكلكول ودردع بني ماحول. ولكنه أمام ذات الله وصفاته ومخططه العظيم وأعماله التي يتعامل بها مع الخليقة, ها هو يعترف أنه كطفل ساذج, والله في حكمته بعيدٌ جداً وعميق عميق جداً. وهو ذات إقرار صوفر قبل سليمان بألف سنة "أإلى عمق الله تتصل أم إلى نهاية القدير تنتهي هو أعلى من السماوات فماذا عساك أن تفعل" (أي ١١: ٧) وهو ذات هتاف أشعياء بعد سليمان بـ ٣٠٠ عام "مَنْ كَالَ بِكَفِّهِ الْمِيَاهَ وَقَاسَ السَّمَاوَاتِ بِالشِّبْرِ وَكَالَ بِالْكَيْلِ تُرَابَ الأَرْضِ وَوَزَنَ الْجِبَالَ بِالْقَبَّانِ وَالآكَامَ بِالْمِيزَانِ.. هُوَذَا الأُمَمُ كَنُفْطَةٍ مِنْ دَلْوٍ وَكَغُبَارِ الْمِيزَانِ تُحْسَبُ. كُلُّ الأُمَمِ كَلاَ شَيْءٍ قُدَّامَهُ. مِنَ الْعَدَمِ وَالْبَاطِلِ تُحْسَبُ عِنْدَهُ" (أش ٤٠: ١٢, ١٣).

لكن الله لم يترك هذه الفجوة في الإعلان عن ذاته. وها هو له المجد متجسداً وواقفاً وسط الناس يخاطب الآب "أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ لأَنْ هَكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ. كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ. تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (مت ١١: ٢٥- ٢٨) فليس هناك حل لهذه الفجوة إلا في الإقبال إليه والارتماء عند قدميه.

ع ٢٥ بقيت نقطة هامة في إقرار سليمان وهي بما أن الإنسان تافه جداً أمام الله في ذاته وحكمته وأمام عجلة أحكامه التي تدور بكل حكمة لتنفذ كل قصد من مقاصده الكريمة هنا على الأرض, إذاً ماذا يكون الشر والحماقة التي يعيش فيها الإنسان, هذا ليس إلا جهالة وجنون. تصوّر إنساناً يضع نفسه في طريق قطار سريع لكي يوقفه, هذا قمة الغباء الجنون, لكن العاقل يسأل أين المحطة التي يقف فيها القطار ليأخذ مكانه فيه في اطمئنان وهدوء, ويبتهج بكل وسائل الراحة فيه. هكذا قطار مقاصد الله وحكمته الأزلية يسحق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويدوس كل من يعترض هذه المقاصد ويريد أن يوقفها. ولكن العاقل يأتي إلى المكان الوحيد حيث يأخذ نصيبه المفرح في هذه المقاصد الإلهية.

إن صليب ربنا يسوع المسيح هو المكان الوحيد الذي يتلاقى فيه الله القدوس مع الإنسان الخاطئ لأننا فيه وجدنا المُصالح الذي يضع يده على الله ويده الأخرى على الإنسان (أي ٩: ٣٣) ووجدنا فيه الوسيط الوحيد بين الله والناس الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع (١ تي ٢: ٥).

"فَوَجَدْتُ أَمَرَّ مِنَ الْمَوْتِ الْمَرْأَةَ الَّتِي هِيَ شِبَاكٌ وَقَلْبُهَا أَشْرَاكٌ وَيَدَاهَا قُيُودٌ. الصَّالِحُ قُدَّامَ اللَّهِ يَنْجُو مِنْهَا أَمَّا الْخَاطِئُ فَيُؤْخَذُ بِهَا")ع ٢٦.(

بعد أن وصف الخطية بأنها جهالة وجنون, ها هو يصفها بامرأة منحرفة (وهو ما أفاض فيه في أمثال ٧) وهنا ثلاثي رهيب: شباك وأشراك وقيود. فالشبكة ظاهرة لكن بها طُعم يجذب السمك, وهذا يشير إلى المغريات الظاهرة وكل فنون الأزياء لإظهار مفاتن الجسد التي تحرك الشهوات الكامنة في القلب, لكن الشرك تدبير مخفي لكي يسقط فيه الرجل غير المحصن أي غير الحكيم, أما الأمر الثالث المرّ هو اليد تقبض من حديد على الفريسة.

وكم نشكر الله لأجل التقرير: أن الصالح قدام الله ينجو منها, هذا هو المولود من الله المحصن بعرش النعمة باستمرار والمتسلح بالكلمة باستمرار "لأَنَّهُ بَاطِلاً تُنْصَبُ الشَّبَكَةُ فِي عَيْنَيْ كُلِّ ذِي جَنَاحٍ" (أم ١: ١٧) وأجنحة المؤمن هي الشركة العميقة مع الرب في الصلاة وكلمة الله, والشركة مع القديسين وحضور الاجتماعات.

لكن من الناحية النبوية, المرأة الشريرة في الكتاب تشير إلى المسيحية الأسمية, والتي وصفها الرب بفمه الكريم في رؤ ٣: ٢٠ بإيزابل التي تقول أنها نبية حتى تعلّم وتغوي عبيدي أن يزنوا ويأكلوا ما ذبح للأوثان. كما يصورها أيضاً في رؤ ١٧: ١ بالزانية العظيمة الجالسة على مياه (شعوب) كثيرة, كما يصورها أيضاً في رؤ ١٨: ٢ ببابل العظيمة التي هي مسكن للشياطين ومحرس لكل روح نجس.

وعجيب انطباق الثلاث صفات المُرّة عليها, فهي شباك وقلبها أشراك ويداها قيود. فكم من اختراعات تقليدية طقسية مزيج من اليهودية والوثنية تملأ هذه الكنيسة الأسمية وهي بها تغوي النفوس للانحراف عن الرب يسوع المسيح إلى عبادة الملائكة والقديسين. أما القيود فهي واضحة في سلطان التقليد على ملايين النفوس وهنا يأتي التقرير: الصالح قدام الله ينجو منها أي الذي اغتسل بدم الحمل وأصبح فيه خليقة جديدة (رؤ ١: ٥, ٢ كو ٥: ١٧)

"أنظُرْ. هذا وَجَدْتُهُ قَالَ الْجَامِعَةُ وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً لأَجِدَ النَّتِيجَةَ. الَّتِي لَمْ تَزَلْ نَفْسِي تَطْلُبُهَا فَلَمْ أَجِدْهَا. رَجُلاً وَاحِداً بَيْنَ أَلْفٍ وَجَدْتُ. أَمَّا امْرَأَةً فَبَيْنَ كُلِّ أُولَئِكَ لَمْ أَجِدْ" (ع ٢٧, ٢٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان المخرج الوحيد من شبك وأشراك وقيود المرأة الشريرة هو الرجل الصالح قدام الله, ولهذا اجتهد الحكيم وذهب يفتش في كل وادي عن هذا الرجل الصالح الذي يريح فؤاده, فوجد فقط واحداً من ألف وهذا التعبير في العرى يُقصد به شخص لا مثيل له ولا يدانه أحد. ويرد في الوحي المقدس ثلاث مرات, مرتين في سفر أيوب وهنا الثالثة.

في أيوب ٣٣: ٢٣, ٢٤ "إِنْ وُجِدَ عِنْدَهُ مُرْسَلٌ وَسِيطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ لِيُعْلِنَ لِلإِنْسَانِ اسْتِقَامَتَهُ يَتَرَأَّفُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ أطلقه عَنِ الْهُبُوطِ إِلَى الْحُفْرَةِ قَدْ وَجَدْتُ فِدْيَةً" فهو الوسيط الوحيد الفريد الذي يمكن أن يقف في الثغرة بين الله والناس, في اللاهوت هو الابن الأزلي المعادل للآب, في الناسوت الإنسان الكامل يسوع المسيح, لذلك يقرر الآب المبارك أنه قد وجد الفدية الي تتناسب مع كل كمالات الله لذلك يمكنه أن يطلق الإنسان المذنب فلا يهبطه إلى الحفرة. ثم في أي ٩: ٢ "فَكَيْفَ يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ عِنْدَ اللهِ إِنْ شَاءَ أَنْ يُحَاجَّهُ لاَ يُجِيبُهُ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ أَلْفٍ" أي استحالة مطلقة أن يبرر الإنسان نفسه أمام الله " لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ" (رو ٣: ١٩).

فأين المخرج إذاً؟ يأتي الهتاف "وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ مَشْهُوداً لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ بِرُّ اللهِ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ" (رو ٣: ٢١, ٢٢). ففي الأولى ص ٣٣ استحالة الوساطة والفداء إلا به وفيه, وفي ص ٩ استحالة التبرير إلا به- وفيه في موته وقيامته المجيدة.

أما هنا في تقرير سليمان فقد وجد الرجل الصالح الواحد من ألف, الذي هو المخرَج الوحيد من المرأة الشريرة أي من الخطية. أليس هذا هو تقرير الكتاب كله "اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم ", "وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ .. قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أع ٤: ١٢) اما إنه لم يجد إمرأة بين ألف, يقصد لم يجد في البشر لأن هذا هو تقرير الكتاب "أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (رو ٣: ١١)

وقد ورد في العهد القديم مرات كثيرة عن الأمة اليهودية أنها مشبهة بزوجة مرتبطة بالرب يهوه الله العظيم إله آبائهم, أي أن سليمان بمنظار النبوة وجد في الرجال رجلاً واحداً بين ألف الذي هو ربنا يسوع المسيح, ولكنه عندما نظر إلى الأمة كلها المرتبطة بالله كرجلها, لم يجد أي صلاح, وهو ما يشير إليه أنه لم يجد إمرأة بين ألف. وما يُقال عن كل البشر.

"اُنْظُرْ. هَذَا وَجَدْتُ فَقَطْ أَنَّ اللَّهَ صَنَعَ الإِنْسَانَ مُسْتَقِيماً أَمَّا هُمْ فَطَلَبُوا اخْتِرَاعَاتٍ كَثِيرَةً" (ع ٢٩)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يرجع بنا الحكيم بإملاء الوحي إلى الجذور العميقة لكل ما نراه في العالم من أمور محزنة, فهو يرجع بنا أولاً إلى المنظر الجميل الرائع "وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدّاً" (تك ١: ٣١) "أَيْنَ كُنْتَ حِينَ أَسَّسْتُ الأَرْضَ.. عِنْدَمَا تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعاً وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللهِ" (أي ٣٨: ٤- ٦). والإنسان نفسه هو تاج الخليقة, المخلوق العاقل المفكر الواعي الناطق "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك ١: ٢٦).

ونرى في تك ٢ المنظر الجميل حيث وقف آدم وعبرت أمامه كل البهائم والزحافات والطيور على أجناسها, وهو بعقله الكبير يعطيها الأسماء بحكمة من فوق وبالارتباط مع الخالق. حقاً ما أروع التقرير "الله صنع الإنسان مستقيماً" فمن أين إذاً جاءت تلك الطبيعة الساقطة الرهيبة؟ واضح أنها من الشيطان نفسه, لأن أبوينا الأولين بمعصية كلمة الله سقطا في يد إبليس كسيد لهما فغرس فيهما ذات طبيعته, وبالتالي في كل الجنس البشري "ها أنا ذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بي أمي" (مز ٥١: ٥).

ليت الفلسفات المملوءة بالجهل تتعقل وترجع إلى المكتوب وتتراجع عن هذه الخرافات وهي أن الإنسان به كل بذار النبل والشرف والاستقامة, لكن البيئة والمجتمع هما العلة في ظهور كل هذه المفاسد والشرور. ما أدق تقرير الخالق إذ تجسد ووقف في وسط الناس وأعلن أنه "من الدخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة فسق قتل سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل" (مر ٧: ٢١) والخلاصة أن قلب الإنسان الفاسج هو الذي خرّب المجتمع وليس المجتمع هو الجاني على الإنسان لذلك ما أبعد الفارق في اتجاه العلاج, فالاتجاه الأعوج كله لعلاج المجتمع- جمعيات منع المسكرات ومكافحة المخدرات ومنع انحراف الأحداث, بينما العلاج الإلهي الصحيح هو استجابة الإنسان لجهاد الروح القدس للتوبة والإيمان بفداء ربنا يسوع المسيح فيصبح في المسيح خليقة جديدة ٢ كو ٥: ١٧.

أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة: وهي كل ما ينتج من الطبيعة الساقطة.

أولاً في السلوك العملي في الكلام والتصرف كلها تنطق بالانحراف عن الله: خبث ومكر وكذب ورياء.

ثانياً في العبادة باختراع طرق أرضية شيطانية, بها يوهم الإنسان نفسه أنه يرضي الله "يعلّمون تعاليم هي وصايا الناس" (مت ١٥), ".. تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين" (١ تي ٤).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثالثاً اختراعات الملذات والشهوات النجسة "يحسبون تنعم يوم لذة", "يحملون الدف والعود.. ويقولون لله أبعد عنا وبمعرفة طرقك لا نسرّ" (أي ٢١) لكن شكراً لله لأجل عمل النعمة في المفديين فصارت طلبة قلوبنا:

أولاً: الرب نفسه "اطلبوا الرب ما دام يوجد" (أش ٥٥: ٦), "اطلبوا الرب فتحيوا" (ع ٥: ٦) وكانت هذه أول طلبة لنا إذ أنار هو قلوبنا.

ثانياً: نطلب "أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لنا" (مت ٦: ٣٣)

ثالثاً: نطلب وجه الرب أي رضاه ويقين حضوره وعنايته وملء القلب بسلامه (مز ٢٧: ٨)

رابعاً: عندما نشعر بأن السلام من أي وجه سوف يتكدر نطلب السلام ونجّد في أثره (١ بط ٣).

خامساً: منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب (٢ بط ٣: ١٢).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأصحاح الثامن

"مَنْ كَالْحَكِيمِ وَمَنْ يَفْهَمُ تَفْسِيرَ أَمْرٍ؟ حِكْمَةُ الإِنْسَانِ تُنِيرُ وَجْهَهُ وَصَلاَبَةُ وَجْهِهِ تَتَغَيَّر" (ع ١)

تتميز كتابات سليمان بإبراز الحق في صورة أسئلة مباركة تجذب انتباه القارئ والسامع, فمثلاً في نشيد ٣, ٦, ٨ يشد انتباهنا بثلاثة أسئلة إلى ثلاثة مناظر للعروس لكي ترى انعكاس عمل المسيح على الصليب عليها وانطباع كمالاته فيها. وهنا يشد انتباهنا إلى الإنسان الذي بنعمة الله انتقل إلى فريق الحكماء أمام الله, أي امتلك الحكمة السماوية التي هي شخص المسيح نفسه تبارك اسمه إلى الأبد. وقد وضح سليمان بإملاء الروح القدس في أم ٤: ٧ "الْحِكْمَةُ هِيَ الرَّأْسُ فَاقْتَنِ الْحِكْمَةَ وَبِكُلِّ مُقْتَنَاكَ اقْتَنِ الْفَهْمَ"- وهذا هو قصد الروح القدس أن الإنسان بدون المسيح الحكمة الرأس هو بلا عقل "أَمَّا الرَّجُلُ فَفَارِغٌ عَدِيمُ الْفَهْمِ وَكَجَحْشِ الْفَرَا يُولَدُ الإِنْسَانُ" (أي ١١: ١٢).

وهنا يظهر سؤال سليمان على حقيقته: مَنْ بين البشر كالحكيم الذي امتلك المسيح الحكمة الأزلي؟ وهذا هو امتياز العذارى الحكيمات على الجاهلات (مت ٢٥). ومن يفهم تفسير أمر, هذه أول بركة يتميع بها الحكيم أنه يفهم أمور الله, يفهم مقاصد الله الأزلية من جهتنا في ربنا يسوع المسيح, يفهم معاملات الله معه, وما أروع ما يطلبه الرسول المغبوط للمؤمنين "لكل غني يقين الفهم" (كو ٢: ٢) أي غني في الفهم مع يقين راسخ, مثلاً قضية الخلاص التي تتخبط فيها الرياسات الدينية في المسيحية الأسمية, نراها واضحة تماماً لكل من احتمى في دم الحمل وله اليقين أنه خلاص أبدي وكامل لأن حمل الله سدد للعدل الإلهي كل مطاليبه.

البركة الثانية حكمة الإنسان تنير وجهه, ووجه الإنسان المعبر عن شخصيته أي أن شخصية المؤمن أصبحت منيرة في كل مجال يتحرك فيه "كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب" (أف ٥: ٨)

البركة الثالثة صلابة وجهه تتغير "أنزع قلب الحجر وأعطيكم قلب لحم" (حز ٣٦: ٢٦) أي الطبيعة الجديدة التي لها أحشاء المسيح وأيضاً الاستعداد القلبي للصفح.

"أَنَا أَقُولُ احْفَظْ أَمْرَ الْمَلِكِ وَذَاكَ بِسَبَبِ يَمِينِ اللَّهِ" (ع ٢).

"تَعْجَلْ إِلَى الذَّهَابِ مِنْ وَجْهِهِ لاَ تَقِفْ فِي أَمْرٍ شَاقٍّ لأَنَّهُ يَفْعَلُ كُلَّ مَا شَاءَ. حَيْثُ تَكُونُ كَلِمَةُ الْمَلِكِ فَهُنَاكَ سُلْطَان وَمَنْ يَقُولُ لَهُ مَاذَا تَفْعَلُ؟ "

يوصي الجامعة بصفته الشخصية كحكيم مختبر, أن يخضع الإنسان في ولاء كامل وأمانة صادقة للملك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ حَتَّى إِنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللهِ" (رو ١٣: ١, ٢).

" -ولا تعجل على الذهاب من وجهه"- أي لا تفكر في عصيانه أو التمرد عليه أو تدبير الشر له, ولا تقف في أمر شاق- أي احذر من أن تكون على صلة بمؤامرة ضده, لأن هذا أمر صعب عليك في نتائجه الوخيمة.

-لأنه يفعل كل ما شاء, وكلمته مقترنة بالسلطان, وله القدرة على الانتقام ولا يستطيع أحد أن يعارضه لأنه: مَنْ يقول له ماذا تفعل؟

بقيت كلمة تحتاج إلى توضيح "أحفظ أمر الملك وذلك بسبب يمين الله". قد يفهم البعض أنه ذلك القسم الذي يؤديه الملك أمام ممثلي الأمة في لحظة تتويجه وهذا حق وجميل ولكن عندما نرجع إلى الأصل نجد أن القسم هنا يعود على الله ذاته تبارك اسمه المعبود. هل الله أقسم؟ نعم! هناك في مزمور المسيا كالملك والكاهن "قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ.... أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ" (مز ١١٠: ١, ٤) يا لها إذاً كلمة عجيبة, أحفظ أمر الملك الذي أقسم له الله, فكل مقاصد الله تدور حول تمجيد ذاته الكريمة بالارتباط ببركة الإنسان, وأقنوم الابن هو الذي استطاع بتجسده وعمله الكفاري أن يحقق هذه المقاصد. وهذا مؤسس على بعد وقسم بين أقنوم الآب وأقنوم الابن وهنا يأتي السؤال: ما هو أمر هذا الملك المجيد الذي أقسم له الله؟ هذا الأمر يتجه إلى دائرتين, الأولى للخطاة "توبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر ١: ١٥)- "كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصا هذا مقداره، قد ابتدأ الرب بالتكلم به" (عب ٢: ٣), والثانية للمؤمنين "احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هين وحملي خفيف" (مت ١١: ٢٩).

"حَافِظُ الْوَصِيَّةِ لاَ يَشْعُرُ بِأَمْرٍ شَاقٍّ وَقَلْبُ الْحَكِيمِ يَعْرِفُ الْوَقْتَ وَالْحُكْمَ" (ع ٥).

حالتنا الروحية عملياً تحدد موقفنا من الكلمة, إن سلكنا بالاستقامة فإننا نفرح بالكلمة ونرى فيها الطريق الوحيد المأمون في هذا العالم ونراها مملوءة بالمواعيد المباركة لنا, ولا نرى أية صعوبة في تنفيذ كل ما يأمر به الملك المعبود "ليست أقوالي صالحة نحو من يسلك بالاستقامة" (مي ٢: ٧), "نصيب الرب قات لحفظ كلامك" (مز ١١٩: ٥٧) ولأهمية هذا الأمر بالنسبة لحالة أولاد الله في هذا العالم نرى الرسول يوحنا يربط محبة الله بحفظ وصاياه ويجعلهما أمراً واحداً "فإن هذه هي محبة الله: أن نحفظ وصاياه. ووصاياه ليست ثقيلة" (١ يو ٥: ٣). لكن إذا كان السلوك معوجاً فالكلمة لا تُحتمل لأن الإنسان سيرى فيها ضربات موجعة ونخسات منبهة لضميره. على سبيل المثال عندما طلب يهوشافاط نبياً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

للرب يتكلم بكلمة الرب كانت إجابة آخاب الشرير "بعدُ رجل واحد لسؤال الرب به ولكنني أبغضه لأنه لا يتنبأ عليّ خيراً بل شراً كل أيامه وهو ميخا بن يملة" (٢ أي ١٨: ٧).

"وقلب الحكيم يعرف الوقت والحكم": قلب المؤمن السالك باستقامة يستطيع أن يميز ما هو الوقت المناسب المعّين من إلهه لأي أمر في تفصيلات حياته, لأن الحكمة عملياً هي وضع كل شيء في مكانه الصحيح. والوقت له أهميته في حياة المؤمن الأمين كما قال رجل الله داود "في يدك آجالي" أي أوقاتي, أي إنني أخاف على هذا الوقت المعطى لي من محبتك, لذلك أسلمه لك لكي تحفظه أنت وترتبه لي بحسب حكمتك (مز ٣١: ٥) وهو ذات تحريض الرسول "مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة" (أف ٥) أي الحرص عليه بكل اجتهاد, وهو الوقت لطلب الرب (هو ١٠: ١٢) أي نطلب وجهه باستمرار لكي يحكّمنا ويعلمنا.

ووقت عمل للرب (مز ١١٩: ١٢٦) أي وقت ليُعمل فيه للرب, ووقت استيقاظ وسهر وصحو ولبس أسلحة النور (رو ١٣, ١ تس ٥: ٨).

"لأَنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ وَقْتاً وَحُكْماً" (ع ٦)

لقد رسم الرب في كامل صلاحه ومحبته وحكمته المخطط المبارك لحياة كل واحد من أولاد الله. فكان هناك وقت للآلام في حياة يوسف, لكن كان هناك وقت للرفعة والمجد, وكان هناك وقت لأليصابات لكي تظل عاقراً, لكن جاء الوقت لاستجابة الطلبة. ليتنا ننتظر الرب في ثقة وتواضع.

"لأَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ عَظِيمٌ عَلَيْهِ for the misery of man لأَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا سَيَكُونُ. لأَنَّهُ مَنْ يُخْبِرُهُ كَيْفَ يَكُونُ" (ع ٦, ٧)

لأن تعاسة الإنسان كامنة في أن يرسم لنفسه ويرتب ويخطط وهو لا يعلم كيف تصير الأمور في المستقبل, وكيف تكون الأوضاع. سر تعاسة هامان أنه رسم وخطط انتقاماً عظيماً يتناسب مع غروره بعظمة مركزه, وما أعجب الكلمة "لأنه لا يعلم ما سيكون لأنه من يخبره كيف يكون". كيف تغيّرت الأوضاع إلى تعظيم مردخاي, ويُلغي المرسوم ويُصلب هامان على ذات الخشبة التي أعدها لمردخاي. ليت كل إنسان يتعقل أمام هذه الكلمة "لأنه لا يعلم ما سيكون لأنه من يخبره كيف يكون", "لا تفتخر بالغد لأنك لا تعلم ماذا يلده يوم" (أم ٢٧: ١) "أنتم الذين لا تعرفون أمر الغد" (يع ٤: ١٤).

"لَيْسَ لإِنْسَانٍ سُلْطَانٌ عَلَى الرُّوحِ لِيُمْسِكَ الرُّوحَ وَلاَ سُلْطَانٌ عَلَى يَوْمِ الْمَوْتِ وَلاَ تَخْلِيَةٌ فِي الْحَرْبِ وَلاَ يُنَجِّي الشَّرُّ أَصْحَابَهُ" (ع ٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

-1ليس لأي إنسان سلطان أن يتحكم في طريقة خروج روحه منه لأن هذا أمر محدد من الخالق جابل روح الإنسان في داخله. واحدٌ فقط رسم لنفسه الكريمة طريقة خروجه من هذا العالم:

أولاً له المجد رسم لنفسه طريقة خروج روحه من جسده القدوس (يو ٣: ١٤, يو ١٢: ٣٢, يو ٨: ٢٨, مر ٢٢: ١٦) هو النازل من فوق في محبة مضحية ليعترض الإنسان اندفاعه الجنوني وراء أمور العالم, هو النازل من فوق ليصلب إرادة الطبيعة الساقطة (غل ٢: ٢٠, ٥: ٢٤, ٦: ١٤), هو النازل من فوق ليموت وبالموت يُبطل الخطية وكل نتائجها (٢ تي ١: ١٠) (عب ٩: ٢٦)

رسم لنفسه طريقة خروج جسده وروحه معاً بالصعود من جبل السلام.

-2ليس لأي إنسان سلطان لكي يعرف متى يموت (يو ١٢: ٢٧, ١٣: ١, ١٧: ١)

-3ليس لأي إنسان قدرة على الخروج من النزاع الذي في العالم إلا بالركض السريع إلى رئيس السلام (مز ٣٤: ١٤, ١ بط ٣: ١١).

-4ليس لأي إنسان القدرة على الخروج من مآزق وضيقات هذا العالم إلا بالركض السريع إلى صخر الدهور (أم ١٨: ١٠, أي ٣٦: ١٦, ٥: ١٨, ١ بط ٥: ٩, ١٠)

"كُلُّ هَذَا رَأَيْتُهُ إِذْ وَجَّهْتُ قَلْبِي لِكُلِّ عَمَلٍ عُمِلَ تَحْتَ الشَّمْسِ وَقْتَمَا يَتَسَلَّطُ إِنْسَانٌ عَلَى إِنْسَانٍ لِضَرَرِ نَفْسِهِ. وَهَكَذَا رَأَيْتُ أَشْرَاراً يُدْفَنُونَ وَضُمُّوا وَالَّذِينَ عَمِلُوا بِالْحَقِّ ذَهَبُوا مِنْ مَكَانِ الْقُدْسِ وَنُسُوا فِي الْمَدِينَةِ. هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ" (ع ٩, ١٠).

يتابع الحكيم التأمل في مناظر الذات البشرية الساقطة والمملوءة بالأنانية وهي مدرسة للعدو وقد غرسها في جنسنا الآدمي في لحظة السقوط في عدن, وهي ضد مدرسة الله وطبيعته تماماً التي عنوانها المحبة الباذلة المضحية بكل شيء وأغلى شيء سبيل غبطة وراحة الآخرين "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو ٣: ١٦).

لقد تأمل الحكيم في ص ٣: ١٦ في الظلم الغارق فيه العالم وهو نابع من الأنانية الساقطة كما سبقت الإشارة, وخرج بالنتيجة أن الله لا بد أن يقضي وينصف الصدّيق كما أنه يدين الشر. وتأمل بعد ذلك ص ٤: ١ في النتيجة الظاهرة في العالم نتيجة الظلم وهي دموع لا حصر لها في كل مكان. لكن هنا يصف نتيجة أخرى عجيبة للظلم وهي أن الظالم أولاً يضر نفسه. لقد ظُلم يوسف بقسوة من إخوته وكانت النتيجة تلك المواقف المفزعة التي تعرّضوا لها. لقد ظُلم دانيال من عظماء مملكة فارس وأدى ذلك إلى أكبر كارثة لهم إذ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أكلتهم الأسود هم وزوجاتهم وأولادهم. ما أرهب التقرير "يتسلط إنسان على إنسان لضرر نفسه."

لكن النتيجة الثانية التي يصل إليها في ع ١٠ وهي أن الموت وضع يده على الفريقين, الأشرار الظالمين والأبرار المظلومين, وهكذا ضمهم النسيان في هذا العالم وهذا أيضاً باطل والمفتاح في ع ٩ "تحت الشمس". ولكن عندما نرفع عيوننا إلى ذاك الذي فوق الشمس, النموذج الكامل دائماً, نراه وقد عومل في أرضنا بأقسى أنواع الظلم مع أن كل خطوة منه كان فيها الإحسان للآلاف في كل نتائج الخطية من عمل وشلل وبرص وحمى وموت, وهو وحده الذي عمل بالحق بل جاء مملوءاً نعمة وحقاً وذهب من مكان القدس أي المحاكمة أما حنّان وقيافا, الممثلين للقدس في ذلك الوقت, إلى الجلجثة خارج أورشليم. لكن هل حقاً نسي في المدينة؟ هذا ما قصده قواد الأمة, لكن ها هي لمحة من مجد قيامته جعلت الجنود الرومان حرّاس قبره كأموات, فتأتيهم فضة الرشوة مع التقرير الكاذب "قولوا أن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام" (مت ٢٨: ٤, ١٢).

هل نجح إذاً قصدهم ونُسى في المدينة؟ شكراً لله لأجل انتصاره المجيد "دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ... إِذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا" (مت ٢٨: ١٨, مر ١٦: ١٥).

وحتى الذين ارتبطوا به واحتموا في دمه الكريم وعملوا بالحق في حياتهم وحوكموا أمام المحاكم الدينية اليهودية (مكان القدس) وعاملهم العالم بذات الظلم وقبلوا أن تُبذل حياتهم لأجل اسمه, هل نسوا في المدينة؟

ها هو الانجيل في كل مكان في العالم يعلن رسائل بولس وبطرس ويوحنا وباقي كتبة الوحي في العهد الجديد والإذاعات المقدسة التي تنادي على مدى ٢٤ ساعة تردد أسماءهم جميعاً تحت راية الاسم المجيد المعبود.

"لأَنَّ الْقَضَاءَ عَلَى الْعَمَلِ الرَّدِيءِ لاَ يُجْرَى سَرِيعاً فَلِذَلِكَ قَدِ امْتَلأَ قَلْبُ بَنِي الْبَشَرِ فِيهِمْ لِفَعْلِ الشَّرِّ" (ع ١١)

لماذا يتأنى الرب كثيراً على الأعمال الرديئة التي تصدر من الأشرار, وهذا يملأهم بالتصلف والتمادي في فعل الشر؟ قد نجد الإجابة في بعض إعلانات الوحي المقدس:

أولاً- الدينونة والقضاء على الإنسان أمر غريب على قلب الله لأن طبيعته محبة. والأمر الطبيعي جريان هذه المحبة بفيض غامر نحو الإنسان الكائن العاقل المفكر الذي يستطيع أن يميز هذه المحبة ويفرح بها "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً" (١ يو ٤: ١٩).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لكن لأن الشر هو تطاول على حق الله وكرامته, لذلك لا بد من إدانته, وهذا هو الأمر الغريب على طبيعة الله "يقوم الرب.. يسخط ليفعل فعله فعلة الغريب وليعمل عمله عملة الغريب" (أش ٢٨: ٢١) لذلك نرى مشاهد تأني الله في القضاء (لو ١٣: ٨, رو ٢: ٤, أي ٣٣: ١٤).

ثانياً- طول أناة الله في توقيع القضاء كانت سبباً في خلاص كثيرين وتحولهم إلى أوان عظيمة خدمت مقاصد الله كما يقرر الرسول المغبوط "لَكِنَّنِي لِهَذَا رُحِمْتُ لِيُظْهِرَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ فِيَّ أَنَا أَوَّلاً كُلَّ أَنَاةٍ مِثَالاً لِلْعَتِيدِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ" (١ تي ١: ١٦).

ثالثاً- طول أناة الله على الأشرار تخدم مقاصده في جعل أولاده يلتصقون به أكثر فيزداد إيمانهم وتتعمق شركتهم وتتنقى حياتهم, لأن عرش النعمة هو الملاذ الوحيد لهم من الأشرار.

رابعاً- طول أناة الله على الأشرار ليغرس في قلب أولاده احتمالاً أكثر وصبراً أكمل بل يدربهم على الصلاة بلجاجة لأجل الأشرار والتأني عليهم في رجاء توبتهم وخلاصهم.

مثلاً في وليمة أستير الأولى كان في إمكانها القضاء على عدوها لكن ما أروع انتظارها لليوم التالي. كذلك كان بولس وسيلا جاءت الفرصة للقضاء على السجان عدوهم بذات سيفه بعيداً عنهم, لكن أحشاء مخلصهم التي ملأت قلوبهم "لا تفعل بنفسك شيئاً رديئاً" (أع ١٦: ٢٨).

"اَلْخَاطِئُ وَإِنْ عَمِلَ شَرّاً مِئَةَ مَرَّةٍ وَطَالَتْ أَيَّامُهُ إِلاَّ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ يَكُونُ خَيْرٌ لِلْمُتَّقِينَ اللَّهَ الَّذِينَ يَخَافُونَ قُدَّامَه" (ع ١٢)

يفترض الحكيم أن حاكماً شريراً يجري ظلماً مئة مرة, وبناء على أناة الله المقررة في ع ١١ هكذا طالت أيام شره وطغيانه, فلا يجب أن نخور ونفشل, لأن الخير في الله مضمون للذين يتقونه ويسلكون بالأمانة قدامه. وما أروع لغة اليقين "إني أعلم" التي تملأ كل أواني الوحي "إني أعلم بمن آمنت" (٢ تي ١: ١٢), "أما أنا فقد علمت أن وليي حي" (أي ١٩: ١٥) وآخر أواني الوحي يقرر ٧ مرات "نحن نعلم" (راجع رسالة يوحنا الأولى).

"وَلاَ يَكُونُ خَيْرٌ لِلشِّرِّيرِ وَكَالظِّلِّ لاَ يُطِيلُ أَيَّامَهُ لأَنَّهُ لاَ يَخْشَى قُدَّامَ اللَّهِ" (ع ١٣).

كما هو موقن بالخير لمتقي الله, هو أيضاً موقن أن الشرير لا يحصد إلا الشر الذي زرعه, لأنه هكذا أعلنت وأنذرت كلمة الله "الزارع إثماً يحصد بلية" (أم ٢٢: ٨) "لا تضلوا الله لا يُشمخ عليه فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً" (غل ٦: ٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

" -وكالظل لا يطيل أيامه" قرر في ع ١٢ أن الشرير قد تطول أيامه, لكن أحياناً كثيرة أخرى يتهور الشرير, ويكون هذا الشر ذاته سبباً في القضاء عليه "الشِّرِّيرُ تَأْخُذُهُ آثَامُهُ وَبِحِبَالِ خَطِيَّتِهِ يُمْسَكُ. إِنَّهُ يَمُوتُ مِنْ عَدَمِ الأَدَبِ وَبِفَرْطِ حُمْقِهِ يَتَهَوَّر" (أم ٥: ٢٢), "لاَ تَكُنْ شِرِّيراً كَثِيراً وَلاَ تَكُنْ جَاهِلاً. لِمَاذَا تَمُوتُ فِي غَيْرِ وَقْتِك" (جا ٧: ١٧).

والخلاصة التي يريد أن يقررها في ع ١٢, ١٣ أنه لا يوجد خير حقيقي للإنسان إلا في مخافة الرب أي التقوى التي لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة (١ تي ٤: ٨).

"يُوجَدُ بَاطِلٌ يُجْرَى عَلَى الأَرْضِ أَنْ يُوجَدَ صِدِّيقُونَ يُصِيبُهُمْ مِثْلُ عَمَلِ الأَشْرَارِ وَيُوجَدُ أَشْرَارٌ يُصِيبُهُمْ مِثْلُ عَمَلِ الصِّدِّيقِينَ فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ" (ع ١٤).

هذه ملاحظة متعبة وقد أتعبت أولاد الله في كل العصور وهي المعاملات الإلهية التي تبدو ظاهرياً بأنها متساوية, وكأنها تحدث خبط عشواء فالصديقون تنهال عليهم البلايا التي هي من نصيب الأشرار. ومن الناحية الأخرى تتهاطل العطايا على الأشرار ويكون النجاح رفيقهم. وهذا ما أتعب رجل الله آساف في بادئ الأمر- مز ٧٣: ١- ١٠, ولم يكن هناك ملاذ يهرب إليه إلا مقادس الله، حينئذ انكشفت الحقيقة "حقاً في مزالق جعلتهم أسقطتهم إلى البوار" ع ١٧، إلى أن وصل إلى الخلاصة "كحلم عند التيقظ" وكأنه يقول لكل الأجيال الأمور المتطورة كلها حلم، ومسكين وبائس من بيني حياته على الأحلام.

أما بعد أن كشفت له الحقيقة في معية الرب وفيها كل الحكمة في القيادة "برأيك تهديني" وأيضاً اليقين الكامل في وصوله للمجد "وبعد إلى مجد تأخذني"- ع ٢٤، لهذا هتف في ع ٢٥ "من لي في السماء (إلا أنت) ومعك لا أريد شيئاً في الأرض."

"فَمَدَحْتُ الْفَرَحَ لأَنَّهُ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ خَيْرٌ تَحْتَ الشَّمْسِ إِلاَّ أَنْ يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ وَيَفْرَحَ وَهَذَا يَبْقَى لَهُ فِي تَعَبِهِ مُدَّةَ أَيَّامِ حَيَاتِهِ الَّتِي يُعْطِيهِ اللَّهُ إِيَّاهَا تَحْتَ الشَّمْسِ" (ع ١٥).

ما أروع كلمة الله في قيادتها للقلب الراغب في الاستقامة، أمام هذا المنظر المتعب ظاهرياً وفيه كأن الأوضاع مقلوبة، إذ المصائب من نصيب القديس والنجاح والتوفيق في جانب الأشرار.

لذلك نرى الحكيم يأخذ منطق العقل البشري والتفكير الإنساني بدلاً من الدخول بهذه المشكلة إلى الأقداس كما عمل آساف، وهو ليس بالضرورة ما عمله سليمان نفسه كما كتب الرسول بولس اختبار رو ٧. فنرى في كلام الحكيم، طالما الأوضاع مقلوبة والأحداث بلا ضابط، فالتفكير البشري هو انتهاز كل فرصة للفرح والأكل والشرب طالما الكوارث في طريقها إلى القديس مهما دقق في سلوكه! فماذا كانت النتيجة؟ نراه يقرر أمرين محزنين جداً:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أولاً:- "لَمَّا وَجَّهْتُ قَلْبِي لأَعْرِفَ الْحِكْمَةَ وَأَنْظُرَ الْعَمَلَ الَّذِي عُمِلَ عَلَى الأَرْضِ وَأَنَّهُ نَهَاراً وَلَيْلاً لاَ يَرَى النَّوْمَ بِعَيْنَيْهِ" (ع ١٦).

أي أنه فقد كل سلام، ونهاراً وليلاً لا يرى النوم بعينيه، يا لها من حالة مُرّة للمولود المقرر له السلام من رب السلام نفسه الذي يعطي أحباءه دائماً السلام من كل وجه (٢ تس ٣: ١٦). وأما هذا الوضع فهو لأعداء الرب "لا سلام قال إلهي للأشرار" (أش ٤٨: ٢٢).

ثانياً:- "رَأَيْتُ كُلَّ عَمَلِ اللَّهِ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجِدَ الْعَمَلَ الَّذِي عُمِلَ تَحْتَ الشَّمْسِ مَهْمَا تَعِبَ الإِنْسَانُ فِي الطَّلَبِ فَلاَ يَجِدُهُ وَالْحَكِيمُ أَيْضاً وَإِنْ قَالَ بِمَعْرِفَتِهِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَجِدَهُ" (ع ١٧).

أي أنه لن يجد الحل للمشكلة مهما طلب بحسب الحكمة الإنسانية فتظل قائمة قاتمة تخيم على تفكيره تحجب عنه شمس محبة سيده ونور الشركة معه. ما أروع هتاف آساف إذ طرح المشكلة أمام الرب، وما أروع هتاف الرسول المغبوط بولس "وفي هذه كلها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا" (رو ٨: ٣٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأصحاح التاسع

"لأَنَّ هَذَا كُلَّهُ جَعَلْتُهُ فِي قَلْبِي وَامْتَحَنْتُ هَذَا كُلَّهُ: أَنَّ الصِّدِّيقِينَ وَالْحُكَمَاءَ وَأَعْمَالَهُمْ فِي يَدِ اللَّهِ. الإِنْسَانُ لاَ يَعْلَمُ حُبّاً وَلاَ بُغْضاً. الْكُلُّ أَمَامَهُمُ" (ع ١).

يستمر الحكيم في بحث المشكلة بكل فكره وبلا هوادة ليلاً ونهاراً، وكيف تكون الأوضاع كأنها مقلوبة، فالصديق يتألم والشرير ينجح. ويخرج من بحثه بنتيجة أكثر ظلاماً، وهي أنه لا يمكن معرفة من يحبه الله ومن يبغضه! وكل هذا ثمر البحث الذاتي بدون طرح المشكلة أمام الرب في الأقداس. وتأمل هادئ في نور كلمة الله كان أنهى المشكلة في الحال " حَبِيبُ الرَّبِّ يَسْكُنُ لدَيْهِ آمِناً. يَسْتُرُهُ طُول النَّهَارِ وَبَيْنَ مَنْكِبَيْهِ يبيت" (تث ٣٣: ١٢)، "اَلسَّاكِنُ فِي سِتْرِ الْعَلِيِّ فِي ظِلِّ الْقَدِيرِ يَبِيتُ" (مز ٩١: ١)، "مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الْخَائِفُ الرَّبَّ. يُعَلِّمُهُ طَرِيقاً يَخْتَارُهُ. نَفْسُهُ فِي الْخَيْرِ تَبِيتُ وَنَسْلُهُ يَرِثُ الأَرْضَ" (مز ٢٥: ١٢، ١٣)، "مَا أَعْظَمَ جُودَكَ الَّذِي ذَخَرْتَهُ لِخَائِفِيكَ وَفَعَلْتَهُ لِلْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ تُجَاهَ بَنِي الْبَشَرِ" (مز ٣١: ١٩).

لكن ما أروع الإعلان من فم ذاك الذي من عند الآب خرج وأتى إلينا فداء لنا وبراً وخلاصاً وحياة أبدية لا يسود عليها الموت. اسمعه وهو يقول "كَمَا أَحَبَّنِي الآبُ كَذَلِكَ أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا. أَثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي" (يو ١٥: ٩)، ونسمعه في صلاته العجيبة على مسمع من تلاميذه في ليلة آلامه "كانوا لك وأعطيتهم لي.. وأحببتهم كما أحببتني" (يو١٧: ٦, ٢٣).

لهذا يكشف الرسول المغبوط أن كل ما يتعرض له أولاد الله من ضيق وآلام ينبغي أن نتأمل ذاك القدوس الذي في محبته احتمل ما لا يوصف سواء من البشر أو من العدل الإلهي, وفي الحال نهتف من أعماق القلب "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ" (رو ٨: ٢٨).

"الْكُلُّ عَلَى مَا لِلْكُلِّ. حَادِثَةٌ وَاحِدَةٌ لِلصِّدِّيقِ وَلِلشِّرِّيرِ لِلصَّالِحِ وَلِلطَّاهِرِ وَلِلنَّجِسِ. لِلذَّابِحِ وَلِلَّذِي لاَ يَذْبَحُ. كَالصَّالِحِ الْخَاطِئُ. الْحَالِفُ كَالَّذِي يَخَافُ الْحَلْفَ" (ع ٢).

بداءة هذا العدد تُقرأ هكذا "كل الأشياء تأتي متشابهة على الكل" كان البحث في العدد السابق صعوبة معرفة من هم محبوبو الله أمام الأحداث الجارية تحت الشمس. وقد توضح لنا أن محبة الله هي الوسادة المريحة لهم والمنعشة لنفوسهم وخاصة بعد ظهور ابن محبة الآب وإعلانه عن هذه المحبة يبذل حياته كفارة لأجلنا.

لكن في هذا العدد ينتقل الحكيم إلى نقطة أخرى وهي أنه أما الأحداث الجارية للبشر تحت الشمس لا يمكن إدراك ما هي بركة التعبد للرب والسجود له وتوقير اسمه. فالبلايا تأتي للصديق الصالح الطاهر الذي يقدم ذبائح للرب بكل مواظبة، كما يوقر الاسم الكريم فيخشى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الحلف. كما أنها تأتي للشرير النجس الذي لا يعرف معنى الذبائح ويستهين باسم الرب ويحلف به باطلاً! لكن كأي مشكلة لا حل لها إلا عند قدمي الرب في الكلمة:

أولاً: هل مقاصد العدو التي تريد أن تبتلع القديس الأمين للرب وتمحوه عن الأرض، هل يستطيع أن يُنزل بلاياه عليه بلا ضابط؟ هل هذا القديس ألعوبة في يد الفخاخ التي يخططها العدو؟ هل الظروف تلعب بالقديس، تجذبه هنا وتطرحه هناك؟:

هلم بنا إلى نور محضر الرب في كلمته المنيرة "فتح كلامك ينير يعقّل الجهال" (مز ١١٩: ١٣٠). فنجد في أقدم سفر في الكتاب المقدس في الأصحاح الأول من سفر أيوب، نرى القديس الأمين للرب الرجل الكامل.. وبكل مواظبة كان يقدم المحرقات والذبائح يومياً، وإذا بالعدو يضع نظره عليه، ويتحرّق تلهفاً لكي يمحوه عن الأرض. فيأتي إلى الرب، والرب يرى ما في قلبه "هل جعلت قلبك على عبدي أيوب؟"- فتأتي الشهادة من فم العدو "أليس أنك سيّجت حوله وحول بيته وحول كل ما له من ناحية؟ باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه في الأرض؟" (أي ١: ٨، ١٠) فجاءت الساعة التي فكر الرب ليتزكى فيها إيمان هذا القديس، ويكون مثلاً للصبر في كل الكتاب المقدس (يع ٥: ١١) فيخرج الأمر من فم الرب بالحساب الدقيق "هوذا كل ما له في يدك وإنما إليه لا تمد يدك" (أي ١: ١٢).

ثانياً: هل في مشهد فوضى العالم وتشويشه والسهام الطائشة الناتجة من تهور الإنسان هل هناك ضبط وحماية كافية للقديس من هذا التهور والجنون؟ نعود إلى المرجع الأمين في ٢ أخ ١٨: ٢٨- حادثة عجيبة، القديس يهوشافاط ملك يهوذا في غفلة يوجد في ارتباط مع آخاب الشرير ملك إسرائيل. وف خبث ومكر يدخل آخاب متنكراً إلى المعركة ضد آرام في الوقت الذي يطلب من يهوشافاط أن يدخل المعركة لابساً الثياب الملكية. وتصدر الأوامر من ملك أرام إلى ضباطه وجنوده أن تكون غايتهم الوحيدة قتل ملك إسرائيل. وما كان في ذهن آخاب تم فعلاً، إذ التفوا حول يهوشافاط ظانين أنه هو ملك إسرائيل، لكن ما أروع اليد القديرة الحافظة التي يستحيل أن يفلت الزمام منها، إذ مكتوب أنه صرخ والرب ساعده وحوّلهم الله عنه .

لكن القصد الإلهي لا يقف عند هذا الحد، فإذا بسهم طائش غير متعمد يقذفه أحد جنود أرام! فمن يتحكم في هذا السهم الطائش؟ هنا أيضاً يد القدير تتحكم ويُحمل إلى ما بين أوصال درع آخاب في عمق تنكره. وذلك لكي تتم نبوة إيليا وهي أن الكلاب التي لحست دم نابوت القديس شهيد الحق، هي ذاتها التي تلحس دم آخاب مهما تنكر زتحفظ لنفسه. حتى وإن جعل يهوشافاط هو الظاهر في الصورة.

ما أمجد إلهنا "هو حكيم القلب وشديد القوة من تصلّب عليه فسلم" (أي ٩: ٤) لذلك يقرر المرنم "لا تخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير في النهار ولا من وبأ يسلك في الدجى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولا من هلاك يفسد في الظهيرة يسقط عن جانبك ألف وربوات عن يمينك. إليك لا يقرب" (مز ٩١: ٥- ٨) إذاً لا مخططات العدو الموجهة حتماً ولا طيش الإنسان وجنونه وتهوره، يمكن أن يفلت من يد الرب. إذاً ليس العابد الملتصق بالرب كذاك المتجاهل إلهه، ليس الذي يوقر الاسم الكريم، كمن يستهزئ به "يذخر معونة للمستقيمين. هو مجن للسالكين بالكمال" (أم ٢: ٧)

" هَذَا أَشَرُّ كُلِّ مَا عُمِلَ تَحْتَ الشَّمْسِ: أَنَّ حَادِثَةً وَاحِدَةً لِلْجَمِيعِ. وَأَيْضاً قَلْبُ بَنِي الْبَشَرِ مَلآنُ مِنَ الشَّرِّ وَالْحَمَاقَةُ فِي قَلْبِهِمْ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَبَعْدَ ذَلِكَ يَذْهَبُونَ إِلَى الأَمْوَاتِ" (ع ٣).

ينتقل الحكيم إلى أمر آخر مشترك لكل البشر وهو الموت. في ع ١، ٢ كان تأمله في البلايا والخسائر التي تصيب الكل قديسين وأشراراً وجعلته يتحير: أين هم محبوبو الله وما هي بركة مخافة الرب وعبادته؟، لكن هنا يتأمل في ذلك الحادث الذي ينهي حياة الكل وهو أمر مقرر لا محالة "وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" (رو ٥: ١٢) "وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ" (عب ٩: ٢٧)

ومع أنه أمر مقرر ويعترف به الكل، لكن ما أشر الجامعة أن البشر بالإجماع يتجاهلونه، وبكل وسيلة يبعدونه عن أذهانهم "الَّذِينَ يَتَّكِلُونَ عَلَى ثَرْوَتِهِمْ وَبِكَثْرَةِ غِنَاهُمْ يَفْتَخِرُونَ بَاطِنُهُمْ أَنَّ بُيُوتَهُمْ إِلَى الأَبَدِ مَسَاكِنَهُمْ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ" (مز ٤٩: ١١). وكما قال الغني ".. أقول لنفسي لكِ خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة" فجاءه الصوت ".. يا غبي هذه الليلة تُطلب نفسك منك" (لو ١٢: ١٦). وهنا يأتي السؤال لماذا يتجاهل البشر هذه الحقيقة المقررة وتملأ المشهد بلا توقف ليلاً ونهاراً؟:

أولاً: لأن الموت له شوكة التي هي الخطية (١ كو ١٥: ٥٦) وبدون الفداء الإلهي والغفران تظل هذه الشوكة مزعجة مقلقة للإنسان، ولكن بتمتع النفس بالغفران على أساس الفداء يتغير الموقف ويصبح الموت خادماً للمؤمن "لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح" (في ١: ٢١- قارن ١٨: ١٤، أش ٤٨: ٢٢ مع ٤٤: ٢٢؛ لو ٢: ٢٩؛ ١ كو ٣: ٢٢).

ثانياً: لأن الموت سيُنهي كل آماله ومخططاته وسعيه ورجاءه وأنشطته هنا على الأرض التي هي كل شيء له لأنه من الأرض ويسعى للأرض وكل رجائه في الأرض.

ثالثاً: لأن الموت سيفقده كنزه العظيم الذي تعب فيه هنا على الأرض، وهو الكنز الوحيد له لأنه لا يعرف شيئاً عن كنوز السماء. فهو لا يتصور أنه في لحظة يفقد كل ما تعب فيه هنا، كل ما جاهد لأجله، كل ما عصر فيه ذهنه. لذلك تحذير الرب لأحبائه "لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ... لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضاً" (مت ٦: ١٩)" .

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"لأَنَّهُ مَنْ يُسْتَثْنَى؟ لِكُلِّ الأَحْيَاءِ يُوجَدُ رَجَاءٌ فَإِنَّ الْكَلْبَ الْحَيَّ خَيْرٌ مِنَ الأَسَدِ الْمَيِّتِ" (ع ٤).

هنا ينّبر الحكيم على السبب الآخر الدافع للناس لكي يتجاهلوا حقيقة الموت وهو الرجاء الذي وضعه العدو أمام البشر في الحياة هنا على الأرض، فيعيش الإنسان بعيداً عن المسيح وكل آماله منحصرة في الأرض فيشبه الكلب الحي (الحيوان المكتوب عنه إنه يعود إلى قيئه- ٢ بط ٢: ٢٢) وهو في نظر هؤلاء الناس خيرٌ من الأسد الميت. ما أتعس هذا الرجاء، فالكلب مهما عاش سيظل كما هو، لن يتحول في يوم من الأيام إلى حمل طاهر يشق الظلف ويجتر (لا ١١)، لكن إذ يظهر في المشهد رئيس الحياة ورأس الخليقة الجديدة فإنه يهب للإنسان الميت بالذنوب والخطايا المنفصل عن الله، حياة أبدية، ويعطيه طبيعة جديدة طاهرة مقدسة "خليقة جديدة في المسيح يسوع" (٢ كو ٥: ١٧). وهكذا يتحول القلب إلى الرجاء الحي، الرجاء الصالح، الرجاء المبارك.

"لأَنَّ الأَحْيَاءَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ سَيَمُوتُونَ أَمَّا الْمَوْتَى فَلاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَيْسَ لَهُمْ أَجْرٌ بَعْدُ لأَنَّ ذِكْرَهُمْ نُسِيَ. وَمَحَبَّتُهُمْ وَبُغْضَتُهُمْ وَحَسَدُهُمْ هَلَكَتْ مُنْذُ زَمَانٍ وَلاَ نَصِيبَ لَهُمْ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ فِي كُلِّ مَا عُمِلَ تَحْتَ الشَّمْسِ" (ع ٥، ٦).

في هذين العددين تتوضح دائرة الجهل تحت الشمس، وهو ماذا بعد الموت. وفي إعلان العهد القديم كان النور محدوداً بخصوص هذا الأمر:

أولاً: كانت أفكارهم أن الحمد والتسبيح للرب يتوقف بانتهاء حياة الصديق " لأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمَوْتِ ذِكْرُكَ (ذكر الرب) فِي الْهَاوِيَةِ في القبر مَنْ يَحْمَدُكَ" (مز ٦: ٥)، "لَيْسَ الأَمْوَاتُ يُسَبِّحُونَ الرَّبَّ وَلاَ مَنْ يَنْحَدِرُ إِلَى أَرْضِ السُّكُوتِ" (مز ١١٥: ١٧)

ثانياً: يتوقف رجاؤهم في أمانة الله "لأَنَّ الْهَاوِيَةَ لاَ تَحْمَدُكَ، الْمَوْتُ لاَ يُسَبِّحُكَ لاَ يَرْجُو الْهَابِطُونَ إِلَى الْجُبِّ أَمَانَتَكَ" (أش ٣٨: ١٨)

ثالثاً: يتوقف تفكيرهم (جا ٩: ٥)

رابعاً:تموت عواطفهم (جا ٩: ٦)

لكن بظهور الله في الجسد جاء النور الكامل بأن الموت أو الرقاد خاص بالجسد وليس بالروح والنفس وهذا يعني الوجود الواعي وعياً كاملاً بعد الموت لنفوس الأبرار في الفردوس ولنفوس الأشرار في العذاب في هاوية الجحيم. وهذه الحقيقة توضحت تماماً بفم الرب نفسه في قصة الغني ولعازر- لو ١٦:

أولاً: الملائكة حملت روح لعازر إلى حضن إبراهيم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثانياً: تقرير إبراهيم أن لعازر يتعزى في الوقت الذي فيه يتعذب الغني.

ثالثاً: إبراهيم الذي قد رقد من آلاف السنين يتكلم بوعي كامل وفهم حقيقي لذات فكر الرب ومخططه الكريم معلناً:

- أنه لا علاج ولا تخفيف مطلقاً لحالة المرار التي يذهب إليها كل غير مولود من الله بعد الموت.
- كما أنه لا يمكن تكدير نفس القديس بعد رقاده بإرساله إلى الجحيم ليرى ويسمع الأمور المرعبة هناك.
- كما أنه لا يمكن تكدير نفس المؤمن بإرساله إلى العالم مرة أخرى.
- وأن أعظم المعجزات، قيامة ميت من الأموات ثم ذهابه للناس ليكرز لهم لن يخلّص واحداً بكرازته طالما الكتاب المقدس مرفوض.

ما أروع الكلمة "عندهم موسى والأنبياء"، "من ازدرى بالكلمة يخرب نفسه" (أم ١٣: ١٣)- أي أنه لا وسيلة لخلاص الإنسان الأبدي قبل موته إلا بقبوله كلمة الله في القلب "إذاً الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله" (رو ١٠: ١٧).

رابعاً: تصريح الرب في لو ٢٠: ١٤ أن إبراهيم وإسحق ويعقوب أحياء عند الله أي أنهم بأرواحهم ونفوسهم في وعي كامل أمام الله في الفردوس.

خامساً: تصريح الرب بفمه الكريم للّص التائب أنه في ذات اليوم سيكون معه في الفردوس، أي سيتمتع بوعي كامل بالمسيح في الفردوس (لو ٢٣: ٤٣).

سادساً: تصريح الرسول "أننا نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب" (٢ كو ٥: ٦) وأيضاً لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح" (في ١: ٢١).

سابعاً: تصريح الرسول عن أرواح المؤمنين الذين رقدوا "أرواح أبرار مكملين" (عب ١٢: ٢٣) أي في كمال الإدراك والوعي والتمتع.

"اِذْهَبْ كُلْ خُبْزَكَ بِفَرَحٍ وَاشْرَبْ خَمْرَكَ بِقَلْبٍ طَيِّبٍ لأَنَّ اللَّهَ مُنْذُ زَمَانٍ قَدْ رَضِيَ عَمَلَكَ" (ع ٧)

لكل تعليم قاعدة يرتكز عليها، فتعليم الكتاب أن ترجع النفس للرب فيحررها من الغرق في الشهوات وهكذا تحيا لإرضائه هو، "ناموس الرب كامل يرد النفس (أي يحولها رجوعاً للرب)" (مز ١٩: ٧) "لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضية أمامك يا رب صخرتي ووليّ"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(مز ١٩: ١٤)- هذه هي قاعدة تعليم الوحي المقدس، لكن هناك المدرسة الأخرى الرهيبة، وهي ما أشار إليها الحكيم ع ٤، ٥، ٦ التي تنادي بأن كل الرجاء فقط في هذه الحياة. إذ أن الموتى يفقدون الوعي والإدراك، وهو كما توضح جهل عميق. فمن هذا المنطلق وبناء على هذا التعليم الخبيث يسجل الحكيم بإملاء الروح القدس، ما ينبع من هذه المدرسة، وهو السعي وراء الملذات في هذه الحياة، وواضح فيها هذه العناصر الرهيبة:

أولاً- كل خبزك بفرح، التمتع بالأطعمة والفرح بها، بينما تعليم الكتاب أنن نتقبل الأطعمة من معطيها لنا- إلهنا المحب- بالشكر له "وَهُوَ يَفْعَلُ خَيْراً يُعْطِينَا مِنَ السَّمَاءِ أَمْطَاراً وَأَزْمِنَةً مُثْمِرَةً وَيَمْلأُ قُلُوبَنَا طَعَاماً وَسُرُوراً" (أع ١٤: ١٧)، "وَلَيْسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلاً وَشُرْباً بَلْ هُوَ بِرٌّ وَسَلاَمٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ" (رو ١٤: ١٧).

ثانياً- اشرب خمرك بقلب طيب، لا غرابة في هذا التحريض، طالما المدرسة هي التمتع بأكبر قسط من الملذات في هذه الحياة، لأنها هي كل شيء للإنسان ولا تفكير في الأبدية، والروح والنفس ذاهبتان إلى انعدام الوعي والإدراك!! لكن لنسمع تعليم الكتاب من جهة الخمر:

" (1)لَيْسَ لِلْمُلُوكِ.. أَنْ يَشْرَبُوا خَمْراً وَلاَ لِلْعُظَمَاءِ الْمُسْكِرُ لِئَلاَّ يَشْرَبُوا وَيَنْسُوا الْمَفْرُوضَ وَيُغَيِّرُوا حُجَّةَ كُلِّ بَنِي الْمَذَلَّةِ" (أم ٣١: ٤). إذاً الكتاب المقدس يعلم بأن الخمر تفقد الإنسان الوعي الصحيح بما تفرضه مبادئ كلمة الحق المستقيمة بل تجعله ينساها تماماً وهكذا تكون الأحكام معوّجة.

" (2)لِمَنِ الْوَيْلُ لِمَنِ الشَّقَاوَةُ لِمَنِ الْمُخَاصَمَاتُ لِمَنِ الْكَرْبُ لِمَنِ الْجُرُوحُ بِلاَ سَبَبٍ لِمَنِ إِزْمِهْرَارُ الْعَيْنَيْنِ لِلَّذِينَ يُدْمِنُونَ الْخَمْرَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ فِي طَلَبِ الشَّرَابِ الْمَمْزُوجِ" (أم ٢٣: ٢٩) .

وهنا نرى تحذير الكتاب من ١٢ نتيجة مدمرة، نفسية جسدية عقلية اجتماعية وأول دائرة هي البيت نفسه، وكل هذا تحت راية عبودية مُرّة.

" (3)لْمُخْتَرِعُونَ لأَنْفُسِهِمْ آلاَتِ الْغِنَاءِ... الشَّارِبُونَ مِنْ كُؤُوسِ الْخَمْرِ وَالَّذِينَ يَدَّهِنُونَ بِأَفْضَلِ الأطياب... لِذَلِكَ الآنَ يُسْبَوْنَ فِي أَوَّلِ الْمَسْبِيِّينَ" (عا ٦: ٥، ٦)

(4)في شريعة النذير- سفر العدد ص ٦- النهي القطعي لكل عنب مخمر من البذرة إلى القشرة، وواضح أن كل مؤمن حقيقي في العهد الجديد هو نذير لله بربنا يسوع المسيح "بذل نفسه لأجلنا ليطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة" (تي ٢: ١٣).

" (5)لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح" (أف ٥: ١٩).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثالثاً- لأن الله منذ زمان قد رضي عملك

هذا هو كمال الضلال، وأول مخترع لمدرسة إرضاء الله بعمل يعمله الإنسان، وهو أول قاتل أي قايين الذي رفض الاحتماء في دم الذبيحة، مع أنه كان واضحاً أن الذبيحة هي الطريق الوحيد المرسوم من الله لكي يُقبل الإنسان أمام الله- "إن أحسنت أفلا رفع وإن لم تحسن فعند الباب خطية (ذبيحة خطية) رابضة.." (تك ٤: ٧).

وواضح من سفر اللاويين أن مقدم الذبيحة ليس أمامه إلا تلك الكلمة الحلوة "للرضى عنه"، وما أجمل تكرار الكلمة "رائحة سرور للرب" ١٧ مرة في السبعة أصحاحات الأولى من السفر. وأول عمل لنوح بعد خروجه من الفلك "قدم محرقات... فتنسم الرب رائحة الرضى" (تك ٨: ٢١).

ثم النور الواضح في العهد الجديد "ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد" (أف ٢: ٩) "لا بأعمال بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا" (تي ٣: ٧).

"لِتَكُنْ ثِيَابُكَ فِي كُلِّ حِينٍ بَيْضَاءَ وَلاَ يُعْوِزْ رَأْسَكَ الدُّهْنُ" (ع ٨).

واضح الارتباط: فالثياب البيضاء تعبر عن الفرح والدهن هو أطايب العالم ومعها التلذذ بالرغبات الجسدية. لكن ما أروع المعنى للمؤمن الروحي الذي ينظر إلى رئيس الإيمان، فهو يحرص باستمرار على نقاوة السلوك وطهارة الخطوات والكلمات المعبر عنها بالثياب البيضاء وكل هذا نابع من الامتلاء بالروح القدس، ولا يعوز رأسك الدهن.

"اِلْتَذَّ عَيْشاً مَعَ الْمَرْأَةِ الَّتِي أَحْبَبْتَهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاةِ بَاطِلِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ إِيَّاهَا تَحْتَ الشَّمْسِ كُلَّ أَيَّامِ بَاطِلِكَ لأَنَّ ذَلِكَ نَصِيبُكَ فِي الْحَيَاةِ وَفِي تَعَبِكَ الَّذِي تَتْعَبُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ" (ع ٩).

لا زالت القاعدة الموضحة في ع ٤، ٥، ٦ هي التي تملأ المشهد، فلا وعي ولا إدراك ولا تمتع إلا في هذه الحياة. لكن شكراً للرب لأجل توضيح الكتاب والّرد على هذه الجهالات "برأيك تهديني وبعد على مجد تأخذني" أي أن رجاءه هو التمتع بالمجد في السماء مع إلهه "من لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً في الأرض" لذلك يحتقر ويدوس كل تمتعات الأرض (مز ٧٣: ٢٤، ٢٥).

"لأن ذلك نصيبك في الحياة"- ما أعمق الجهل، لكن ما أسمى تقرير أولاد الله "نصيبي هو الرب قالت نفسي من أجل ذلك أرجوه" (مرا ٣: ٢٤)، "نصيبي الرب قلت لحفظ كلامك" (مز ١١٩: ٥٧)، "اختارت مريم النصيب الصالح الذي لن ينزع منها" (لو ١٠: ٤٢).

"كُلُّ مَا تَجِدُهُ يَدُكَ لِتَفْعَلَهُ فَافْعَلْهُ بِقُوَّتِكَ لأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ وَلاَ اخْتِرَاعٍ وَلاَ مَعْرِفَةٍ وَلاَ حِكْمَةٍ فِي الْهَاوِيَةِ الَّتِي أَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَيْهَا" (ع ١٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يا له من تهور ناتج من ظلام الرؤيا بل انعدامها، فالأبدية عند قدمي صاحبها (أش ٩: ٧، ار ١٠: ١٠) هي الرؤيا الوحيدة الصادقة المنيرة لذلك نقرأ في أم ٢٩: ٨ "بلا رؤيا يجمع الشعب" أي أن سر التعقل هو الرؤيا الحقيقية النى من الله، التي تضع القلب أمام الأبدية وأمام صاحبها الذي بيده نسمة حياة كل إنسان "قد جمح إسرائيل كبقرة جامحة" وما هو السبب؟ "هلك شعبي من عدم المعرفة" (هو ٤: ٦، ١٦) لذلك نرى هنا الاندفاع "كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك"- أين التعقل وانتظار الرب "من قِبل الرب تتثبت خطوات الإنسان وفي طريقه يُسرّ" (مز ٣٧: ٢٣) "تفكرت ف طرقي ورددت قدمي إلى شهاداتك" (مز ١١٩: ٥٩)

مقدمة لنهاية الأصحاح التاسع ع ١١- ١٨

هل يُترك المنظر القاتم والظلام يغشي الأذهان بهذه الكيفية الرهيبة؟ حاشا، ها هي الأعداد التالية تضع البشر: أولاً أمام الحقيقة لا الخيال، ثانياً أمام الأبدية لا الزمان. ثالثاً أمام الله ويده الكريمة المستقيمة بدلاً من الإنسان ويده الملتوية، لذلك نرى في هذه الأعداد هذه اليد الكريمة القديرة في ثلاثة مناظر.

"فَعُدْتُ وَرَأَيْتُ تَحْتَ الشَّمْسِ أَنَّ السَّعْيَ لَيْسَ لِلْخَفِيفِ وَلاَ الْحَرْبَ لِلأَقْوِيَاءِ وَلاَ الْخُبْزَ لِلْحُكَمَاءِ وَلاَ الْغِنَى لِلْفُهَمَاءِ وَلاَ النِّعْمَةَ لِذَوِي الْمَعْرِفَةِ لأَنَّهُ الْوَقْتُ وَالْعَرَضُ يُلاَقِيَانِهِمْ كَافَّة" (ع ١١).

هذا هو المنظر الأول، اليد الكريمة القديرة وحدها لها السلطان على كل شيء وهي المحركة- دون أن تُرى- وهي الضابطة وتتدخل في الوقت المعيّن بطريقة مذهلة لتحقيق المقاصد العالية المجيدة.

أولاً: السعي ليس للخفيف. من المعروف أن الذي يفوز في السباق صاحب القدرة على الجري أي أن له قدمان خفيفتان، لكن عجباً في مواقف معينة لقصد وحكمة وخطة إلهية نرى الموقف يتغير، على سبيل المثال، كان هناك سباق في اختيار ملكة بدلاً من الملكة المعزولة وشتى (أس ١) ووقع الاختيار على سبعة فتيات عذارى جميلات من أعلى عائلات فارس، فقط واحدة منهن يتيمة الأبوين من شعب يهود المسبي في مملكة فارس. وهنا يأتي السؤال: كيف تدخل هذه في مثل هذه المجال؟ ليس إلا اليد القديرة فمن يا ترى يفوز في هذه الجولة العالية التي تتجه إليها كل أنظار مملكة فارس التي كانت تحكم العالم في ذلك الوقت؟ عجباً! هي تلك اليتيمة الفقيرة أستير التي ليس لها أي مؤهل كالباقيات سوى جمال أُعطى لها من الخالق مُبدع الكون، شكراً لك يا رب. إذاً السعي ليس للخفيف.

قِس على ذلك فوز يعقوب بالبكورية مع أنه الثاني الضعيف وليس الأول الأقوى عيسو.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثانياً:- "ولا الحرب للأقوياء"، هنا أيضاً مبدأ مقرر، الأقوى هو الذي يفوز في الحرب، لكن عجباً ما أكثر مشاهد الكتاب كان الانتصار فيها من نصيب الضعيف بل مَنْ لا قوة له. ففي مشهد تحدي جليات الفلسطينين القائد المحنك رجل الحرب من صباه والمسلح من أسفل قدميه إلى رأسه، لكن ما أروع دخول داود الغلام بمقلاعه ويرمي الحجر فيستقر في جبهة جليات الجبار، وإذ يسقط على الأرض يركض داود وسيف جليات يقطع رأس ذلك المجدف على اسم الله الحي. قِس على ذلك انتصار يشوع على جبابرة عماليق، وانتصارات جدعون ويفتاح وصموئيل ويهوشافاط لكن دائماً القمة والمقياس الكامل في رب داود، ربنا يسوع المسيح إذ دخل إلى معركة الصليب أمام رئيس هذا العالم وكل رياساته وسلاطينه فجرّد الرياسات والسلاطين وأشهرهم جهاراً ظافراً بهم في الصليب، وأباد بالموت رئيسهم الذي له سلطان الموت. شكراً لك يا رب من كل القلب.

ثالثاً- "ولا الخبز للحكماء ولا الغنى للفهماء ولا النعمة لذوي المعرفة". هنا يأخذنا الروح القدس إلى قلب الكتاب المقدس فنرى قصد الله أن يسعد الإنسان بالخبز الحقيقي والغنى الحقيقي والنعمة الحقيقية، وهنا تبطل الحكمة البشرية والفهم والمعرفة الإنسانية، ولا يحصل على هذا الثلاثي العظيم الأبدي إلا من يجيء متضعاً منكسراً كطفل أمام الله عند قدمي صانع الفداء وصانع الخلاص ربنا يسوع المسيح- هنا فقط يحصل الإنسان الخاطئ على الخبز الحقيقي، خبز الله النازل من السماء الواهب حياة للعالم. وأيضاً يحصل على الغنى الحقيقي الدائم "عندي الغنى والكرامة قنية فاخرة وحظ" (أم ٨: ١٧)، "لِي أَنَا أَصْغَرَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ أُعْطِيَتْ هَذِهِ النِّعْمَةُ أَنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ الأُمَمِ بِغِنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لاَ يُسْتَقْصَى" (أف ٣: ٨).

"لا النعمة لذوي المعرفة" "وَٱلْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعاً أَخَذْنَا وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ" (١ يو ١: ١٤).

"لأنه الوقت والعَرَضُ (but time and chance) يلاقينهم كافة" أي أن الفريق الذي يحصل على تأييد اليد القديرة يفوز في السباق وفي الحرب، والفريق الآخر له ذات الفرصة للحصول على بركة يد القدير!

إذاً ما الذي ميّز فريقاً على فريق؟ هنا يجيب الوحي "يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (١ بط ٥: ٥، يع ٤: ٦)

هلم بنا على المنظر الثاني لليد الكريمة القديرة في ع ١٢:

"لأَنَّ الإِنْسَانَ أَيْضاً لاَ يَعْرِفُ وَقْتَهُ كَالأَسْمَاكِ الَّتِي تُؤْخَذُ بِشَبَكَةٍ مُهْلِكَةٍ وَكَالْعَصَافِيرِ الَّتِي تُؤْخَذُ بِالشَّرَكِ كَذَلِكَ تُقْتَنَصُ بَنُو الْبَشَرِ فِي وَقْتِ شَرٍّ إِذْ يَقَعُ عَلَيْهِمْ بَغْتَةً" (ع ١٢).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإنسان مع كل ما أُعطيَ له من الله، من فهم وإدراك لكن أُخفى عنه هذا الثلاثي الخطير وهو: متى، وكيف، وأين تنتهي حياته؟ وذلك لحكمة إلهية، لكي يتعقل الإنسان ويعلم أنه غريب وضيف على هذه الأرض ويستعد للقاء إلهه (عا ٤: ١٢). وما أكثر النداءات الإلهية في مل الكتاب التي تدعو الإنسان لكي يتصالح مع الله الآن لأنه "لا يعرف وقته" كما يقول الجامعة هنا في ع ١٢ "ولا يعلم أمر الغد" (أم ٢٧: ١، يع ٤: ١٤) وحياته ليست إلا بخاراً وغباراً وأشباراً (مز ٣٩، ٩٠).

لكن ما أروع التصوير: فالأسماك تسبح في المياه وفجأة تؤخذ بالشبكة المباغتة والإنسان أيضاً في تيار مشغوليات هذه العالم ومباهجه وملذاته يسبح، وفجأة يؤخذ بشبكة الموت. ولكي نكمل الصورة نراه كالعصافير التي ترتفع عالياً وفجأة تؤخذ بالشرك، هكذا الإنسان في مل تصوّرات قلبه يرتفع متشامخاً وفجأة يُقطع.

ليت كل نفس تتعقل أمام الأبدية التي لا نهاية لها وترجع للرب الآن فتحصل على الخلاص من المخلّص الوحيد الذي ليس بأحد غيره الخلاص- ربنا يسوع المسيح (أع ٤: ١٢).

"هَذِهِ الْحِكْمَةُ رَأَيْتُهَا أَيْضاً تَحْتَ الشَّمْسِ وَهِيَ عَظِيمَةٌ عِنْدِي. مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ فِيهَا أُنَاسٌ قَلِيلُونَ فَجَاءَ عَلَيْهَا مَلِكٌ عَظِيمٌ وَحَاصَرَهَا وَبَنَى عَلَيْهَا أَبْرَاجاً عَظِيمَةً. وَوُجِدَ فِيهَا رَجُلٌ مِسْكِينٌ حَكِيمٌ فَنَجَّى هُوَ الْمَدِينَةَ بِحِكْمَتِهِ وَمَا أَحَدٌ ذَكَرَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الْمِسْكِينَ" (ع ١٣- ١٥)

هنا نرى اليد الكريمة القديرة في المنظر الثالث وهي تدبر العلاج الحقيقي لمشكلة الإنسان، أي الفداء. لذلك في هذه المرة يقرر الحكيم هذه الكلمة الهامة "وهي عظيمة عندي" نعم. وهل هناك عظمة نظير ذاك الذي ليس لعظمته استقصاء، يأتي إلينا لكي يصنع بنفسه تطهيراً لخطايانا.

وهذه المدينة ليست إلا كوكبنا أي الكرة الأرضية التي هي فعلاً أمام الكواكب الأخرى ليست إلا شيئاً صغيراً لا يُذكر. ما أروع كلمة الله وما أعجبها! فالطائرات تطير فوق الكرة الأرضية ساعات بل أيام لتعلن عظمة هذا الكوكب ومدى أبعاده، لكن الأبحاث الفلكية أثبتت أن الكرة الأرضية لا شيء أمام المجرّات الفلكية الأخرى.

ما أروع تقرير الكلمة "مدينة صغيرة" ثم "فيها أناس قليلون"، وهذه هي قصة أبوينا الأولين حيث لم يكن على كوكبنا إلا هما فقط.

وهنا يظهر في المشهد ذلك المخرّب الأكبر- إبليس، الذي في تاريخه كان ملاكاً عظيماً، لذلك يقول عنه "ملك عظيم" وبغوايته لحواء وسقوطها جذبت رأسها ورجلها وراءها. وهكذا وضع ذلك العدو يده على كل العائلة البشرية ممثلة في رأسها الأول آدم. لذلك يأتي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذا التقرير من فم السيد نفسه له كل المجد "أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا" (يو ٨: ٤٤)

"وحاصرها وبنى عليها أبراجاً عظيمة:"

هناك برج المكاسب والاندفاع في الجري وراء المال مع استحالة الشبع "مَنْ يُحِبُّ الْفِضَّةَ لاَ يَشْبَعُ مِنَ الْفِضَّةِ وَمَنْ يُحِبُّ الثَّرْوَةَ لاَ يَشْبَعُ مِنْ دَخْلٍ" (جاه ٥: ١٠). وكم من أناس أفنوا حياتهم وخسروا أبديتهم في هذا البرج الرهيب ولفظوا أنفاسهم الأخيرة وأعناقهم مسحوقة تحته- راجع قصة عاخان وكيف رُجم وبلعام وكيف قتلوه بالسيف وجيحزي وكيف مات بالبرص ويهوذا كيف خنق نفسه.

وهناك برج الكرامة وتعظيم الذات وكم من ملايين تحطمت حياتهم تحت هذا البرج (راجع قصة هامان، سفر أستير ص ٣- ٦)، وهناك برج الشهوات الجسدية الفاسدة وكم من كثيرين انتهت حياتهم تحت هذا البرج (راجع قصة أمنون المحزونة- ٢ صم ١٣)

وهناك برج التدين عن طريق الأعمال الصالحة وعن طريق الصيامات والتقشف، وكم من ملايين خدعوا أنفسهم وخسروا بل دمروا أبديتهم تحت هذا البرج. وهناك برج الزينة وكم من نساء العالم يعبدون هذا الصنم، وهناك أبراج أخرى كثيرة أقامها هذا العدو لهلاك هذا الجنس البشري يعوزنا الوقت أن نخوض في تفاصيلها، لمن شكراً لله لأجل تقرير الروح القدس في ع ١٥ "ووجد فيها رجل مسكين حكيم فنجّى هو المدينة بحكمته"- ما أروع هذا الرجل وما أروع صفاته وما أروع خلاصه:

أولاً: هو الرجل الحقيقي أمام الله لأن الإنسان بالسقوط صار هذا التقرير عنه "أَمَّا الرَّجُلُ فَفَارِغٌ عَدِيمُ الْفَهْمِ وَكَجَحْشِ الْفَرَا يُولَدُ الإِنْسَانُ" (أي ١١: ١٢) لذلك كان لا بد من إنسان "شريف الجنس" لو ١٩: ١٢- "الإنسان الأول من الأرض ترابي الإنسان الثاني الرب من السماء" (١ كو ١٥: ٤٧)، هو الإنسان الوحيد الذي يوصف بهذا الوصف "رجل رفقة الله" (زك ١٣: ٧) الذي يستطيع أن يفهم كل مشورات الله ومقاصده، وليس ذلك فقط بل الذي استطاع أن يتممها "أنا مجدتك على الأرض العمل الذي أعطيتني قد أكملته" (يو ١٧: ٣)

ثانياً: مسكين! هنا تذوب قلوبنا "الذي له السموات والأرض" ما أعجب المنظر والصورة! "أَخْلَى نَفْسَهُ آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ" (في ٢: ٦) لذلك نسمعه في صلاته بروح النبوة قبل تجسده "صلاة لمسكين إذا أعيا وسكب شكواه قدام الله" عنوان مزمور ١٠٢، ونسمعه في مزمور الصليب " ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ.. يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ" (مز ٢٢: ١٦، ١٨) وإذ لم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يترنم عن القيامة "أُخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي وفِي وَسَطِ الْجَمَاعَةِ أُسَبِّحُكَ.. لأَنَّهُ لَمْ يَحْتَقِرْ وَلَمْ يَرْذُلْ مَسْكَنَةَ الْمَسْكِينِ وَلَمْ يَحْجِبْ وَجْهَهُ عَنْهُ" (مز ٢٢: ٢٢، ٢٤).

ثالثاً: حكيم، فهو الحكمة الأزلي متجسداً "أنا الحكمة أنا الفهم" (أم ٨: ١٢).

وما أروع التقرير "فنجى هو المدينة بحكمته" لأنه بذاته يهوه الأزلي لذلك لا تُقال هذه الكلمة "هو" إلا عنه تبارك اسمه إلى الأبد- "لتَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا بِي وَتَفْهَمُوا أَنِّي أَنَا هُوَ. قَبْلِي لَمْ يُصَوَّرْ إِلَهٌ وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ" (أش ٤٣: ١٠) ومن غيره كان يستطيع أن ينجي وينقذ ويحرر؟ وما أجمل الكلمة "بحكمته" لأن الحكمة تضع كل شيء في مكانه الصحيح. ومن غيره استطاع أن يعطي للعدل الإلهي مكانه ووضعه اللائق به واعتباره الصحيح كباقي صفات الله؟ ومن غيره استطاع أن يجمع بين محبة الله وقداسته في مشهد تعدينا على الله؟ "وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرّاً وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً" (١ كو ١: ٣٠).

لكن ماذا كان موقف المدينة (العالم) من هذا المخلّص؟ "وما أحد ذكَر ذلك الرجل المسكين"! عجباً، فكم من دول يُدعى عليها اسمه، ولكنها تتنكر له وتتجاهله لكن شكراً لله لأنه لا يترك نفسه بلا شاهد، فهناك نفوس لا تحصى متفرقة في هذا العالم تجتمع إلى اسمه لتتعبد له إلى أن يأتي وينهي هذا المشهد المظلم.

"فَقُلْتُ الْحِكْمَةُ خَيْرٌ مِنَ الْقُوَّةِ أَمَّا حِكْمَةُ الْمِسْكِينِ فَمُحْتَقَرَةٌ وَكَلاَمُهُ لاَ يُسْمَعُ" (ع ١٦).

هنا يسترجع الروح القدس تاريخ العالم، فهناك مراكز القوى العظيمة التي ظهرت في التاريخ، وكم كانت جبارة الدولة البابلية ثم الفارسية ثم اليونانية وأخيراً أقواها الدولة الرومانية، لكن فيها كلها تم قول الكتاب أنهم جميعاً عبيد الخطية والشيطان. ويكتب الرسول بولس في رو ١: ١٦ "لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن" نعم، لقد خلص بإنجيل نعمة المسيح كل من آمن به، لكن عموماً على مستوى دول العالم يصح هذا القول: "أما حكمة المسكين فمحتقره وكلامه لا يسمع" أي لا يسمعون صوت صاحب الإنجيل.

"كَلِمَاتُ الْحُكَمَاءِ تُسْمَعُ فِي الْهُدُوءِ أَكْثَرَ مِنْ صُرَاخِ الْمُتَسَلِّطِ بَيْنَ الْجُهَّالِ" (ع ١٧).

حتى ع ١٦ نسمع عن حكيم واحد نجي هذه المدينة بحكمته تبارك اسمه إلى الأبد، لكن هنا ع ١٧ نسمع حكماء يتكلمون في هدوء وكلامهم يُسمع أكثر من صراخ المتسلط بين الجهال. من أين أتى هؤلاء الحكماء؟ ليس إلا من ذلك الحكيم الوحيد، وهذا يأخذنا إلى سفر أعمال الرسل فنرى رسل ربينا يسوع المسيح يتكلمون في ذات هدوئه واتزانه وقوة كلامه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وحكمته "فلما رأوا- رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة- مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا، فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع" (أع ٤: ١٣، ١٤).

"اَلْحِكْمَةُ خَيْرٌ مِنْ أَدَوَاتِ الْحَرْبِ. أَمَّا خَاطِئٌ وَاحِدٌ فَيُفْسِدُ خَيْراً جَزِيلاً" (ع ١٨).

هنا يتقدم بنا الروح القدس إلى ذلك الغزو المقدس في ذهاب الرسل إلى العالم أجمع ليكرزوا الإنجيل للخليقة كلها، كما قال لهم سيدهم. والنصف الثاني لسفر أعمال الرسل يوضح كيف استطاع الإناء المغبوط بولس هو وسيلا معه أن يفتتحا كل أوروبا بحكمة حق الإنجيل، وانهارت كل الأعمدة الوثنية أمام هذين الرسولين، ولم يكن لديهما علاقة إطلاقاً بأدوات الحرب بل كان لديهما الاستعداد لتحمل كل أنواع الإهانات من ضربات وسجون واضطرابات والأخطار من كل نوع وهما يذيعان حكمة حق الإنجيل، إنجيل مجد الله المبارك، إنجيل المسيح الذي هو قوة الله للخلاص، حقاً الحكمة- حكمة الله في الإنجيل- خيرٌ من أدوات الحرب. ما أجمل النتائج "وكان اسم الرب يتعظم" أين؟ في أفسس مقر ومعقل الوثنية في كل أوروبا حيث الهيكل العريق لأرطاميس معبود كل آسيا الصغرى وأجزاء كثيرة من أوروبا "وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ السِّحْرَ يَجْمَعُونَ الْكُتُبَ وَيُحَرِّقُونَهَا أَمَامَ الْجَمِيعِ وَحَسَبُوا أَثْمَانَهَا فَوَجَدُوهَا خَمْسِينَ أَلْفاً مِنَ الْفِضَّةِ هَكَذَا كَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ تَنْمُو وَتَقْوَى بِشِدَّةٍ" (أع ١٩: ١٧- ٢٠).

أما خاطئ واحد فيفسد خيراً جزيلاً: باستمرار نرى تحذير الروح القدس لكل نفس رافضة حكمة الإنجيل في الخلاص فهي تفسد الخير الجزيل المقدم لها من غفران وتبرير وبنوية وتحرير.

إلى آخر لحظة، كان الرب يسوع يقدم المحبة والنعمة لخاطئ واحد وسط تلاميذه الاثني عشر، ألم يغسل رجلي يهوذا، ألم يجعله شريكاً في ذات الصفحة بل بيده الغالية يقدم له اللقمة، وحاشا له لم يتركه بدون الإنذار الشديد "إن ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه ولكن ويلٌ لذلك الرجل الذي يُسلِّم ابن الإنسان كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد" (مر ١٤: ٢١)كم من الخير الجزيل أفسده لنفسه ذلك الخائن وكل خاطئ رافض اليد الكريمة المقدِمة له الخلاص مجاناً على حساب دم حمل الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأصحاح العاشر

"لذُّبَابُ الْمَيِّتُ يُنَتِّنُ وَيُخَمِّرُ طِيبَ الْعَطَّارِ. جَهَالَةٌ قَلِيلَةٌ أَثْقَلُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَمِنَ الْكَرَامَةِ" (ع ١)

ما أروع تصوير الروح القدس للمؤمن بالعطار أي يبيع للناس العطور الكريمة التي هي خلاصة زهور ونباتات وأشجار عطرية، أوجدها الله في الخليقة لتشهد عن ذات كمالاته، وأنه هو وحده الذي حوى كل الاستقامات الأزلية العطرة، القداسة المطلقة، الطهارة المعصومة، الصدق والأمانة المنزهة، المحبة الفائضة الفائقة، العدل المطلق. وواضح أن أقنوم الكلمة المعلن عن الله هو الذي فيه الكفاءة الذاتية أن يعلن هذه العطور الكريمة الأزلية، وذلك في تجسده وظهوره وسط البشر "لرائحة أدهانك الطيبة اسمك دهن مهراق" (نش ١: ٣) وفي كل مجال أظهرنا رائحتنا الكريهة بينما ظهرت رائحته العجيبة الفائقة حتى أنها من قوة فاعليتها، محت تماماً الرائحة الكريهة وغطتها مطلقاً، ولم يبق في المشهد إلا رائحة أدهانه العطرة الكريمة. وأمامنا ثلاث عيّنات، على سبيل المثال، الأولى (يو ٤) في مشهد فسادنا ونجاسة شهواتنا، كانت المرأة السامرية تنشر شهوة النجاسة لكنها إذ تقابلت مع المخلص، غمرتها تماماً رائحة قداسته وطهارته العطرة، فأصبحت في الحال إناءً مقدساً للرب، واشتمّ أهل مدينتها فيها رائحة المسيح الذكية أي القداسة والطهر والتعفف.

الثانية (لو ١٩) في مشهد ظلمنا ومحبتنا للمال، كان زكا ينشر في كل مكان رائحة مال الظلم والأنانية، وفي لحظة غمرته تماماً رائحة سيده العظيم رائحة البذل والتضحية بكل شيء لأجل إسعاد الآخرين، وهكذا في الحال أصبح زكا عطاراً عظيماً ينشر رائحة أدهان سيده المحبوب.

علمني في قلبي حسابك العظيم كيف أبذل نفسي لأجل الآخرين

فأنت الباذل وحدك ونحن الغانمين وكلنا هتاف للدم الكرم

الثالثة (لو ٢٣) كان ذلك اللص في كل حياته ينشر أعمال العنف، والسرقة والقتل، وكم هي رائحة مكدرة رهيبة، وفي مشهد الصليب ظهرت الرائحة العجيبة الفائقة الإدراك والوصف "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" عجباً يا سيدنا! فأنت ابن الآب المبارك الذي لك السماء والأرض، تقبل هذا الوضع لأجل الخطاة وأكثر من ذلك تطلب الغفران

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والمسامحة لصالبيك! ففي الحال غمرت هذا اللص التائب رائحة سيده وأصبحت طلبته الوحيدة "أذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك" (لو ٢٣: ٤٢)

بحق وبكل إجلال نهتف له أنت العطار الأعظم الذي في رائحة أدهانك الطيبة التي ظهرت في الصليب وقيمة ذبيحتك الفريدة، وجدنا التغطية الكاملة المطلقة لكل رائحتنا الكريهة، وها نحن لحظة بعد لحظة بعد أن ولدتنا الولادة الثانية نستمد كل عطورك الكريمة لنقدمها للناس (٢ كو ٣: ١٨) .

لا يكن في قلبي إلاك يا حبيبي ولتكن في قلبي كزي وطيبي

وللبعيد عطراً يفيح وللقريب ويسأل الجميع من هو حبيبي

ولا ننسى أيضاً أنه "الفخاري الأعظم" الذي يُدخل كل واحد منا إلى دولابه الإلهي العجيب ليخرج من كل واحد منا "إناءً لكرامة مقدساً نافعاً للسيد مستعداً لكل عمل صالح" (٢ تي ٢: ٢١).

وهو أيضاً "البنّاء الأعظم" الذي بروحه القدوس قطعنا من محجر هذا العالم، وجعل من كل واحد منا "حجراً حياً" في بيت روحي عظيم وجعلنا كهنوتاً مقدساً كريماً ذبائح روحية مقبولة عند الله في شخصه المحبوب (١ بط ٢: ٥).

نعود إلى تحذير الروح القدس "الذباب الميت ينتن ويخمر طيب العطار"- الذبابة حشرة قذرة جداً وموطنها وأماكن توالدها في الأماكن العفنة جداً، لكنها تطير وتدخل إلى المنازل وتستقر أقدامها على الأطعمة وهكذا تنشر الأمراض الخطيرة، وأيضاً تطير إلى محل العطور وتستقر في الأواني فتغوص وتموت هناك لكنها تنتن وتخمر الطيب العطر.

وهذا هو الدرس العظيم لنا، أقل فكر شرير أو ميل غير مقدس، نسمح له أن يستقر في أذهاننا أو عواطفنا، لا بد من الرائحة الكريهة بدلاً من رائحة أدهان سيدنا العطرة، ولا بد من الأمراض الروحية الفتاكة التي تفتك بحياتنا الروحية وشركتنا مع سيدنا "لا يقُل أحد إذا جُرّب إني أُجرب من قِبل الله لأن الله غير مجرّب بالشرور وهو لا يجرّب أحداً ولكن كل واحد يجرّب إذا انجذب وانخدع من شهوته لأن الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً" (يع ١: ١٢) وقد أدرك رجال الله هذا الحق فصرخ أحدهم "لِتَكُنْ أَقْوَالُ فَمِي وَفِكْرُ قَلْبِي مَرْضِيَّةً أَمَامَكَ يَا رَبُّ صَخْرَتِي وَوَلِيِّي" (مز ١٩: ١٤).

نأتي إلى باقي الآية "جهالة قليلة أثقل من الحكمة ومن الكرامة" وهي تأتي بمعنى "هكذا تفعل جهالة قليلة بمن اشتهر بالحكمة والكرامة"، باستمرار يعطي الكتاب تحذيراً من الاستخفاف بالأمور الصغيرة أو القليلة: فالثعالب الصغار تفسد الكروم، والخميرة الصغيرة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تخمر العجين كله، والنار القليلة تحرق وقوداً كثيراً، يأتي بالفقر والعوز، وهنا الجهالة القليلة تفسد الحكمة والكرامة (شواهد هذه الأمور الصغيرة تجدها بحسب الترتيب في نش ٢، ١ كو ٥، يع ٣، أم ٦، جا ١٠)، لذلك تحذير الروح القدس لنا "امتنعوا عن كل شبه شر" (١ تس ٥: ٢٢)

"قَلْبُ الْحَكِيمِ عَنْ يَمِينِهِ وَقَلْبُ الْجَاهِلِ عَنْ يَسَارِهِ" (ع ٢)

اليمين في الكتاب المقدس مكان الكرامة والإعزاز والقوة "اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ" (مز ١١٠: ١) وقيل عنه له المجد "جلس في يمين العظمة في الأعالي" (عب ١: ٤). أي أن عواطف الحكيم مضبوطة تماماً "بَطِيءُ الْغَضَبِ خَيْرٌ مِنَ الْجَبَّارِ وَمَالِكُ رُوحِهِ خَيْرٌ مِمَّنْ يَأْخُذُ مَدِينَةً" (أم ١٦: ٣٢) وأيضاً "إن كان أحد لا يعثر في الكلام فذاك رجلٌ كامل قادر أن يُلجم كل الجسد أيضاً" (يع ٢: ٣). وهي أسمى حالة روحية يعيش فيها المؤمن وله سيطرة تامة بقوة الروح القدس، على كل ميوله وأفكاره وكلماته، لكي يكون في الاتزان والوقار والصحو الكامل لِما فيه مجد السيد فقط كما عبّر الرسول المغبوط "فِي طَهَارَةٍ فِي عِلْمٍ فِي أَنَاةٍ فِي لُطْفٍ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي مَحَبَّةٍ بِلاَ رِيَاءٍ فِي كَلاَمِ الْحَقِّ فِي قُوَّةِ اللهِ، بِسِلاَحِ الْبِرِّ لِلْيَمِينِ وَلِلْيَسَارِ بِمَجْدٍ وَهَوَانٍ بِصِيتٍ رَدِيءٍ وَصِيتٍ حَسَنٍ" (٢ كو ٦: ٦). أما قلب الجاهل عن يساره في مكان الضعف، فهو ضعيف أمام الانفعالات فيثور بعنف ومن الجهة الأخرى ضعيف أيضاً أمام الميول والشهوات والأفكار التي تلعب بذهنه.

"أَيْضاً إِذَا مَشَى الْجَاهِلُ فِي الطَّرِيقِ يَنْقُصُ فَهْمُهُ وَيَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ إِنَّهُ جَاهِلٌ" (ع ٣).

الطريق بكل اختباراتها تكشف حقيقة الجاهل فيذيع جهالته على رؤوس الملا وكلماته وخطواته تعلن لكل واحد أنه خالٍ من الحكمة "الجاهل ينشر حمقاً" (أم ١٣: ١٦)، وليس ذلك فقط لكن العجيب أنه ينقص فهمه، بمعنى أنه يتقدم إلى أردأ، والنور الذي عنده يؤخذ منه (مر ٤: ٢٥).

"إِنْ صَعِدَتْ عَلَيْكَ رُوحُ الْمُتَسَلِّطِ فَلاَ تَتْرُكْ مَكَانَكَ لأَنَّ الْهُدُوءَ يُسَكِّنُ خَطَايَا عَظِيمَةً" (ع ٤).

الخضوع للسلطات العليا المرتبة من الله (رو ١٣)، وليس التمرد عليها، هو طابع الحقيقة. وكم كانت غاشمة ظالمة السلطة العليا في أيام بولس الرسول، لكنه يوصي بالخضوع لها طالما لا تتعرض للشهادة لاسم ربنا يسوع المسيح والتعبد له وإلا فالاستشهاد هو طريق الحكمة حينئذ، وترك المكان تعبير يدل على التمرد، حيث نسمع عن الملائكة الذين تركوا أماكنهم "لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام" (يه ٦)- أي أنهم انحدروا في هوة حماقة التمرد ضد العلي. فالقديس مُطالب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حسب كلمة الله "بعدم ترك المكان" أي الخضوع الكامل للسلطات في كل المجالات، في قواعد المرور، في الضرائب، في التأمينات الإجبارية. وما أروع مشهد ربنا يسوع المسيح إذ كانت هناك مؤامرة لكي يوجدوه في وضع التمرد على السلطات فسألوه "أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ فَعَلِمَ يَسُوعُ بِخُبْثَهُمْ وَقَالَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي يَا مُرَاؤُونَ.. أَعْطُوا إِذاً مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ" (مت ٢٢: ١٧- ٢٢).

لكن هناك أيضاً معنى آخر في هذا العدد، وهو التنبير على الهدوء الكامل في حالة الاعتداء والظلم، وواضح مكان الحكيم الذي يوصي بعدم تركه، ليس إلا المثول القلبي العميق أمام الرب "جعلت الرب أمامي في كل حين لأنه عن يميني فلا أتزعزع" (مز ١٦: ٧). وكم ظهر هذا في رأسنا المبارك في أقسى معاملات الإهانة والاعتداء على شخصه المحبوب المجيد. كم كان هادئاً متزناً بالوقار المذيب للقلب، ليتنا نتمثل به فيتم فينا القول "احرصوا أن تكونوا هادئين" (١ تس ٤: ١١) "بِالرُّجُوعِ وَالسُّكُونِ تَخْلُصُونَ. بِالْهُدُوءِ وَالطُّمَأْنِينَةِ تَكُونُ قُوَّتُكُمْ" (أش ٣٠: ١٥).

"يُوجَدُ شَرٌّ رَأَيْتُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ كَسَهْوٍ صَادِرٍ مِنْ قِبَلِ الْمُتَسَلِّطِ. الْجَهَالَةُ جُعِلَتْ فِي مَعَالٍ كَثِيرَةٍ وَالأَغْنِيَاءُ يَجْلِسُونَ فِي السَّافِلِ. قَدْ رَأَيْتُ عَبِيداً عَلَى الْخَيْلِ وَرُؤَسَاءَ مَاشِينَ عَلَى الأَرْضِ كَالْعَبِيدِ" (ع ٥- ٧).

يشير الجامعة إلى المتسلط أو الحاكم نفسه في كثير من الأحيان ليس خلواً من الجهالة وهذا واضح من السهو أو الخطأ الذي طالما يصدر منه. فالأوامر التي يصدرها والمراكز التي يرتبها، ليست دائماً بحكمة نازلة من فوق، بل بحسب نظرته القاصرة وميوله وأهوائه. ونتيجة لذلك ع ٦ إذ نرى الجهالة وقد جُعلت في معالي كثيرة بمعنى أنه يضع الجهلاء في المناصب العالية، بينما الأغنياء- في الحكمة والعقل- يوضعون في المناصب الدنيّا، وع ٧ استمرار لذات الغباوة الصادرة من صاحب السلطة العليا فيرفع عبيداً ليجلسهم على الخيل بينما الشرفاء ماشون على الأرض كالعبيد.

لكن ع ٦، ٧ لهما المعنى العميق، إذ أن القديسين قد مسحوا ملوكاً وكهنة لله على حساب عمل المسيح على الصليب وجلوسه في المجد، نراهم الآن محتقرين من العالم "وكأنهم" هم العبيد بينما عبيد الخطية والشيطان لهم اليد العليا في هذا العالم ". كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ كَأَنْ لاَ شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ" (٢ كو ٦: ١٠).

لكن هذا المنظر سوف يتغير إلى العكس تماماً، فالمفديون سوف يُظهرون مع ربنا يسوع المسيح متى جاء (على السحاب بقوة ومجد كثير) ليتمجد في قديسيه ويتعجب منه في جميع المؤمنين (٢ تس ١: ١٠). وما أمجد كلمته هو "لاَ تَخَفْ أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ لأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سُرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الْمَلَكُوتَ" (لو ١٢: ٣٢) لذلك مسئوليتنا العظيمة الآن "وَنَحْنُ قَابِلُونَ مَلَكُوتاً لاَ يَتَزَعْزَعُ لِيَكُنْ عِنْدَنَا شُكْرٌ بِهِ نَخْدِمُ اللهَ خِدْمَةً مَرْضِيَّةً، بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى" (عب ١٢: ٢٨).

"مَنْ يَحْفُرُ هُوَّةً يَقَعُ فِيهَا وَمَنْ يَنْقُضُ جِدَاراً تَلْدَغُهُ حَيَّةٌ. مَنْ يَقْلَعُ حِجَارَةً يُوجَعُ بِهَا مَنْ يُشَقِّقُ حَطَباً يَكُونُ فِي خَطَرٍ مِنْهُ" (ع ٨، ٩).

هذه الأعداد النبوية لها المعاني الحرفية والروحية والنبوية.

أولاً: الأعمال الزمنية تعرّض صاحبها لأخطار من ذات العمل نفسه، لأن هذا هو الوضع تحت الشمس، فالحفار في غفلة يسقط في حفرة هو نفسه قد حفرها كذلك من ينقص جداراً، قد تخرج عليه أفعى وتلدغه، كذلك من يقلع حجارة قد يسقط عليه حجر منها، كذلك من يشقق حطباً قد تصيبه الجروح.

أي أن كل عمل زمني له أخطاره طالما الأمر تحت الشمس، وكم من ملايين أصابتهم أضرار بالغة بسبب عملهم الزمني والانهماك فيه، والمفتاح لهذا كله مدرسة الإنسان تحت الشمس بالاستقلال هن حكمة الله. لا ننسى أن العمل الزمني بركة من الله للإنسان (جا ٣)، لكن الوضع المرتب من الله هو أن يمارس العمل الزمني في جو الشركة مع الرب وتحت راية مخافة الرب وفي اعتماد كامل عليه، والغرض هو مجد اسمه العظيم في حياة الإنسان. كم تمجد الرب في ذات العمل الزمني المعطي لدانيال وللكثيرين من رجال الله في الكتاب، وأيضاً في التاريخ جورج واشنطون والملكة فيكتوريا واسحق ونيوتن.

ثانياً: المعنى الروحي، كل تخطيط لأجل ذات الإنسان ورفعتها على حساب سحق الآخرين غالباً ما يؤول إلى سحق الإنسان نفسه. تأمل قصة هامان وما دبره لمردخاي وشعب اليهود والمرازبة وما دبره لدانيال النبي (استير ص ٣- ٧ ودانيال ص ٦).

ثالثاً: المعنى النبوي رباعي يصور لنا ما فعلته ايزابل الزانية العظيمة المذكورة في رؤ ١٧ التي هي الكنيسة الاسمية:

الأولى- ابتدعت تعليماً يقسم الشعب إلى فريقين، إكليروس هم وحدهم الذين لهم حق الاقتراب إلى الله ثم عامة الشعب الذين لا يقترب أحد منهم إلى الله إلا عن طريق الإكليروس، وهكذا صنعت هوة عظيمة بين الشعب وبين الرب المحبوب الفادي، الذي في كل نداءاته الكريمة يوجه النفوس إليه مباشرة، للالتصاق به هو شخصياً والثبات فيه بالإيمان القلبي بذبيحته وعمله الكفاري الكريم على الصليب.

وما هي نتيجة هذه الهوة الرهيبة التي حفرتها ايزابل؟ آلاف لا تحصى من هذا الشعب الذي يدعى عليه اسم المسيح، نراهم الآن يتركون الاسم الكريم لينتسبوا لديانات أخرى.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الثاني- من ينقص جداراً تلدغه حية، الجدار هنا يشير إلى السور الذي يحيط بالمدينة ليفصلها عما حولها، وهذا أيضاً ما فعلته روما فنقضت سور الانفصال الذي ينبغي أن يفصل الكنيسة عن العالم "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ، وَأَيْنَ تَسْكُنُ حَيْثُ كُرْسِيُّ الشَّيْطَانِ" (رؤ ٢) إذ انهار السور تماماً ودخل العالم ورئيسه الشيطان إلى الكنيسة. كم ينبغي أن نفهم نحن المؤمنين، أن قصد الله باستمرار من جهة شعبه أن يكون جنة مغلقة عيناً مقفلة ينبوعاً مختوماً (نش ٤: ١٢)، "هوذا الشعب يسكن وحده وبين الشعوب لا يُحسب" (العدد ٢٣: ٩).

الثالث- من يقلع حجارة يوجَع بها: الحجارة كانت تستخدم في القديم في تحديد التخوم في ملكية الحقول والأراضي. وهناك تحذير إلهي مستمر من عدم احترام هذه التخوم وخاصة حقول اليتامى والأرامل "لا تنقل تخم صاحبك الذي نصبه الأولون" (تث ١٩: ١٤، ٢٧: ١٧) "ملعون كل من ينقل التخم القديم الذي وضعه آباؤك" (أم ٢٢: ٢٨) وناقل التخوم هو لص سارق يستوجب القضاء الإلهي "صارت رؤساء يهوذا كناقلي تخوم فأسكب عليهم غضبي كالماء" (هو ٥: ١٠).

وإزالة أو نقل التخوم والمعالم في العهد الجديد هو التلاعب في تعاليم الكتاب التي هي ميراث شعب الرب في تدبير النعمة الحاضر. وبكل أسف من القرن الرابع المسيحي، تلاعبت ايزابل الزانية العظيمة في كل مجالات الحق الإلهي وأدخلت وسطاء وشفعاء كثيرين بجانب الوسيط الوحيد للخطاة, والشفيع الوحيد للمؤمنين.

الرابع- من يشقق حطباً يكون في خطر منه:

جاءت الإشارة إلى الحطب كثيراً في الكتاب، فهو أول نوع من الأصنام التي انحرفت إليها الأمم، وثانياً قطع الخشب مرتبط بالعبيد كما قال يشوع للجبعونيين إذ انكشفت حيلتهم "فَالآنَ مَلْعُونُونَ أَنْتُمْ فَلاَ يَنْقَطِعُ مِنْكُمُ الْعَبِيدُ وَمُحْتَطِبُو الْحَطَبِ وَمُسْتَقُو الْمَاءِ لِبَيْتِ إِلَهِي" (يش ٩: ٢٣)، وهو ذات المعنى الذي أشار إليه الرسول عندما وصف المسيحية بالبيت الكبير الذي يحتوي على آنية ذهب وفضة وحجارة كريمة وخزف، فالثلاثة الأولى تمثل المؤمنين أواني الكرامة أما الخشب والخزف تشير إلى المسيحيين بالاسم عبيد الخطية، وثالثاً الخشب يشير إلى مبدأ الأعمال كطريق للاقتراب إلى الله وإرضائه، كما أشار الرسول إلى احتراق الخشب والعشب والقش أمام كرسي المسيح لأنه لا يثبت إلا الذهب والفضة والحجارة الكريمة أي البر الإلهي المؤسس على فداء المسيح وكمالاته (١ كو ٣: ١٤)، فالأصنام والعبودية والأعمال هي العناوين الكبيرة لكنيسة روما وأتباعها.

"إِنْ كَلَّ الْحَدِيدُ وَلَمْ يُسَنِّنْ هُوَ حَدَّهُ فَلْيَزِدِ الْقُوَّةَ. أَمَّا الْحِكْمَةُ فَنَافِعَةٌ لِلإِنْجَاحِ" (ع ١٠)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المقصود هنا الآلات الحديدية القاطعة كالسكين أو المخرطة أو المنشار وهي آلات نافعة جداً ولكن يجب أن تُسّن.

أولاً لكي تكون قاطعة وإلا فلا بد من استخدام مجهود عضلي مضاعف (فليزد القوة) وكثيراً ما يتشوه العمل باستخدام آلة غير مسنونة. وهذا له التطبيق العملي الجميل للمؤمنين الذين هم آلات في يد الرب يستخدمها له المجد بفاعلية وقوة الروح القدس. فإن لم يُسّن المؤمن أولاً بأول عند قدمي الرب بسكب القلب بحرارة، لكي يكون إناءً مملوءاً من الروح القدس تصل كلماته إلى الأعماق وتنخس القلوب، كما كان بطرس في أعمال ٢ واستفانوس في أعمال ٧ والرسول المغبوط بولس في أع ١٣. ولكن إن أهمل المسّن فحينئذ نستخدم قوتنا الذاتية وما أتعسها وما أكثرها فشلاً "ليس بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود" (زك ٤: ٦).

"إِنْ لَدَغَتِ الْحَيَّةُ بِلاَ رُقْيَةٍ (before enchantment) فَلاَ مَنْفَعَةَ لِلرَّاقِي" (ع ١١)

الرقية نوع من السحر يكون فيه الإنسان آلو طيّعة في يد العدو. والرقية عبارة عن تعويذة الراقي فيسيطر بها بقوة الشيطان على الثعابين، فتأتمر بأمره. والشيطان يقوم بعمل هذه الأمور كأنها خدمة للإنسان، لكنها ليست إلا طعماً في مقابلة سيطرته على الإنسان وإبعاده تماماً عن الله. وكل نفس تلجأ لهذه الأمور تسقط في هذا الفخ، لذلك جاءت التحذيرات الحاسمة "لا تَتَعَلَّمْ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ رِجْسِ أُولئِكَ الأُمَمِ.. وَلا مَنْ يَعْرُفُ عِرَافَةً وَلا عَائِفٌ وَلا مُتَفَائِلٌ وَلا سَاحِرٌ وَلا مَنْ يَرْقِي رُقْيَةً وَلا مَنْ يَسْأَلُ جَانّاً أَوْ تَابِعَةً وَلا مَنْ يَسْتَشِيرُ المَوْتَى لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ الرَّبِّ" (تث ١٨: ٩).

فما هو إذاً قصد الحكيم من قوله هنا، أنه لا قيمة ولا نفع من رقية الراقي بعد أن تكون الحية قد لدغت فريستها ونفثت سمها فيها؟ هو تصوير للسان لخبيث الذي يلدغ كما تلدغ الحية تماماً. والمؤمن الحكيم يمكنه بالشركة مع الرب بقوة الروح القدس أن يمنع هذه الألسنة السامة ويوقفها عند حدها، ويجعلها تصمت.

لكن هناك معنى أعمق، وهو أن الإنسان مولود بلدغة الحية القديمة (تك ٣ مز ٥١، اش ٤٨) ولا فائدة من كل المحاولات والجهود التي تبذل تحت الشمس لإيقاف سُم الخطية الذي تسرب إلى كل الجنس البشري "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (رو ٥: ١٢).

لذلك كل المحاولات هي في الحقيقة جهود شيطانية لإبعاد النظر عن العلاج الجذري الحقيقي الذي هو من فوق "اَلَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ.. وَالَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ . وَمَا رَآهُ وَسَمِعَهُ بِهِ يَشْهَدُ" (يو ٣: ٣١) وماذا كانت كلماته له المجد؟ "وَكَمَا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو ٣: ١٤).

"كَلِمَاتُ فَمِ الْحَكِيمِ نِعْمَةٌ وَشَفَتَا الْجَاهِلِ تَبْتَلِعَانِهِ" (ع ١٢)

كم من رجال أفاضل امتلأت قلوبهم من السيد نفسه الذي لما ظهر في الجسد أتى إلينا مملوءاً نعمة وحقاً (يو ١: ١٤).

على سبيل المثال كلمات داود لشاول بعد أن أبقى على حياته للمرة الثانية (١ صم ٢٦) وكلمات أبيجايل الكرملية التي أوقفت غضب داود ومنعته من الانتقام لنفسه (١ صم ٢٥).

لكن هناك العيّنة الأخرى المحزنة وهي شفتا الجاهل اللتان كثيراً ما كانتا السبب في القضاء عليه. كم كانت ملمات رحبعام ابن سليمان تحت هذه الراية المحزنة "نَّ خِنْصَرِي أَغْلَظُ مِنْ متني أَبِي.. أَبِي أَدَّبَكُمْ بِالسِّيَاطِ وَأَنَا أُؤَدِّبُكُمْ بِالْعَقَارِبِ" (١ مل ١٢: ١٠) فكانت هذه الكلمات هوة سحيقة ابتلعت المملكة وذهبت بعشرة أسباط لتكوّن المملكة الشمالية. ما أكثر تحذيرات الكتاب من خطايا اللسان غبي الشفتين يُصرع" (أم ١٠: ٨) لذلك جميل بنا كمؤمنين أن نصلي باستمرار كما صلى داود "اجْعَلْ يَا رَبُّ حَارِساً لِفَمِي. احْفَظْ بَابَ شَفَتَيَّ" (مز ١٤١: ٣).

"اِبْتِدَاءُ كَلاَمِ فَمِهِ جَهَالَةٌ وَآخِرُ فَمِهِ جُنُونٌ رَدِيءٌ" (ع ١٣).

أوضح مثل لهذه الحقيقة المُرّة هو كلام العدو عندما سقط فكانت أول كلماته جهالة "أصعد إلى السموات" ثم ازداد الجهل "أرفع كرسي فوق كواكب الله" وهكذا اقترب من الجنون "أجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال" لأن الملائكة ليس لهم كراسي يجلسون عليها ثم هم أرواح خادمة. وأخيراً وصل إلى الجنون الرديء "أصعد فوق مرتفعات السحاب أصير مثل العلي" (أش ١٤). وهذا بالضبط ما حدث في سقوط أبوينا الأولين فكانت كلماته الأولى جهالة وهي التشكيك في أقوال الله "أحقاً قال الله"؟ ثم انتهت بالجنون الرديء في تكذيب أقوال العلي الخالق القدير المهوب، في قوله "لن تموتا."

وَالْجَاهِلُ يُكَثِّرُ الْكَلاَمَ لاَ يَعْلَمُ إِنْسَانٌ مَا يَكُونُ وماذا يصير بعده من يخبره (ع ١٤)

هنا نرى أمرين ظاهرين في حديث الجاهل، الأول هو كثرة الكلام وهذا ما يحذرنا منه الروح القدس كثيراً "كثرة الكلام لا تخلوا من معصية. أما الضابط شفتيه فعاقل" (أم ١٠: ١٩) "قول الجهل من كثرة الكلام" (جا ٥: ٣).

والأمر الثاني الحديث عن المستقبل وكثرة التكهنات بما سيحدث لأنه مملوء بغرور الذات وكل متكله ذراعه التي يتوهم أنها تستطيع أن تفعل كل ما يدور في ذهنه الباطل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والوحي المقدس يقدم لنا عينات، فأحدهم يتكل على سلطانه وقدرة ملكوته فيتكلم وكأنه خالد إلى الأبد "أَلَيْسَتْ هَذِهِ بَابِلَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي بَنَيْتُهَا.. بقوة اقْتِدَارِي وَلِجَلاَلِ مَجْدِي". لكن ما أروع تقرير الكتاب "وَالْكَلِمَةُ بَعْدُ بِفَمِ الْمَلِكِ وَقَعَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ.. أَنَّ الْمُلْكَ قَدْ زَالَ عَنْكَ" (دا ٤: ٣٠).

وآخر يتكلم عن غناه (لو ١٢: ١٩) فيأتيه الصوت "هذه الليلة تُطلب نفسك منك"

"تَعَبُ الْجُهَلاَءِ يُعْيِيهِمْ لأَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَذْهَبُ إِلَى الْمَدِينَةِ" (ع ١٥)

هنا التنبير على أمرين: الأول، التعب الباطل وهذا ما قرره الحكيم في بداءة هذا السفر، بينما التعب لأجل الرب يجدد القوة ويملأ القلب بهجة الرب نفسه علاوة على المكافآت الأبدية- "منتظروا الرب يجددون قوة.." (أش ٤٠: ٣١)، "مُكْثِرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ عَالِمِينَ أَنَّ تَعَبَكُمْ لَيْسَ بَاطِلاً فِي الرَّبِّ" (١ كو ١٥: ٥٨).

الأمر الثاني- التخبط في الخطوات لأن أمامه مدن كثيرة وكل رغبة قلبه المدينة التي تجلب الربح الأعظم "رجل ذو رأيين متقلقل في جميع طرقه" (يع ١: ٨)، "عبنا الجاهل في أقصى الأرض" (أم ١٧: ٢٤).

"وَيْلٌ لَكِ أَيَّتُهَا الأَرْضُ إِذَا كَانَ مَلِكُكِ وَلَداً وَرُؤَسَاؤُكِ يَأْكُلُونَ فِي الصَّبَاحِ" (ع ١٦).

الولد هنا تعبير عن الطيش وعدم الخبرة وعدم تقدير المسئوليات، وليس بالضرورة أن يكون ولداً في السن إذ ربما تقدمت به الأيام ولكن في عقله واختباراته وتصرفاته مملوء بالرعونة والجهل والحماقة والاندفاع. وقد يكون حدثاً في السن ولكنه متدرب عند قدمي الرب على الاتزان والوقار والهدوء والحكمة، كما قال الرب لإرميا الشاب الصغير "لا تقُل إني ولد.. لا تخف من وجوههم لأني أنا معك" (إر ١: ٧، ٨).

لكن باستمرار الروح القدس يرفع قلوبنا إلى النموذج الكامل في كل شيء الذي إذ كان بعد في حداثة سنه (١٢ سنة) كان في الهيكل وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوه بُهتوا من فهمه وأجوبته، ثم كلمات الحكمة التي عالج بها أفكار العذراء المطوبة (لو ٢: ٤٦- ٤٩). لذلك لما جاء إلى رسله بعد القيامة، عند بحر طبرية، وكانوا قد تركوا مكانهم وإرساليتهم ورجعوا لصيد السمك، نراه يوبخهم التوبيخ الرقيق "يا غلمان Little Children" يو ٢: ٥. ليتنا ننمو في النعمة وفي معرفة شخصه المحبوب فيتم فينا تحريض الرسول المغبوط "إسهروا اثبتوا في الإيمان كونوا رجالاً تقوا. لتصر كل أموركم في محبة" (١ كو ١٦: ١٣).

"رؤساؤك يأكلون في الصباح:"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الصباح هو الوقت المخصص للقضاء والنظر في الدعاوي ورعاية شئون عامة الشعب ولا سيما المظلومين "اقضوا في الصباح عدلاً" (ار ٢١: ١٢) لذلك نرى العبد الفريد الرب يسوع يشير إليه الروح القدس أين كان يبدأ يومه- اش ٥٠: ٤- لذلك كان اليوم كله "يجول يصنع خيراً ويشفي جميع التسلط عليهم إبليس" وما أروع ما قيل عنه "ولم تتيسر لهم الفرصة للأكل" (مر ٦: ٣١)

"طُوبَى لَكِ أَيَّتُهَا الأَرْضُ إِذَا كَانَ مَلِكُكِ ابْنَ شُرَفَاءَ وَرُؤَسَاؤُكِ يَأْكُلُونَ فِي الْوَقْتِ لِلْقُوَّةِ لاَ لِلسَّكْرِ" (ع ١٧)

المباينة واضحة بين سيادة الشرير وسيادة البار، فهنا نرى ابن الشرفاء أي ابن الأفاضل، والشرفاء والأفاضل في مقاييس كلمة الله هم الذين لهم علاقة حقيقية بالله "القديسون الذين في الأرض والأفاضل كل مسرتي بهم" (مز ١٦: ٣) وحينئذ يكون التطويب والغبطة كلها، وقد تحقق هذا في التاريخ المقدس أيام مُلك داود وسليمان ويهوشافاط وحزقيا ويوشيا. لكن لكل منهم ضعفاته وصفحات يتمنى لو تُمحى، أما ذاك الذي سيملك على كل الأرض ويكون هو وحده واسمه وحده (زك ١٤: ٩) فسوف يقضى وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل ولا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد (أش ٢).

"ورؤساؤك يأكلون في الوقت للقوة لا للسكر:"

حيث يكون الرأس سليماً لا بد أن يأتي بالثمر المبارك في كل دوائر الحكم، لذلك نرى الرؤساء، أي الذين في مناصب رئيسية، ليسوا مستعبدين للشهوات ولهم الحكمة والتمييز، ولكل شيء عندهم وقتٌ وحكم، ولا علاقة لهم بالمسكر.

"بِالْكَسَلِ الْكَثِيرِ يَهْبِطُ السَّقْفُ وَبِتَدَلِّي الْيَدَيْنِ يَكِفُ الْبَيْتُ" (ع ١٨)

يشبّه الحكيم المملكة بالبيت المبني من الطوب، فإن لم يسهر صاحب البيت على سلامة الجدران والسقف وذلك بالترميم السريع، فلا بد أن يهبط السقف. والبيت يكِفُ أي يتساقط شيئا فشيئاً حتى ينهار نهائياً بسبب الكسل وعدم العناية. هكذا أيضاً بكسل المسئولين وتراخيهم في واجباتهم، لا بد أن يتطرق الانحلال إلى المملكة.

الوكف هو الماء السائل قليلاً قليلاً من السقف غير المحكم بعد انتهاء المطر ينتج عنه رشوحات بالسقف والجدران، وهذا يؤول إلى انهيار البيت. ولنا في هذا تعليم هام وهو حرصنا وسهرنا ضد تجمع أمطار العالم فوق سقف البيت كعائلة أو ككنيسة. والسقف هو الجزء الواقي من فوق، والجدران هي الواقية من الجوانب، فالأول يشير إلى التعليم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الصحيح الواقي لنا من البدع التي يهاجم بها العدو الأذهان أما الجدران فتشير إلى تمكين المحبة الأخوية حتى لا نعطي إبليس مكاناً.

ولا ننسى تقرير الرسول أن الأساس الوحيد الذي يقوم عليه مل البناء هو صخر الدهور "فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاساً آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ" (١ كو ٣: ١١) الذي بدونه لا بد من السقوط العظيم.

"لِلضِّحْكِ يَعْمَلُونَ وَلِيمَةً وَالْخَمْرُ تُفَرِّحُ الْعَيْشَ. أَمَّا الْفِضَّةُ فَتُحَصِّلُ الْكُلَّ" (ع ١٩)

يوضح الحكيم هنا سبب الانحلال الذي أشار إليه في الأعداد السابقة، فإن الحكام يستخدمون بركات الله في ملذاتهم الخاصة، ويصرفون وقتهم ونشاطهم في الانغماس في شهواتهم مستخدمين الخمر لاصطناع الأفراح. والفضة هي التي تمكنهم من صنع هذه الولائم الخمرية الضاحكة. ولكن على صفحات الوحي نرى كيف انقلب كثيرٌ من هذه الولائم إلى رعب وفزع والقضاء الإلهي وقع في الحال (راجع وليمة بيلشاصر لعظمائه الألف- داه، ووليمة هيرودس- مت ١٤) لكن ما أسمى وما أمجد وأثبت الوليمة التي ينشئها الروح القدس في القلب بدخول ابن الله كالمخلص والفادي "وَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَرَوْنَهُ الآنَ لَكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ" (١ بط ١: ٨) فهي الوليمة الحقيقية والخمر الدائم والفضة الإلهية التي هي الفداء.

"لاَ تَسُبَّ الْمَلِكَ وَلاَ فِي فِكْرِكَ وَلاَ تَسُبَّ الْغَنِيَّ فِي مَضْجَعِكَ لأَنَّ طَيْرَ السَّمَاءِ يَنْقُلُ الصَّوْتَ وَذُو الْجَنَاحِ يُخْبِرُ بِالأَمْرِ" (ع ٢٠).

أمام حياة المجون التي تظهر في بعض الحكام، قد يتفوه الإنسان بعبارات سب لهم، ويلعن تصرفاتهم. لكن هذا لا يتفق مع خوف الله الذي أقامهم (ص: ٢، رو ١٣: ١). فضلاً عن أن ذلك ليس من الحكمة لأنه يعرّض صاحبه للعقاب، أما المؤمن فهو مدعو للشكر في كل الظروف مهما كان نوع الحاكم "افرحوا في كل حين. صلوا بلا انقطاع. اشكروا في كل شيء لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم" (١ تس ٥: ١٦، ١٧، ١٨). بينما طابع غير المولود من الله، هو التذمر والشكوى من كل شيء هؤلاء هم مدمدمون متشكون سالكون بحسب شهواتهم وفمهم يتكلم بعظائم" (يه ١٦).

"طير السماء ينقل الصوت": مَثَلٌ مألوف، وهو كلام مجازي مؤداه أن ما يقوله الإنسان مهما يكن في السر، سرعان ما ينتقل بطريقة لا يظنها ويعرّض صاحبه للانتقام هكذا الوصية الإلهية "لاَ تَسُبَّ اللهَ (إيلوهيم أي القضاة باعتبارهم ممثلين لله) وَلاَ تَلْعَنْ رَئِيساً فِي شَعْبِكَ" (خر ٢٢: ٢٨)، أيضاً "أَكْرِمُوا الْجَمِيعَ أَحِبُّوا الإِخْوَةَ خَافُوا اللهَ أَكْرِمُوا الْمَلِكَ" (١ بط ٢: ١٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأصحاح الحادي عشر

"اِرْمِ خُبْزَكَ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ فَإِنَّكَ تَجِدُهُ بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ" (ع ١)

مدرسة العالم هي الجمع والتخزين استعداداً لليوم الشرير، وواضح أنها لا تعرف الإيمان والثقة في الله الذي بيده كل الأمور. ولكن ما أروع مدرسة الله، وهي مدرسة البذل لأجل الآخرين "مُتَذَكِّرِينَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّهُ قَالَ" مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ" (أع ٢٠: ٣٥) وأيضاً "بِيعُوا مَا لَكُمْ وَأَعْطُوا صَدَقَةً. اعملوا لَكُمْ أَكْيَاساً لاَ تَفْنَى وَكَنْزاً لاَ يَنْفَدُ فِي السَّمَاوَاتِ حَيْثُ لاَ يَقْرَبُ سَارِقٌ وَلاَ يُبْلِي سُوسٌ" (لو ١٢: ٣٣).

والخبز هو قوام الحياة، أي إرم معيشتك. وقد يبدو من التعبير "على وجه المياه" أنه بذل وتضحية ضائعة لأنك لا تعرف نتائجه وأبعاده، لكن لا تخف إرمه بشجاعة لأنك تستودعه بين يدي ذاك الذي لا يُفقد منه شيء، حتى كأس ماء بارد يُقدم باسمه لا يضيع أجره.
والمستقبل ولو بدا بعيداً ومرت عليه أيام كثيرة لكنه من المؤكد أن سيقدم لك حصاداً وفيراً لِما زرعته.

عجيبة هي موازين الرب إذ أن إطعام المحتاجين من قطيع الرب كأنه إطعام الرب نفسه "لأني جعت فأطعمتموني" (مت ٢٥: ٣٥)، "ومن يرحم الفقير يُقرض الرب وعن معروفه يجازيه" (أم ١١: ٢٥)

"أَعْطِ نَصِيباً لِسَبْعَةٍ وَلِثَمَانِيَةٍ أَيْضاً لأَنَّكَ لَسْتَ تَعْلَمُ أَيَّ شَرٍّ يَكُونُ عَلَى الأَرْضِ" (ع ٢)

كن سخياً في العطاء كريماً في التوزيع مدخراً لنفسك أساساً حسناً للمستقبل (١ تي ٦: ١٨).

رقم ٧ هو رقم الكمال وهو تعبير عن أقصى حدود الطاقة البشرية، إذ أن الإنسان يعمل ستة أيام وفي اليوم السابع يستريح، والوصية هنا لا لسبعة بل أيضاً لثمانية كما هو مكتوب عن كنائس مكدونية "أنهم أعطوا فوق الطاقة" (٢ كو ٨: ٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"لأنك لست تعلم أي شر يكون على الأرض": فالمستقبل مجهول وليس من يعلم ماذا يختبئ فيه. فقد يفقد الإنسان ثروته وربما عمله، وحينئذ يجد الإنقاذ الإلهي حاضراً وعجيباً ومجيداً لأنه لا ينسى تعب أو أي تضحية للمحتاجين فكم بالحري الذي يقدم لأجل اسمه المحبوب العظيم.

ونرى توضيحاً جميلاً لهذه الحقيقة في قصة المرأة الشونمية، إذ قدمت إلى أليشع رجل الله، الإكرام والضيافة اللائقة في محبة وسخاء، وجاءت المجاعة وطيقاً لنصيحة أليشع تغربت عن أرضها وبعد ٧ سنوات عادت لتجد الأشرار وضعوا أيديهم على كل حقولها، فإذا باليد القديرة تتدخل بكيفية رائعة، فتأتي لتقدم شكواها للملك في الوقت الذي فيه كان جيحزي يحكي للملك قصتها الجميلة مع رجل الله أليشع، فيصرخ جيحزي: هذه هي المرأة، وفي الحال أمر الملك برد كل شيء لها (٢ مل ٨: ٦)

"إِذَا امْتَلَأَتِ السُّحُبُ مَطَراً تُرِيقُهُ عَلَى الأَرْضِ. وَإِذَا وَقَعَتِ الشَّجَرَةُ نَحْوَ الْجَنُوبِ أَوْ نَحْوَ الشِّمَالِ فَفِي الْمَوْضِعِ حَيْثُ تَقَعُ الشَّجَرَةُ هُنَاكَ تَكُونُ" (ع ٣)

يواصل الروح القدس التحريض على السخاء في العطاء فيقول أنظر إلى الدروس التي أعطاها الله في الطبيعة، كما يقول الرسول "أم ليست الطبيعة نفسها تعلمكم؟" (١ كو ١١: ١٤، أي ١٢: ٧، ٨). والقصد هنا أن السحب الممتلئة تفرّغ شحنتها من الماء على الأرض الظامئة الناشفة اليابسة، وبعد أن تكمل بعثة الإحسان والخير هذه بأمر خالقها كما يقول في أي ٣٧: ١٢ "فهي (السحب) مدوّرة متقلبة بإدارته (الخالق العظيم) ليفعل كل ما يأمر به على وجه الأرض المسكونة" وهكذا تعود السحب وتستعيد من المحيط الكبير الممتلئ نفس المياه التي أراقتها على الأرض "أَعْطُوا تُعْطَوْا كَيْلاً جَيِّداً مُلَبَّداً مَهْزُوزاً فَائِضاً يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ لأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ" (لو ٦: ٣٨).

أما درس وقوع الشجرة، سواء في الشمال أو الجنوب فإنها حيث تقع تكون لخير وفائدة من يجدها، وهكذا يجب أن يكون المؤمن لخير الآخرين حيثما أوجده الرب ما أروع موكب الرب وهو الشجرة المثمرة التي يبدأ بها سفر المزامير، ما من مكان وُجد فيه، إلا وكان فعلاً كل الخير الفائض بوفرة لمن حوله. لاق به أن يقرر أن ملوكاً وأنبياء اشتهروا أن يروا يوماً واحداً من أيام ابن الإنسان. ما أروعه في أشد وأقسى ساعات تعرضت لها حياته، ها هو الشجرة المثمرة أبدياً وزمنياً، فهناك كان يصنع الفداء لكل المفديين في كل العصور، لكن لمن حوله ها هو يعطي الإيمان للّص التائب، ولقائد المئة، ويدير أمور العذراء مريم الزمنية.

"مَنْ يَرْصُدُ الرِّيحَ لاَ يَزْرَعُ وَمَنْ يُرَاقِبُ السُّحُبَ لاَ يَحْصُدُ. كَمَا أَنَّكَ لَسْتَ تَعْلَمُ مَا هِيَ طَرِيقُ الرِّيحِ وَلاَ كَيْفَ الْعِظَامُ فِي بَطْنِ الْحُبْلَى كَذَلِكَ لاَ تَعْلَمُ أَعْمَالَ اللَّهِ الَّذِي يَصْنَعُ الْجَمِيعَ. فِي

 All rights reserved © 2008-2018

الصَّبَاحِ ازْرَعْ زَرْعَكَ وَفِي الْمَسَاءِ لاَ تَرْخِ يَدَكَ لأَنَّكَ لاَ تَعْلَمُ أَيُّهُمَا يَنْمُو هَذَا أَوْ ذَاكَ أَوْ أَنْ يَكُونَ كِلاَهُمَا جَيِّدَيْنِ سَوَاءً) "٤ -٦(

في هذه الأعداد الثلاثة ينتقل الحكيم بالروح القدس إلى وجه آخر لحياة الله فينا ألا وهو الخدمة وإلقاء بذار الكلمة في كل وقت وفي كل مكان. ونرى في هذا انسجاماً مع كلام الرب المبارك في أول أمثال ملكوت السموات السبعة في مت ١٣ حيث يوضح أن طريقة انتشار الملكوت هو إلقاء البذار، وهنا في ع ٤ ينبر على ثبات القصد في إلقاء البذار، والزارع إذا نظر إلى حالة الجو، ممثلة في الريح والسحب، فلن يزرع، لكن بقصد ثابت يحمل البذار إلى الحقل. فبالأولى كثيراً نحن الذين نحمل بذار كلمة الحياة "أَنَا أُنَاشِدُكَ إِذاً أَمَامَ اللهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.. اكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ اعْكُفْ عَلَى ذَلِكَ فِي وَقْتٍ مُنَاسِبٍ وَغَيْرِ مُنَاسِبٍ" (٢ تي ٤: ١، ٢). ليتنا نعي أهمية هذا الأمر ونرى كيف أن سيدنا ورأسنا وقائدنا المعبود تركنا في هذا العالم لهذه المهمة "كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَى الْعَالَمِ" (يو ١٧: ١٨).

وفي ع ٥ التنبير على أن الولادة من فوق أمر داخلي بين النفس وبين الله، لأنه تعامل الكلمة بالروح القدس مع القلب لتستحضر النفس تماماً أمام الرب في الصليب كما أشار الرب له المجد في الحديث عن الولادة الثانية مع نيقوديمس "لاَ تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ. اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا لَكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ هَكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ" (يو ٣: ٧)

وما أقوى صوت الولادة الثانية فهي فعلاً معجزة إلهية تحول الشرير إلى قديس في لحظة. ويكون هذا واضحاً كل الوضوح بالنسبة للناس المحيطين بالشخص المولود، ولكن لا يعلمون كيف تم هذا، ومن أين جاءت "تسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا أين تذهب."

لكن الحكيم بالروح القدس يضيف أمراً آخر خاصاً بالولادة وهو تكوين العظام في بطن المرأة الحبلى، والعظام التي يقوم عليها كل جسمه، وهكذا أعمدة الحياة الجديدة، كيف تكونت وقامت في الحال: صلاة (أي صلة مع الله)، قراءة كلمة الله (سماع صوت الله)، محبة الله والمؤمنين من قلب طاهر بشدة، حضور الاجتماعات (شركة السجود والعبادة).

ع ٦ التنبير على خدمة الرب سواء في الشباب المُشار إليه بالصباح، حيث القوة والحيوية والنشاط وقوة الاحتمال. لكن أيضاً عندما تغرب شمس الشباب، لا تتوان ولا تتباطأ متذرعاً بضعف الشيخوخة، وعلى صفحات الوحي عينات مباركة جداً، إذ نرى بولس الشاب بعد تجديده، ملتهباً بمحبة سيده، والرب استخدمه في هدم الوثنية في آسيا الصغرى وأوروبا وتأسيس الكنائس المسيحية الأولى بهما. لكن ما أجمل مساء بولس، لأنه وهو شيخ يخدم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سيده، وهو في القيود يقول عن نفسه أنه سفير في سلاسل. ثم ما أروع ما أملاه عليه الروح القدس من رسائل في شيخوخته وهو في السجن، هي بحق ذخيرة مجيدة للكنيسة إلى نهاية تاريخها على الأرض.

كذلك أيضاً دانيال الشاب المكرس نراه في شيخوخته الشاهد الأمين لإلهه، وفي طريق الشهادة يذهب إلى جب الأسود.

لكن هناك عينات أخرى تنذرنا وتجعلنا نحترس، على سبيل المثال سليمان نفسه، ففي شبابه ما أجمل ما زرع لكن في شيخوخته كان محزناً. وليس له إلا قبض الروح.

"اَلنُّورُ حُلْوٌ وَخَيْرٌ لِلْعَيْنَيْنِ أَنْ تَنْظُرَا الشَّمْسَ" (ع ٧)

في الستة أعداد السابقة تكلم سليمان مع المؤمنين عن وجهين مباركين للحياة الإلهية التي وصلت إلينا بالإيمان، وهما البذل والسخاء في العطاء، ثم تقديم الكلمة التي هي بذار الحياة الإلهية،وذلك للنفوس التي نتعامل معها في كل ظرف وفي كل مجال سواء كنا شباناً أو تقدمت بنا الأيام.

لكن في هذه الأعداد يتقدم الإنسان غير المولود من الله يوضح له الطريق الخطر الذي يسير فيه بدون توبة ورجوع إلى الله. وفي ع ٧ يوضح عظمة العطية المعطاة من الله لكل إنسان على الأرض، وهي الحياة العاقلة المفكرة المعبر عنها بالنور، لأنه بوعي وفهم وذكاء يتمتع بكل جمال الخليقة التي تظهره أشعة الشمس. والقصد هو ما أعلنه الرسول "لِكَيْ يَطْلُبُوا اللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيداً" (أع ١٧: ٢٧)

"لأَنَّهُ إِنْ عَاشَ الإِنْسَانُ سِنِينَ كَثِيرَةً فَلْيَفْرَحْ فِيهَا كُلِّهَا وَلْيَتَذَكَّرْ أَيَّامَ الظُّلْمَةِ لأَنَّهَا تَكُونُ كَثِيرَةً. كُلُّ مَا يَأْتِي بَاطِلٌ" (ع ٨)

هنا يوضح الحقيقة الخطيرة وهي أن هذه الحياة المعطاة للإنسان مهما طالت لسنين كثيرة، لكنها لا بد أن تنتهي إلى هذا الباب المحتوم ألا وهو الموت.

"وليتذكر أيام الظلمة لأنها تكون كثيرة"- أي ليضع قلبه وذهنه أيام الظلمة القادمة "لأنها تكون كثيرة" لا حصر لها، ولا عدد لها، لا نهاية لها. هي الأبدية بكل ما تعنيه من رهبة مرعبة.

ما أروع تحذير السيد "لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟" (مت ١٦: ٢٦) وكما قال أيضاً في مت ٨: ١٢ "فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ" فهو طرح في ظلام الجحيم- قتام

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الظلام- بعيداً جداً عن محضر الله في انفصال أبدي مطلق عنه "الذين قد حُفظ لهم قتام الظلام إلى الأبد" (٢ بط ٢: ١٧)

"اِفْرَحْ أَيُّهَا الشَّابُّ فِي حَدَاثَتِكَ وَلْيَسُرَّكَ قَلْبُكَ فِي أَيَّامِ شَبَابِكَ وَاسْلُكْ فِي طَرِيقِ قَلْبِكَ وَبِمَرْأَى عَيْنَيْكَ وَاعْلَمْ أَنَّهُ عَلَى هَذِهِ الأُمُورِ كُلِّهَا يَأْتِي بِكَ اللَّهُ إِلَى الدَّيْنُونَةِ" (ع ٩)

أسلوب تهكمي لاذع، يحذر الحكيم كل شاب من الحياة المستهترة التي تتجاهل السيد الخالق العظيم المحب. ويلخص هذه الحياة المستبيحة بهذه الأركان الر هيبة: أولاً- السعي وراء الأفراح والمسرات التي يقدمها العالم كما نسمع في أي ٢١: ١٢ "يَحْمِلُونَ الدُّفَّ وَالْعُودَ وَيُطْرِبُونَ بِصَوْتِ الْمِزْمَارِ... فَيَقُولُونَ لِلَّهِ ابْعُدْ عَنَّا وَبِمَعْرِفَةِ طُرُقِكَ لاَ نُسَرُّ. مَنْ هُوَ الْقَدِيرُ حَتَّى نَعْبُدَهُ وَمَاذَا نَنْتَفِعُ إِنِ الْتَمَسْنَاهُ."

- الركن الثاني: الركض وراء شهوات القلب الفاسدة التي تجري وراء نظرات العيون. والوحي المقدس يوضح باستمرار ارتباط الاثنين معاً " لَهُمْ قَلْبٌ مُتَدَرِّبٌ فِي الطَّمَعِ (الشراهة والشهوات) أَوْلاَدُ اللَّعْنَةِ لَهُمْ عُيُونٌ مَمْلُوَّةٌ فِسْقاً لاَ تَكُفُّ عَنِ الْخَطِيَّةِ" (٢ بط ٢: ١٤).

لكن ما أرهب الركن الثالث الذي ينتظرهم "إعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتي بك الله إلى الدينونة: فهو أمر يقيني مؤكد لأن الله المنزه عن الكذب أعلنه في وحيه المقدس في كل الأسفار وأيضاً أعطى في الطبيعة دروساً عملية توضح أن الذي يُزرع في الخفاء لا بد أن يُستعلن ويصبح واضحاً تماماً.

"فَانْزِعِ الْغَمَّ مِنْ قَلْبِكَ وَأَبْعِدِ الشَّرَّ عَنْ لَحْمِكَ لأَنَّ الْحَدَاثَةَ وَالشَّبَابَ بَاطِلاَنِ" (ع ١٠)

هنا يكشف الحقيقة، فالمسرات العالمية والشهوات التي يجري وراءها الإنسان ليست إلا غماً في آخرتها تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان (أم ٢٣: ٣٢) وهي شرط يلصق بلحم الإنسان "كُلُّ خَطِيَّةٍ يَفْعَلُهَا الإِنْسَانُ هِيَ خَارِجَةٌ عَنِ الْجَسَدِ لَكِنَّ الَّذِي يَزْنِي يُخْطِئُ إِلَى جَسَدِهِ" (١ كو ٦: ١٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأصحاح الثاني عشر

"فَاذْكُرْ خَالِقَكَ فِي أَيَّامِ شَبَابِكَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ أَيَّامُ الشَّرِّ أَوْ تَجِيءَ السِّنِينَ إِذْ تَقُولُ لَيْسَ لِي فِيهَا سُرُور" (ع ١)

هذه المشورة مؤسسة على قدر ما أدركه وميزه سليمان. وهو أن الإنسان لا بد راحل من هذا المشهد على الرغم منه، كما قرر في ص ١١: ٨ أن الإنسان إن عاش سنين كثيرة. لا بد أن يتذكر أيام الظلمة الكثيرة القادمة، وحتى هذا الرحيل القهري ليس هو نهاية كل شيء، فلا بد من دينونة تعقب هذه الحياة الحاضرة. كما يقرر الرسول "وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة" (عب ٩: ٢٧).

"فاذكر خالقك" ترِد في الأصل العبري بصيغة الجمع؛ للدلالة على اشتراك الثالوث في الخلق كما في كل شيء. وهذه النصيحة للشاب ليذكر خالقيه- الله إلوهيم المثلث الأقانيم، في طياتها أركان رئيسية هامة.

أولاً: بما أن الله المثلث الأقانيم اهتم بي بهذا المقدار، فهو أمر يدعو إلى الرهبة والتأمل بورع "الله إلوهيم صانعي مؤتي الأغاني في الليل" (أي ٣٥: ١٠).

ثانياً: بما أن الله هو صانعي، حتماً هو الذي أنشأني وتعهدني في كل مراحل حياتي من جنين في بطن أمي إلى طفل رضيع إلى الشباب، فهو صاحب الفضل الأول عليّ ألا يقودني هذا للرجوع إليه.

ثالثاً: بما أنه هو جابل روحي في داخلي، إذاً فالنهاية لا بد أن تكون إليه حيث تعود الروح إلى الذي أعطاها. وهذا يستلزم تصفية الحساب "استعد للقاء إلهك" (عا ٤: ١٢) ولا يوجد استعداد إلا بيقينية حصولي على غفران إلهي لكل خطاياي "لَهُ- للرب يسوع المسيح- يَشْهَدُ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا" (أع ١٠: ٤٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لكن هنا الحكيم يقدم سبباً آخر هاماً للغاية، وهو تقدم الأيام ومجيء الشيخوخة، حيث لا يكون هناك التفكير الواعي السليم، بل كل شيء يرتبك ومن الصعب جداً تمييز صوت الرب الذي هو العامل الأول في الرجوع والتوبة، لذلك يسميها أيام الشر، إذ يفقد الإنسان لذته في كل شيء في الحياة وتخيم الكآبة المُرّة عليه. وهذا الوصف التفصيلي هو للشيخوخة البعيدة عن الله، أما الشيخوخة لحياة قُضيت في الشركة مع الرب وخدمة اسمه المعبود فهي رائعة "تاج جمال شيبة توجد في طريق البر" (أم ١٦: ٣١)، "يُثْمِرُونَ فِي الشَّيْبَةِ. يَكُونُونَ دِسَاماً وَخُضْراً لِيُخْبِرُوا بِأَنَّ الرَّبَّ مُسْتَقِيمٌ صَخْرَتِي هُوَ وَلاَ ظُلْمَ فِيهِ" (مز ٩٢: ١٤، ١٥).

وكم من أمثلة عملية رائعة يقدمها الوحي لرجال كانت حياتهم في خدمة السيد المحبوب المعبود، وها هو التقرير عن أجسادهم في شيخوختهم "وَكَانَ مُوسَى ابْنَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ وَلَمْ تَكِلَّ عَيْنُهُ وَلا ذَهَبَتْ نَضَارَتُهُ" (تث ٣٤: ٧)، ولنسمع تقرير كالب بن يفنة " فَهَا أَنَا الْيَوْمَ ابْنُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً فَلَمْ أَزَلِ الْيَوْمَ مُتَشَدِّداً كَمَا فِي يَوْمَ أَرْسَلَنِي مُوسَى كَمَا كَانَتْ قُوَّتِي حِينَئِذٍ هَكَذَا قُوَّتِي الآنَ لِلْحَرْبِ وَلِلْخُرُوجِ وَلِلدُّخُولِ"(يش ١٤:١٠، ١١).

"قَبْلَ مَا تَظْلُمُ الشَّمْسُ وَالنُّورُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَتَرْجِعُ السُّحُبُ بَعْدَ الْمَطَرِ" (ع ٢)

يذكر الحكيم ٤ مصادر للنور وهي خاصة بالشباب:

أولاً: الشمس، حرارة الشباب وحيويته وقوته ونشاطه "كَسِهَامٍ بِيَدِ جَبَّارٍ هَكَذَا أَبْنَاءُ الشَّبِيبَةِ. طُوبَى لِلَّذِي مَلأَ جُعْبَتَهُ مِنْهُمْ. لاَ يَخْزُونَ بَلْ يُكَلِّمُونَ الأَعْدَاءَ فِي الْبَابِ" (مز ١٢٧: ٤).

ثانياً: النور، الذهن المتقد بالآمال والطموح والمشاريع.

ثالثاً: القمر، الجمال قبل أن تأتي التجاعيد وتحفر مجاري عميقة في الوجه.

رابعاً: النجوم، الأعمال اللامعة التي تلفت الأنظار. وإذ تذبل هذه المصادر الأربعة لنور الشباب، لا يبقى للنفس إلا الأمر المُرّ وهو الكآبة القاتلة المعّبر عنها بالسحب بعد المطر.

السحب هي الغيوم الكثيفة في الذهن، وتوقع الشر في كل خطوة وفي كل دقيقة، وهكذا تسيل الدموع حزناً وخوفاً، ولأنها ليست أمام عرش فلا منفعة لها، وهكذا تأتي السحب مرة أخرى أي الأفكار القاتمة وتدخل النفس في تلك الحلقة المفرغة بلا انقطاع.

"في يوْمٍ يَتَزَعْزَعُ فِيهِ حَفَظَةُ الْبَيْتِ وَتَتَلَوَّى رِجَالُ الْقُوَّةِ وَتَبْطُلُ الطَّوَاحِنُ لأَنَّهَا قَلَّتْ وَتُظْلِمُ النَّوَاظِرُ مِنَ الشَّبَابِيكِ" (ع ٣)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تصوير رائع عجيب لانهيار قلعة جسم الإنسان أمام عوامل الشيخوخة فالأيدي- حفظة البيت- التي عملت كثيراً في أمور هذا الزمان ها هي ترتعش وتكاد تفشل تأدية واجبات الجسم.

والأرجل- رجال القوة- التي طالما ركضت بكل قوة وراء أمور العالم، ها هي تتلوى وتكاد تفشل في أقل الخطوات.

والأسنان والضروس- الطواحن- التي كانت تمون هذه القلعة العظيمة ها هي قد تداعت والأطعمة المفرومة والمهروسة هي التي تستعمل.

والعينان- النواظر- التي طالما جالت في كل مجال وراء الأمور المنظورة، ها هي لا تكاد ترى الأمور القريبة جداً.

"تُغْلَقُ الأَبْوَابُ فِي السُّوقِ. حِينَ يَنْخَفِضُ صَوْتُ الْمِطْحَنَةِ وَيَقُومُ لِصَوْتِ الْعُصْفُورِ وَتُحَطُّ كُلُّ بَنَاتِ الْغِنَاءِ" (ع ٤)

الباب يشير إلى الفم كما قال المرنم "اجْعَلْ يَا رَبُّ حَارِساً لِفَمِي. احْفَظْ بَابَ شَفَتَيَّ" (مز ١٤١: ٤) أي يثقل الكلام مع أي " (مز ١٤١: ٤) أي يثقل الكلام مع أي إنسان عابر أي طابع الانطواء (الضيق النفسي). كم كان هذا الباب مفتوحاً في السوق أو في الشارع وفي البيت، كم من كلمات عاطلة باطلة بلا معنى بل هادمة للنفوس، وقبل أن يستد هذا الفم أمام العرش العظيم الأبيض ها هو يستد في الشيخوخة هنا، إذ ينخفض صوت المطحنة- أي الأذن التي هي جهاز الاستقبال التي طالما أسرعت إلى أغاني العالم وكل حديث وكل قصة تُقال. وطالما رحبت بكل ما هو هادم للنفس أو فيه تشهير بالآخرين، وطالما رفضت أن تستقبل بوعي وإدراك وتقدير الصوت الكريم المحيي للنفوس، ها هي الأذن يثقل سمعها جداً. ويقوم لصوت العصفور، وترتبك دورة الدم الخاصة بالمخ وهكذا لا يكون تحكم في المراكز العليا في المخ. ولذلك يصبح النوم شحيحاً وقليلاً، وينزعج الإنسان لأقل صوت وتحط بنات الغناء- الحبال الصوتية التي طالما استعملت في أغاني هذا العالم ها هي تجف ولا تكون قدرة على نشيد واحد أو أغنية واحدة التي كلها من إملاء العدو.

"وَأَيْضاً يَخَافُونَ مِنَ الْعَالِي وَفِي الطَّرِيقِ أَهْوَالٌ وَاللَّوْزُ يُزْهِرُ وَالْجُنْدُبُ يُسْتَثْقَلُ وَالشَّهْوَةُ تَبْطُلُ لأَنَّ الإِنْسَانَ ذَاهِبٌ إِلَى بَيْتِهِ الأَبَدِيِّ وَالنَّادِبُونَ يَطُوفُونَ فِي السُّوقِ" (ع ٥)

كم كان النشاط والحيوية والقوة الجسدية، كله في طريق متجنب عن حياة الله ها هو الكل ينهار وأمام ضعف عضلات الجسم وضعف عضلة القلب ، يصبح أي مكان مرتفع أمراً صعبا لا يُحتمل، وكم كانت الجرأة في الجري في كل مكان كما يقول الكتاب "جسورون معجبون بأنفسهم" ها هم يتصورون الأهوال المرعبة في كل مكان ً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

واللوز يزهر- شعر الرأس الذي طالما تلاعبوا به، تارة يجعلونه مرخياً حتى أنك لا تكاد تفرق الرجل من المرأة، ها هي شيبة الرأس تقتحم طريقها في الشيخوخة.

والجندب يثقل- عضلات الساقين طالما حملت أحمالاً ثقيلة، ها هي ترى أخف شيء أي الجندب، تراه حملاً ثقيلاً. والشهوة تبطل، في الأصل الرغبة تفشل فالشهوات كامنة والرغبات الجسدية موجودة على أشدها لكنها تفشل نتيجة للضعف الجسدي.

لأن الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدي، كل هذه الأمور المُرّة مقدمات الرحيل من هذا العالم إلى ذلك المصير الرهيب الذي لا يمكن تصور أبعاد بؤسه وتعاسته في انفصال أبدي عن الله. بينما النور والمجد والتسبيح والهتاف بفرح غامر لكل المفديين حول الفادي المعبود ربنا يسوع المسيح.

لكن في مقر الأشرار يصعد دخان عذابهم إلى الأبد الآبدين هناك يكون البكاء وصرير الأسنان.

والنادبون يطوفون في السوق، ما أصعب خاتمة هذه المجموعة، يتصور الأصوات التي يسمعها في الشارع أنها ليست إلا مواكب جنازات، حيث النادبون يلطمون وينوحون ويبكون، لأنه ذاهب إلى النوح والبكاء الأبدي ها هو كل تصوره وتفكيره منحصر في هذا الأمر.

"قبلمَا يَنْفَصِمُ حَبْلُ الْفِضَّةِ أَوْ يَنْسَحِقُ كُوزُ الذَّهَبِ أَوْ تَنْكَسِرُ الْجَرَّةُ عَلَى الْعَيْنِ أَوْ تَنْقَصِفُ الْبَكَرَةُ عِنْدَ الْبِئْرِ" (ع ٦)

هنا ينفرد الحكيم بهذا الوصف الرائع المذهل الدقيق، لكيفية خروج روح الإنسان في انتهاء حياته. ولا نجد على صفحات الوحي من يقترب من هذا التسجيل لأنه يتوافق مع سفر الجامعة الذي بحث الكثير من أنشطة الإنسان تحت الشمس من يوم الولادة إلى يوم الممات (راجع الأصحاح الثالث).

وهو يصف بطريقة معجزية من الناحية العلمية، ماذا يحدث في لحظة الوفاة للأعضاء الرئيسية التي تقوم عليها حياة الإنسان. وهو أمر ليس بغريب على صاحب الكلمة الحقيقي، الروح القدس، الذي جبل الإنسان من التراب. وبعد الاتقان المذهل لكل أجهزة الجسم، في نعمته نفخ في أنفه نسمة حياة فصار نفساً حية.

وهكذا على ذات الصورة البديعة المذهلة، يكوّن الأجنة في أحشاء الأمهات من بدء التاريخ إلى الآن- "وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ" (أع ١٧: ٢٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نتقدم الآن إلى وصف سليمان بالروح القدس:

أولاً: ينفصم حبل الفضة. من معجزات القدير في جسم الإنسان ما يسمى بالنخاع الشوكي Spinal cordوهو على شكل حبل قطره حوالي ٣ سم يخرج من قاع المخ ويتجه إلى أسفل مخترقاً فقرات العمود الفقري كله تجويف دائري خاص به داخل كل فقرة. وكما أن المخ في حماية عظام الجمجمة السميكة، كذلك النخاع الشوكي في حماية دائرية حوله تحميه من كل جانب بواسطة الفقرات. ومن هذا النخاع تخرج الأعصاب من جانبيه، وتتجه نصف دائرة إلى الأمام. ما أروعك يا سيدي ما أعجبك ما أحكمك!!

والعجيب أنه مغلّف بغشاء سميك لونه فضي رائع! والأعجب أنه في لحظة الوفاة، يحدث انفجار في هذا الغشاء لذلك يأتي التعبير "ينفصم". شكراً لصاحب الكلمة الخالق العظيم الذي تنازل إلينا في نعمة غنية وأعطى لنا هذه الروعة في كلمته الحية الباقية إلى الأبد.

ثانياً: ينسحق كوز الذهب- وهنا روعة أخرى لا تقل عن الأولى، لأن مخ الإنسان وإن كان دائرياً من أعلى لكنه ينساب اسطوانياً في أسفله بواسطة الجزء الأسفل منه المسمى بالمخيخ. وما أروع الخالق إذ جعله على شكل كوز مغطى بغشاء سنجابي كأنه من الذهب.

وفي هذا تعليم عظيم لنا، لأن ألوان الكتاب ومواده تشير إلى أمور روحية عميقة فغشاء المخ الذهبي وغشاء النخاع الشوكي الفضي، فيهما لغة واضحة لكل دارس لكلمة الله. فالفضة تشير إلى الفداء بدم الرب يسوع، والذهب يشير إلى تبرير الله للإنسان على حساب عمل المسيح، موته له المجد وقيامته لأنه "أُسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رو ٤: ٢٥).

وهكذا في رسم الخالق العظيم الذي يقصد الخير الأبدي لنا، أولاً جعل الجهاز العصبي مغلفاً باللونين اللذين يشيران إلى بر الله المؤسس على الفداء وهذا ما نراه عملياً إذ أن الإنسان لن يجد راحته نفسياً وعصبياً إلا بالحصول على هذه العطية مجاناً من الله "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء بيسوع المسيح" (رو ٣: ٢٤).

ثالثاً: تنكسر الجرة على العين- والمقصود هو القلب في ارتباطه بالأوعية الدموية الكبيرة مشبهاً بجرة تمتلئ من وريدين كبيرين، الوريد الأجوف السفلي والعلوي وهكذا إذ يمتلئ البطين الأيمن يدفع الدم في الشريان الرئوي الخارج منه إلى الرئتين للتنقية، ثم يعود الدم النقي إلى الأذين الأيسر ومنه إلى البطين الأيسر، وهذا يقوم بدفعه إلى الشريان الرئيسي الكبير المسمّى بالأورطي.

رابعاً: تنقصف البكرة عند البئر- في خروج الدم من البطين الأيمن في الشريان الرئوي إلى الرئتين للتنقية ثم يعود الدم النقي إلى الأذين الأيسر، يكوّن بكرة، والبئر هي الرئتان اللتان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تمتلّئان بالدم الفاسد للتنقية، ويخرج منهما عائداً إلى القلب عن طريق الأوردة الرئوية. يا لها من دورة عجيبة فائقة مذهلة تُظهر عظمة وحكمة إلهنا الذي أعطى في أجسادنا دروساً عميقة عن الفداء والتبرير والتنقية قبل التغذية.

والعجيب أن الرئتين تقومان بتنقية غازية، أي تنقي الدم من ثاني أكسيد الكربون وتزوده بالأوكسجين، لكن هناك تنقية أخرى كيميائية للدم وذلك بواسطة الكليتين اللتين تستخلصان مادة البولينا وكل المواد السامة الأخرى الناتجة من تحلل الأطعمة. وهناك تنقية ثالثة بيولوجية يقوم بها الكبد إذ يمتص من الدم المواد الناتجة من تفاعل الأنزيمات مع الأطعمة كمادة الثيمول على سبيل المثال.

قد نكون خرجنا من دائرة تأمل الحكيم لإظهار لمحات من روعة خالقنا وفادينا المحب المعبود. هلم بنا نرجع إلى الحكيم فنراه يختم حياة الإنسان بهذا التقرير الخطير:

"فَيَرْجِعُ التُّرَابُ إِلَى الأَرْضِ كَمَا كَانَ وَتَرْجِعُ الرُّوحُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاهَا" (ع ٧)

ما أكثر تحذيرات الكتاب المقدس لأنه كتاب الله الذي يحب الإنسان ويريد له كل بركة من كل جهة أبدياً وزمنياً.

وفي ع ٧ نجد تقريراً واضحاً يرد على تلك الأفكار التي كانت في قلبه بعيداً عن نور كلمة الله (جا ٣: ١٨- ٢٠) هنا الفكر الصحيح السليم المؤسس على كلمة الله، فالكلمة أعلنت من البداءة أن روح الإنسان الذي فيه نسمة من القدير، وهذا هو سر خلود الإنسان وسر امتيازه على كل الخليقة. ولكنه أيضاً أساس وقاعدة مسئولية الإنسان أمام محبة الله ونعمته التي جعلت له هذا الاعتبار العظيم. وكل نفس سوف تسمع هذه الكلمة الخطيرة "أعطِ حساب وكالتك" (لو ١٦: ٢)، "لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ" (مت ١٦: ٢٦).

"بَاطِلُ الأَبَاطِيلِ قَالَ الْجَامِعَةُ الْكُلُّ بَاطِلٌ" (ع ٨)

أمام هزيمة قلعة جسم الإنسان بإزاء عوامل الشيخوخة لم يسع الحكيم إلا أن يصرّح: باطل الأباطيل. هذه القلعة التي طالما أظهرت كل الأنشطة وطالما تمتعت بكل عطايا الله تحت الشمس، ها هي تنهار تماماً وتتحلل، وطالما الأمر تحت الشمس لذلك ليس إلا الصرخة المُرّة: باطل..

"بَقِيَ أَنَّ الْجَامِعَةَ كَانَ حَكِيماً وَأَيْضاً عَلَّمَ الشَّعْبَ عِلْماً وَوَزَنَ وَبَحَثَ وَأَتْقَنَ أَمْثَالاً كَثِيرَةً. اَلْجَامِعَةُ طَلَبَ أَنْ يَجِدَ كَلِمَاتٍ مُسِرَّةً مَكْتُوبَةً بِالاِسْتِقَامَةِ كَلِمَاتِ حَقٍّ" (ع ٩، ١٠)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هنا تقرير سليمان عن نفسه بإملاء الروح القدس أنه كان حكيماً. لقد أُعطى من إلهه حكمة فائقة لأنه فضّلها على كل العطايا الزمنية "الْحِكْمَةُ هِيَ الرَّأْسُ فَاقْتَنِ الْحِكْمَةَ وَبِكُلِّ مُقْتَنَاكَ اقْتَنِ الْفَهْمَ" (أم ٤: ٧) لقد أظهرت في ختام حياته ثغرات محزنة، لكن في كل أيام حياته أولاً، كان قلبه مشتاقاً لجمع الحكمة لكي يوصلها كأمانة بين يديه، إلى شعب الرب. أي توصيل الحق الإلهي لهم، لذلك دُعي الجامعة (راجع أول السفر). ليتنا نسلك في ذات الطريق ونعي قول الكتاب "قد هلك شعبي من عدم المعرفة" (هو ٤: ٦)

ثانياً، كان شغله الشاغل أن يجد كلمات مسرّة مكتوبة بالاستقامة، كلمات حق، فأعطاه الرب أمثالاً موحى بها من الله ناتجة عن اللهج في كلمة الله. وهنا الحكمة الحقيقية أن تكون أقواله مكتوبة بالاستقامة كلمات حق.

"كَلاَمُ الْحُكَمَاءِ كَالْمَنَاخِسِ وَكَأَوْتَادٍ مُنْغَرِزَةٍ أَرْبَابُ الْجَمَاعَاتِ قَدْ أُعْطِيَتْ مِنْ رَاعٍ وَاحِدٍ" (ع ١١)

من هم الحكماء؟ هم الذين استقوا الحكمة من نبعها الواحد، الحكمة الأزلي يهوه العهد القديم الذي ظهر في الجسد ربنا يسوع المسيح- وتعلموها منه فانطبعت في قلوبهم أولاً ومن فضلة القلب يتكلم الفم"

فَلَمَّا رَأَوْا مُجَاهَرَةَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا وَوَجَدُوا أَنَّهُمَا إِنْسَانَانِ عَدِيمَا الْعِلْمِ وَعَامِّيَّانِ تَعَجَّبُوا فَعَرَفُوهُمَا أَنَّهُمَا كَانَا مَعَ يَسُوعَ" (أع ٤: ١٣).

خلاصة القول، الحكماء هم المؤمنون المملوؤن بروح المسيح، هؤلاء فقط تشبّه ملماتهم بالمناسيس (المناخس) وكما أن المناسيس تستخدم لحث الثيران التي تجر المحراث للسير في استقامة وبدون تراخٍ في خط المحراث، هكذا كلمات الحكماء بقوة الروح القدس تنهض بالنفوس لكي يكون لها السلوك في الإيمان أي الحياة المستقيمة بدون تراخٍ.

"وكأوتاد منغرزة" أي ثابتة في الأرض "فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم" (يع ١: ٢١) وهنا نرى وجهين مباركين لعمل الكلمة الإلهية الحية والفعالة والأمضى من كل سيف ذي حدين:

أولاً- تنخس القلب "فلما سمعوا نُخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس... ماذا نصنع؟" (أع ٢: ٣٧).

ثانياً- تغرس الحق في أعماق النفس فيصبح ثابتاً راسخاً "إن ثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم" (يو ١٥: ٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"أرباب الجماعات" أي الرعاة بين الجماعات الذين زودتهم النعمة بمواهب قد أُعطيت لهم من راعٍ واحد. ونلاحظ أن الوحي في العهد القديم يشير إلى الرب يهوه كالراعي "وتشددت سواعد يديه من هناك من الراعي صخر إسرائيل" (تك ٤٩: ٢٤) "الرب راعيّ فلا يعوزني شيء" (مز ٢٣: ١)، "كراع يرعى قطيعه بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات" (أش ٤٠: ١١)، وهو بذاته "الراعي لصالح الذي بذل نفسه لأجل الخراف" (يو ١٠: ١١)، وهو "راعي الخراف العظيم المُقام من الأموات بدم العهد الأبدي" (عب ١٣: ٢٠) وهو "الذي صعد.. وأعطى الناس عطايا وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلاً، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ، لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ، لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ" (أف ٤: ١١، ١٢).

"وَبَقِيَ فَمِنْ هَذَا يَا ابْنِي تَحَذَّرْ: لِعَمَلِ كُتُبٍ كَثِيرَةٍ لاَ نِهَايَةَ وَالدَّرْسُ الْكَثِيرُ تَعَبٌ لِلْجَسَدِ" (ع ١٢).

يقول سليمان الملك: لقد قدمت لكم الكثير من النصائح بخصوص كل ما اختبرته تحت الشمس، لذلك يقول يا ابني، إذ كان متقدماً في الأيام وقدّم خلاصة ما رآه في أيامه، لكل من هو في مقتبل العمر، لذلك يقول تلك الكلمة الحلوة "يا ابني"- ما هي هذه النصيحة الباقية؟ إنه لا نهاية لكتابة كتب تعالج أسرار الحياة وتحاول كشف غوامض الكون- الأمور التي عالجها الحكيم بإسهاب في أقواله السابقة وكثرة الدرس في هذه الأمور لا تسفر إلا عن تعب الجسد دون الوصول إلى نتيجة حاسمة.

فأين إذاً المرجع الواحد الكامل الوافي؟ "فَتْحُ كَلاَمِكَ يُنِيرُ يُعَقِّلُ الْجُهَّالَ" (مز ١١٩: ١٣٠)، " أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ مُعَلِّمِيَّ تَعَقَّلْتُ لأَنَّ شَهَادَاتِكَ هِيَ لَهَجِي. أَكْثَرَ مِنَ الشُّيُوخِ فَطِنْتُ لأَنِّي حَفِظْتُ وَصَايَاكَ" (مز ١١٩: ٩٩، ١٠٠) وواضح سر التفوق على الشيوخ والمعلمين المهملين لكلمة الله، ونرى ذلك بكل وضوح في ع ٩٧ "كم أحببت شريعتك اليوم كله هي لهجي."

"فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ: اتَّقِ اللَّهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ لأَنَّ هَذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ" (ع ١٣).

هنا قمة النصائح وخلاصتها "ختام الأمر كله" كل البحث الذي بحثه، وكل الاجتهاد في كشف الغوامض، وصل به إلى هذا الأمر الواحد الذي فيه كل الحكمة للإنسان "إتق الله" أي وضع الإنسان المخلوق في وضع الطاعة والخضوع والولاء والحب والتقدير لله الخالق الواهب الحقيقي لكل شيء صالح، وهذه هي مخافة الرب. وما أروع قلب إلهنا الذي يقدم لنا هذه الكلمة الهامة ٢١ مرة في وحيه المقدس وهنا الحكيم يشير إليها بإملاء الروح القدس "اتق الله" وهنا يتهيأ القلب لحفظ وصاياه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكن من مواضيع كثيرة في الوحي المقدس نتعلم أن القلب البشري حجري مملوء بالعناد. لذلك نعود إلى المفتاح الحقيقي الصادق الذي وضحه ربنا المعبود لرئيس مجمع اليهود "ينبغي أن تولدوا من فوق" (يوحنا ٣: ٣- ١٤) أي أنه يضع الطبيعة الساقطة الموروثة في حكم الموت ويعطينا طبيعة طاهرة مقدسة سماوية وهذه هي الولادة الثانية، الولادة من فوق (١ بط ١: ٢٣، ٢ بط ١: ٥، يو ٣: ٣-٦، حز ٣٦).

"إتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله"

" -هذا هو الإنسان كله"- هذا هو الإنسان في القصد من كل حياته هنا على الأرض، هذا هو الإنسان في مشورات الله، لمجد الله في كل حياته، وكيف يتم ذلك إلا بالارتباط القلبي العميق بذاك الفريد الذي قال في نهاية حياته له المجد قبل الصليب "أن مجدتك على الأرض" (يو ١٧: ٣). هنا فقط يتحقق قصد الله المبارك في الإنسان.

"لأَنَّ اللَّهَ يُحْضِرُ كُلَّ عَمَلٍ إِلَى الدَّيْنُونَةِ عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ إِنْ كَانَ خَيْراً أَوْ شَرّاً" (ع ١٤).

هنا التحذير وإنذار المحبة، إذ لا يمكن أن يكون كتاب الله كاملاً وهو يحدثنا عن محبة الله ورحمته ونعمته في عمل الفداء العظيم في صليب ربنا يسوع المسيح، ويقف عند هذا الحد، لكن قلب الله المحب يوضح لنا ما هي نتيجة رفض هذا العمل الكريم الجليل، ما هي نتيجة رفض هذه اليد الممدودة بالمصالحة والغفران والتوبة. لا يبقى للإنسان حتمية واحدة وهي دينونة الله لكل خطايا الإنسان. ما أروع رئيس الحياة له المجد وهو في أرض الموت يعلن عن حياة الله مقدمة للإنسان (يو ٥: ٢١) "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِي كَذَلِكَ الابْنُ أَيْضاً يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ". لكن ما أعجب العدد التالي- يو ٥: ٢٢ "لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَداً بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ."

عجيب جداً في مشهد الحديث عن المحبة الإلهية التي قصدها أن تهب الإنسان حياة من الله، حياة أبدية، حياة الله نفسه تصل إلى الإنسان، وذلك بواسطة الابن وفي شخصه المبارك، عجيب أن في هذا المشهد يأتي الحديث عن الدينونة؟ نعم. لكي يوضح مسؤولية الإنسان أمام هذه المحبة، لكي يحدد الإنسان موقفه من هذه النعمة الغنية "أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ. قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الحَيَاةَ وَالمَوْتَ. البَرَكَةَ وَاللعْنَةَ. فَاخْتَرِ الحَيَاةَ لِتَحْيَا... إِذْ تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ وَتَسْمَعُ لِصَوْتِهِ وَتَلْتَصِقُ بِهِ لأَنَّهُ هُوَ حَيَاتُكَ" (تث ٣٠: ١٩، ٢٠) .

وما أروع الدروس التي أعطاها له المجد في الطبيعة، تأمل الحقول وما تنبته من ثمار يعجز الإنسان عن وصف أنواعها، والفيض الغامر لحياة الإنسان من هذه الثمار التي لا نستطيع أن نحصيها، لكنها في ذات الوقت تحمل هذا الطابع وهو صوت الدينونة، فكل ما يُزرع في الخفاء في بطن الأرض ها هي الأرض تُنبته وتجعله يخرج ويرتفع ويعلن تماماً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نوعية ما زُرع. أليس هذا ما يقوله الوحي المقدس "لاَ تَضِلُّوا! اللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضاً. لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَاداً، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً" (غل ٦: ٧، ٨). وواضح استحالة الزرع للروح إلا بالولادة من فوق بالإيمان بربنا يسوع المسيح "لأَنَّكُمْ جَمِيعاً (الكلام موجه إلى القديسين في كنائس غلاطية) أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غل ٣: ٢٦)- "اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يو ٣: ٦).

ملاحظات توضيحية على بعض الكلمات العسرة الفهم

وصايا الله

...اتَّقِ اللَّهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ لأَنَّ هَذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ (جا ١٢: ١٣). يتخذ السبتيون هذا الشاهد مستنداً يبرر تقديسهم للسبت على اعتبار أنها الوصية الرابعة في الوصايا العشر.

وواضح أن الوصايا في الناموس المعطى لموسى في جبل سيناء هي الوصايا العشر التي تحدد سلوك الإنسان الأدبي نحو الله ونحو أخيه الإنسان، أما الفرائض فهي مراسيم الديانة اليهودية التي رسمها الله لهم، أما الأحكام فهي القوانين الحكومية التي كانت تطبق في الأحكام والقضايا.

والكتاب المقدس يعلّمنا أن الناموس بهذا المعنى هو خاص باليهود وليس بالمسيحيين في تدبير النعمة، وإليك بعض الأدلة:

أولاً، الناموس يسمى بصريح اللفظ "ناموس اليهود" (أع ٢٥: ٨).

ثانياً، المسيحي الحقيقي الذي قبِلَ الرب يسوع بالإيمان القلبي الصحيح ليس تحت الناموس بل تحت النعمة (رو ٦: ١٤).

ثالثاً، المسيحي الراجع من الأمم لا علاقة له بالناموس إطلاقاً لأن الناموس لم يُعطى للأمم بل لليهود (رو ٢: ١٤).

رابعاً، المسيحي الراجع من اليهودية مات للناموس وبذلك تحرر منه كما يقول الكتاب "إِذاً يَا إِخْوَتِي أَنْتُمْ أَيْضاً قَدْ مُتُّمْ لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ لِكَيْ تَصِيرُوا لِآخَرَ لِلَّذِي قَدْ أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لِنُثْمِرَ لِلَّهِ" (رو ٧: ٤).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خامساً، الناموس كان قد أُعطي لبني إسرائيل كمؤدّب أو معلم يقودهم إلى المسيح. ولما جاء المسيح بطل الناموس بالنسبة للذين يؤمنون بربنا يسوع المسيح "إِذاً قَدْ كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِالإِيمَانِ. وَلَكِنْ بَعْدَ مَا جَاءَ الإِيمَانُ لَسْنَا بَعْدُ تَحْتَ مُؤَدِّبٍ" (غل ٣: ٢٤- ٢٥).

ناموس المسيح

ليس معنى "لسنا تحت الناموس" و"متنا للناموس" و"تحررنا من الناموس" أن المسيحي بلا ضابط أي بلا قانون إلهي يسلك بموجبه. لأن الرسول يقول صريحاً "مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلاَ نَامُوسٍ لِلَّهِ بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ" (١ كو ٩: ٢١). والناموس. للمسيح هو تعاليم المسيح.

إن المسيحي الحقيقي لأنه مولود من فوق قد حصل على طبيعة سماوية مقدسة، لذلك وإن كان ليس تحت ناموس موسى لكن هذه الطبيعة الجديدة بقوة الروح القدس تجعله يسلك عملياً أسمى من المستوى المطلوب في وصايا ناموس موسى. مثلاً في ناموس موسى "لا تسرق" لكن في وصايا تدبير النعمة في المسيح "لاَ يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتْعَبُ عَامِلاً الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ احْتِيَاجٌ" (أف ٤: ٢٨). وأيضاً في الناموس "لا تزنِ"، "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ" (مت ٥: ٢٨). وكذلك في الزواج والطلاق (ع ٣١، ٣٢).

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية

 All rights reserved © 2008-2018

العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com